



# شهيد الهجرتين...

# وفقيد الغربتين...

## خواطر عن حياة الشيخ المجاهد

الشهيد بإذن الله

أبي عبد الله محمد المفرح

رحمه الله

## حياته - ومقاماته - و كراماته

## من البداية إلى الولاية


بقلم

أ.د. حاكم المطيري



١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم



## إهداء...

**إلى أخي ولي الله، أبي عبد الله، محمد آل مفرح، رحمه الله..**

**أهدي هذا الكتاب الذي قد يرد بعض جميله، ولن يوفيه، مهما اجتهدت فيه..**

**وشرفه أنه في سيرته الخالدة..**

**وداعا أبا عبد الله في رحاب الشهداء بإذن الله..**



**(لقد شارفنا على سن الخمسين...**

**ونحن الآن نتزين للقاء ربنا...)**

محمد المفرح





## من أين أبدأ؟

هذه خطرات هي أشبه بالزفرات منها بالكلمات، أخفف بها من لواعج شوقي وحزني على أخي ورفيق دربي الشيخ الشهيد بإذن الله محمد بن سعد المفرح – رحمه الله – والذي لم نفجع بوفاة أحد قط كما فجعنا بوفاته، وكان والله كما قال عبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم:

| | | |
|---|---|---|
| عليك سلام الله قيس بن عاصم | *** | ورحمته ما شاء أن يترحما |
| تحية من أوليته منك نعمة | *** | إذا زار عن شحط بلادك سلما |
| وما كان قيس هلكه هلك واحد | *** | ولكنه بنيان قوم تهدما |

أو كما قال ابن دريد:

| | | |
|---|---|---|
| والناسُ ألفٌ منهم كواحد | *** | وواحد كالألف إن أمر عنى |
| تغدو المنايا طائعات أمره | *** | ترضى الذي يرضى وتأبا ما أبى |

على أنه لا ينفع المحزون الرثاء، ولا يجدي المفجوع البكاء، وإنما هي عبرات نسكبها، وآهات نزفرها، وكما قال ابن الخياط:

| | | |
|---|---|---|
| ليس البكاء وإن أطيل بمقنعي | *** | الخطب أعظم قيمة من أدمعي |
| يا للرجال لنازل لم يحتسب | *** | ولحادث ما كان بالمتوقع |
| يبكي له من ليس يبكي من أسى | *** | وجدا ويصدع قلب من لم يصدع |
| فإذا صبرت فقدت مثلي صابرا | *** | وإذا بكيت وجدت من يبكي معي |

والحمد لله على حسن قضائه، في نعمائه وسرائه، وبأسائه وضرائه، وكما في الحديث الصحيح: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له).[1]

---

(١) صحيح مسلم ح رقم ٢٩٩٩.

ولم أجد ما أخفف به عني حرارة فقده كمثل مخاطبته، والحديث عنه، فهو باق معي وإن رحل، ومقيم وإن انتقل، أسمع حديثه، وأجد ريحه، وأبصر شبحه، فمثله لا يغيب وإن غيبه القبر، بل هو خالد خلود المجد الذي تمثل فيه!

عـــــلو في الحيـــــاة وفي المـــمات *** لـحـق أنـت إحـدى الـمـعـجـزات
كـأن الـنـاس حـولـك حـيـن قـامـوا *** وفـــــود نـداك أيـام الصـــلات

فوجدت في كتابة سيرته الخالدة – وهي أقل حقوق الأخوة – تخفيفا عما أجد من وحر الصدر، وحرارة الصبر..

آه مـــن فـــقـــده آه ثـــم آه *** صـــدع الـقـلـب فـلا يـرجـى شـــفـاه
لـيـتـنـي أفـديـه بـالـنـفـس ولـو *** يـفـتـدي حـي – إذا مـات – أخـاه
لـفـدتـه الـنـفـس مـنـي إنـه *** لسـريـع كـلـمـا الـداعـي دعـــــــاه

وإذا كان الأمر كذلك، فلن يجد القارئ لهذه السيرة أخبار ولي الله، أبي عبد الله، بقدر ما سيجدني أناجيه، وأبث له همي وحزني على فقده، أشد من حزن ابن الرومي على ولده، حين قال يخاطب عينيه:

بـكـاؤكـمـا يشــفـي وإن كـان لا يـجـدي *** فـجـودا فـقـد أودى نـظـيـركـمـا عـنـدي
طـواه الـردى عـنـي فـأضـــحـى مـزاره *** بـعـيـدا عـلـى قـرب قـريـبـا عـلـى بُـعْـدِ

على أن القلب لم يزدد بهذه الخواطر التي ظننتها تسليني إلا حزنا وأسى، وليت وعسى!
وكما قال الشريف الرضي:

رثـيـتـك كـي أســلـوك فـازددت لـوعـة *** لأن الـمـراثـي لا تســـد الـمـرازيـا
وأعـلـم أن لـيـس الـبـكـاء بـنـافـع *** عـلـيـك ولـكـنـي أمـنـي الأمـانـيـا

وإذا كانت الآجال سهاما محتومة، والأرزاق أسهما مقسومة، فالصبر على القضاء والقدر خير للمؤمن وأتقى، والرضا بالله أبر وأبقى، والموت في حقيقته يقظة للقلوب من رقدتها، وتنبيه لها من غفلتها، فالحياة سكرة تغيب فيها عقول أهلها عن حقيقتها، كما قال سفيان الثوري: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)![1]

(١) حلية الأولياء ٧/ ٥٢، وروي هذا الأثر أيضا عن بشر الحافي الزاهد، كما في جزء حديث أبي فضل الزهري رقم ٧٢٠.

**وقال سهل بن عبد الله: (الناس نيام، فإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم).[1]**

**ولقد والله استيقظنا على خطب عظيم، وجلل جسيم، ولله در أبي تمام حين قال، وكأنما أراد برثائه محمد المفرح:**

**كذا فليجل الخطب وليفدح الأمرُ *** فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ**

**توفيت الآمال بعد محمدٍ *** وأصبح في شغل عن السفر السفرُ**

**مضى طاهر الأثواب لم تبق روضةٌ *** غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ**

**عليك سلام الله وقفا فإنني *** رأيت الكريم الحر ليس له عمرُ**

**وعزائي أني لاحق به، ماض على دربه، وما أقصر الطريق، وما أطول الأمل!**

**أيها الراحل عني أين أين *** أنت إن غبت ففي قلبي وعين**

**أتُرى أنساك لا والذي لا *** رب إلا هو رب المشرقين**

**لم تزل ذكراك في قلبي كما *** لم تزل رؤياك في عيني فأين؟**

**يا شهيدا كتب الله له *** أجره فينا وأجر الهجرتين**

**وسعيدا قد مضى مبتهجا *** في رحاب الله بعد الغربتين**

**وفقيدا قد سما المجد به *** خالدا فيه خلود الفرقدين**

**كم تبايعنا على الموت وكم *** قد تعاهدنا بلا خلف ومين**

**فوفى لله في بيعته *** وقضى ما كان من عهد ودين**

**ربح البيع أخا الصدق وكم *** خاسر في بيعه في الصفقتين**

**وبقينا بعده لا حاديا *** يحدو بالركب وهذا البين بين**

**نحمد الله على أقداره *** كل ما قدّره الرحمن زين**

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٢ / ٢٧)

**فلله ما أعطى، ولله ما أخذ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، فاللهم لك الحمد على كل حال، لك العتبى حتى ترضى، ولك العتبى إذا رضيت، ولا حول ولا قوة إلا بك.**

**اللهم وارض عن عبدك محمد المفرح رضا يغبطه عليه الشهداء والصالحون، ويرجو مثله الأولياء المتقون، اللهم وخذ بنا ومنا، حتى ترضى عنا، وتب علينا، واغفر لنا، وتولنا بولايتك، واهدنا بهدايتك، آمنا بك اللهم وحدك، ورضينا بك ربا، وبمحمد ﷺ نبيا، وبالإسلام دينا، اللهم وهذه شهادتي في الدنيا على أخي محمد المفرح، اللهم فاجعلنا ممن تقبل شهادته، وتمضي شفاعته ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ. إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم﴾...**





## بين يدي الكتاب:

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ ...

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا ءاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ...

حين عزمت على كتابة هذه الخطرات لم يخطر والله ببالي، ولا عبر بخيالي، أنها ستكون كتابا على هذا النحو، في سيرة الشيخ محمد المفرح الأمين العام (الأول) لحزب الأمة الإسلامي في المملكة العربية السعودية، والناطق الرسمي (الأول) لمؤتمر الأمة، وهي (أولية) و(أولوية) فاز بها في الدعوة في هذا العصر إلى ما أمر الله ورسوله ﷺ به من إحياء سنن الحكم الراشد في كل زمان ومكان، كما في الحديث الصحيح: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور)، والدعوة إلى وحدة الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾، وكما جاء في الحديث الصحيح: (إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا بالله شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...) فجعل توحيد الأمة السياسي رديف توحيدها العقائدي، فكان الشيخ محمد المفرح – رحمه الله ورفع قدره – ممن كتب الله له هو وإخوانه في (حزب الأمة الإسلامي) هذه الأولية، ووفقهم لهذه الأولوية في إحياء هذا الخطاب الراشدي في جزيرة العرب خاصة، وفي الأمة عامة، في فترة عصيبة لم يسبق للأمة أن عاشتها في كل أقطارها، حيث خضعت لحكم عدوها، منذ سقوط خلافتها، واحتلال بلدانها، واستعباد شعوبها، وتعطيل شريعتها، وقام في كل أرض (دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها، هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) كما جاء في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان، وقد أمر النبي ﷺ أمته – للنجاة والعصمة من هذه الفتن العامة – بالتمسك بأصلين

عظيمين هما (الجماعة وهي الأمة الواحدة)، و(الإمامة وهي الخلافة الواحدة)، فقال في آخر هذا الحديث في الصحيحين (الزم جماعة المسلمين وإمامهم)[١]، وفي لفظ في السنن (إن كان لله في الأرض خليفة فالزمه).[٢]

فكان أول من افتتح هذه الحقبة المظلمة من تاريخ الطغاة كمال أتاتورك في عاصمة آخر خلافة بعد سقوطها، ثم تتابع الطغاة – في كل بلد يسوس أمره الاحتلال الأجنبي بشكل مباشر أو غير مباشر – باتباع نهجه، واقتفاء أثره، حتى تحقق ما أخبر عنه النبي ﷺ من تبدل أحوال الأمة السياسية العامة، كما جاء في الحديث الصحيح: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله لها أن تكون، ثم يرفعها الله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.. ثم يكون ملكا عاضا... ثم يكون ملكا جبرية... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)[٣]!

وجاء في حديث أنس ذكر (الطواغيت) بعد عهد الحكم الجبري، وقبل عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة!

قال أنس رضي الله عنه: (إنها نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك عضوض، ثم جبرية، ثم طواغيت).[٤]

وقد كان للشيخ محمد في دعوته إلى الخطاب القرآني والنبوي والراشدي في الحكم وسياسة شئون الأمة، وصدعه بالحق أمام الطغاة، وهجرته، وجهاده في سبيل الله أشرف المقامات، التي تجلت حكمة الله تعالى في اختياره واصطفائه في أن تكون له الأولية والإمامة في هذه الدعوة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم!

ومن أعجب أحواله رحمه الله – وما أكثرها – أنه قرأ أول بيان لمؤتمر الأمة بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١١م، بصفته أول ناطق رسمي له، يدعو فيه بخطاب مسجل بالصوت والصورة إلى الخطاب السياسي القرآني والنبوي

---

(١) صحيح البخاري ح رقم ٣٦٠٦، وصحيح مسلم ح رقم ١٨٤٧.

(٢) سنن أبي داود ح رقم ٤٢٤٤.

(٣) أحمد في المسند ٤/ ٢٧٣، والطيالسي في مسنده ٤٣٨، وهو حديث حسن صحيح الإسناد، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح رقم (٥).

(٤) رواه الداني في السنن الواردة في الفتن للداني ح رقم ٤٢٠ قال حدثنا ابن عفان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية عن أنس به.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١ / ٩٧) مختصرا، قال حدثنا أبو أسامة، عن زائدة، عن الأعمش، عن شمر، عن أنس، قال: (إنها ستكون ملوك، ثم الجبابرة، ثم الطواغيت).

وهذا إسناد صحيح، وشمر بن عطية الراوي عن أنس ذكره ابن سعد في طبقاته في الطبقة الثالثة من أهل الكوفة، وقد توفي في حدود سنة ١٢٠ هـ، فالراجح سماعه من أنس الذي تأخرت وفاته إلى ما بعد ٩٠ هـ، خاصة أنه لم يعرف بتدليس، فعنعنته عن أنس محمولة على السماع، لثبوت المعاصرة يقينا، وكذا ثبت سماع الأعمش من شمر، ولا يحتج بقول الإمام أحمد بأن الأعمش لم يسمع من شمر بن عطية، فهذا على قاعدة من يشترط ثبوت السماع، ولا يقتصر على المعاصرة واحتمال اللقاء، وقد صحح ابن حبان رقم ٧١٠، والحاكم رقم ٧٩١٠ حديث الأعمش عن شمر (لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا)، ورواه الحاكم من طريق شعبة عن الأعمش عن شمر، وروى شعبة عن الأعمش عن شمر حديثا آخر، كما في مسند الطيالسي رقم ٣٧٨، وقال الأعمش فيه (سمعت شمر بن عطية)، وشعبة لا يروي عن الأعمش إلا ما صرح فيه بالسماع عن شيوخه، فثبت سماع الأعمش من شمر، والحديث موقوف على أنس وله حكم المرفوع فمثله لا يقال بالرأي، وقد جاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ مرفوعا، فيتقوى بها على فرض عدم سماع الأعمش من شمر.

والراشدي، ثم لم يتيسر له الظهور كناطق رسمي بعد ذلك بسبب الظروف التي تعرض لها أمنيا، حتى عاد فأصدر آخر بيان للمؤتمر بتاريخ ٢٢/ ١١/ ٢٠١٤م، بصفته ناطقا باسم مؤتمر الأمة، وذلك قبل دخوله المستشفى بأيام، وكأن الله أراد له قبل وفاته إثبات هذه الأولية في الدعوة إلى الخطاب الراشدي، ليكون له أجر هذه السنة النبوية، وهذه الدعوة الراشدية، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، كما في الحديث الصحيح، عن جرير بن عبد الله قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه، حتى رؤي ذلك في وجهه، قال ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق – فضة – ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء).[1]

وعن أبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا).[2]

وما إن شرعت في كتابة سيرته – رحمه الله ورفع قدره – حتى تتابعت شهادات المجاهدين الأبرار، وتواترت روايات الثقات الأخيار، من كل قطر على اختلاف جماعاتهم ومدارسهم، بما عرفوا من أحواله، وما شاهدوا من أفعاله، وما حفظوه من أقواله، فإذا هي تخرج الكتاب عن موضوعه الأصلي في سيرته وأخبار حياته، إلى ذكر ولايته وكراماته، وأحواله ومقاماته!

ومن هذه الشهادات التي وردت إلي في فترة قصيرة بعد وفاته شهادة:

١- الشيخ المجاهد المهاجر المفكر حسن الدقي الأمين العام لحزب الأمة الإماراتي.

٢- الشيخ نعيم التلاوي – حركة الأمة – فلسطين.

٣- الشيخ المجاهد المفكر د. حسن سلمان رئيس المؤتمر الإسلامي الأريتيري سابقا.

٤- الشيخ المجاهد المهاجر د. محمد الجبوري نائب الأمين العام لجبهة تحرير وإنقاذ العراق.

٥- الشيخ سيف الهاجري الأمين العام لحزب الأمة في الكويت.

---

(١) صحيح مسلم ح رقم ١٠١٧.

(٢) صحيح مسلم ح رقم ١٠١٨.

٦- الشيخ الخطيب المجاهد السيد فؤاد بن صالح من مؤسسي الجبهة الإسلامية في تونس، وممن سجن عشر سنين في نظام ابن علي لنشاطه الإسلامي .

٧- الشيخ محمود عبد الجبار رئيس اتحاد قوى الأمة في السودان.

٨- الأستاذ المجاهد المهاجر أبو سعيد حسن أصلان ممن كان في سجون نظام الأسد عشرين سنة بسبب ثورة حماة واتهامه بالانضمام للإخوان المسلمين، ومن مؤسسي حزب الأمة السوري.

٩- الشيخ الخطيب المجاهد السيد أبو الفداء رشاد محمد سعيد الحسيني اليماني، وكان ممن صحب الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

١٠- الأستاذ المجاهد المهاجر إياد العطية المسئول الإعلامي في جبهة تحرير وإنقاذ العراق.

١١- الشيخ نواف الضيط عضو الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري في الكويت.

١٢- الشيخ حامد العتيبي عضو الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري في الكويت.

١٣- الشيخ حجاج العجمي المشرف على الهيئة الشعبية في الكويت.

١٤- الشيخ المجاهد المهاجر المهندس محمود فتحي رئيس حزب الفضيلة في مصر.

١٥- الشيخ ارشيد الهاجري رئيس المكتب السياسي لحزب الأمة في الكويت.

١٦- الشيخ محمد مبارك الهاجري عضو الهيئة الشعبية في الكويت.

١٧- الشيخ المجاهد أبو الفاروق قائد لواء الأمة في سوريا ونائب رئيس حزب الأمة السوري.

١٨- الشيخ المجاهد المهاجر أبو حسن علي العرجاني عضو الهيئة الشرعية في جبهة النصرة.

١٩- الشيخ أبو صالح القحطاني عضو حزب الأمة الإسلامي.

٢٠- الشيخ المجاهد أبو مالك الأزدي عضو حزب الأمة الإسلامي .

٢١- السيد علي القاضي الحسني.

٢٢- عبد الله ولد الشيخ محمد المفرح.



## طريقة ترتيب الكتاب:

وقد كنت أسأل نفسي دائما مرارا وتكرارا – منذ هاجر محمد المفرح من مكة فرارا بدينه، حتى توفاه الله شهيدا بإذن الله – بِمَ بلغ محمد ما بلغ من هذه المقامات العظيمة الشريفة؟

وكيف يسر الله له القيام بها كلها على أكمل وجوهها، مع أنه لا يستطيع بعضها كثير من المخلصين الأفذاذ الذين يتمنونها، ويحبونها، ويحبون من قام بها، فلا ينالونها؟

حتى تتابعت بعد وفاته تلك الشهادات له، وكل شاهد نظر إليه من زاوية، هي في واقع الحال مقام أقامه الله فيه بتوفيقه وفضله، فرأيت ضرورة جعلها قطب رحى الكتاب، ليظل الشيخ محمد المفرح قدوة حسنة بعد وفاته، كما كان في حياته!

ولعل هذا الكتاب نفسه من كراماته، وفيض مقاماته!

فقد حبسني الله لتأليف هذا الكتاب فلم أستطع السفر قهرا، وفرغني لتأليفه، حتى سافر كل أهلي وبقيت وحدي، على غير عادتي، وأعانني الله عليه في نشاطي وصحتي، على نحو لم يكن يتهيأ لي في كتبي الأخرى، وكأنما يريد الله لهذا الكتاب أن يخرج قبل أن يجف ثرى جسده الطاهر، ليحيا من جديد – على نقيض قصد من أرادوا قتله جسديا وروحيا، وماديا ومعنويا – ليكون آية للمؤمنين، وقدوة للمصلحين!

ولعل ذلك تأويل رؤى تواترت وتواطأت رآها كثير من المجاهدين والمهاجرين في الشيخ محمد بعد وفاته، ومنهم الكاتب المصري محمد إلهامي، حيث يقول: (رأيت الليلة في منامي – وأنا قليل الرؤى جدا حتى أكاد أعدمها – أن الشيخ محمد المفرح توفي ونقل جثمانه إلى بيت أسكنه، ولكننا لم ندفنه – لا أدري لماذا ربما انتظارا لأهله، أو انتظارا لتحسن الجو – فبقي جثمانه كما هو لم يتغير حتى كنا نتعجب ونقول: لم يتغير! وبعد أيام بدأ جثمان الشيخ في الحركة رويدا، ثم نهض من جديد، واكتشفنا جميعا أنه لم يمت، وأنها كانت غيبوبة ظنها الأطباء وفاة، وحمدنا الله كثيرا أننا لم ندفنه) انتهت الرؤيا.

وقد عبرها بعض أهل التأويل بأن محمدا مات شهيدا، والشهيد حي، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾!

وأن الله سيبعث دعوته من جديد وسيكون لها شأن عظيم في جزيرة العرب وفي مصر!

كما رأى الشيخ المجاهد مصطفى الفالح أيضا رؤيا في الشيخ المفرح وفيها: (رأيت الشيخ المفرح في المنام، وكان يلبس الأبيض، في مقر المنظمة، بابتسامته المعهودة، وسألته قال: أنا لم أمت)!

وقلت: لعل من أوجه تأويل هذه الرؤى الحسنة هو أن الله سيخلد ذكره في هذا الكتاب، ليبعثه ويبعث دعوته الراشدة التي جاهد في سبيلها من جديد!

وقد كنت أعرف من أحواله رحمه الله – منذ هاجر حتى توفاه الله شهيدا سعيدا بإذن الله – أكثر مما جاء في تلك الشهادات والروايات، إلا أنها كانت إجابة شافية، وشهادة وافية، عن ذلك السؤال الذي طالما كنت أحاول – قديما ومازلت – معرفة إجابته، والوقوف على أسراره، وهو كيف تتحقق ولاية الله لأوليائه، وما شروطها وأحوالها، حتى رأيتها في محمد رحمه الله رأي العين!

وكنت أظن أني وحدي المشغول في معرفة سر الولاية في الشيخ محمد، حتى جاءتني شهادة المجاهد المفكر د. حسن سلمان عنه، فإذا هو مثلي ممن كان يشغله السؤال، لما يرى للشيخ محمد من مقامات وأحوال، حتى صحبه بعد ذلك وعرف السر، حيث قال: (كانت بداية معرفتي بالشيخ المجاهد أبي عبد الله محمد المفرح في الكويت، وذلك في عام ٢٠٠٩م، في إحدى المؤتمرات الخاصة بمؤتمر الأمة، ومنذ اللقاء الأول كان الانطباع الذي لم يفارقني طيلة وجودي معه: هو التذكير بالله، وراحة النفس عند اللقاء به، والانجذاب نحوه، بصورة تجعلك تسأل نفسك ما السر الذي بداخل هذا الرجل؟ وكثيرًا ما كنت أتذكر مقولة السلف: (بأن فلانـًا إذا رأيته ذكرت الله)، فالرجل وقور، وصامت، وذاكر، ومبتسم، وذو همة عالية، وتأثير عجيب على من حوله، وتواصلت العلاقة به، ولم تنقطع في كل من تركيا وسوريا، مما جعلني أعرف عنه بعض ما يمكن أن يشكل شهادة عن قرب عن أحواله).

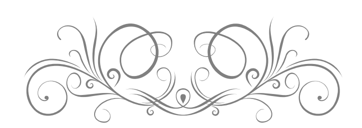
وحين تواترت الشهادات بين يدي عن الشيخ محمد رحمه الله، من هؤلاء الثقات الأخيار، والمجاهدين الأحرار، الذين صحبوه في دعوته، وهجرته، وجهاده، كنت بين خيارين، إما أن أجمعها في فصل واحد، وأوردها كما هي بلا تقطيع، كل رسالة وشهادة على حدة، وإما أن أبثها في ثنايا الكتاب، بحسب كل موضع وما يناسبه من تلك الشهادات، وما يحسن فيه من إيراد تلك الروايات، ثم لما رأيتها قد تضمنت كثيرا من مقامات

**الصالحين وأحوالهم، شرح الله صدري لترتيبها على تلك المقامات، كما في كتاب ابن القيم (مدارج السالكين)، الذي شرح فيه كتاب أبي إسماعيل الأنصاري الهروي (منازل السائرين)، ليكون الكتاب عدة لمن أراد السير إلى الله، ومعرفة مقامات أولياء الله، خاصة المجاهدين والسياسيين الذين هم أحوج ما يكونون إلى معية الله، في مواجهة الطغاة، فإذا قرؤوا سيرة محمد المفرح، وهو واحد منهم وفيهم، وقد عاصره بعضهم، علموا أن مقام الولاية مقدور لهم، وأنه في إمكانهم، وهذا أدعى أن تقوى له عزائمهم، وتنهض نحوه هممهم، بخلاف ما لو ذكر لهم أحد الأولياء في القرون التي قبلهم، لقال بعضهم: أين نحن منهم!**

**وقد قسمت هذا الكتاب إلى فصلين:**

الفصل الأول: في مقاماته وأحواله و كراماته

الفصل الثاني: في سيرته وحياته





# الفصل الأول

## في مقاماته وأحواله وكراماته





## الفصل الأول: في مقاماته وأحواله و كراماته:

### مقام الولاية أولا:

لا يمكن البدء بالحديث عن الشيخ محمد بن سعد المفرح بنسبه القرشي الشريف، وحسبه الأموي المنيف، ولا عن خلقه الكريم، وأدبه العظيم، ولا عن حسن سمته وسداده، وشجاعته وجهاده، قبل الحديث عن أبرز صفاته، وأجل ما وهبه الله واصطفاه له، وحباه به، ألا وهو مقام الولاية، فالشيخ محمد المفرح - كما يجزم بذلك كل من عرفه - ولي من أولياء الله، كملت له الولاية مقاما وحالا، في زمن قل فيه المؤمنون الأولياء، وكثر فيه الماديون الأدعياء، وكما في الحديث الصحيح: (كمل من الرجال كثير).(١)

قال النووي: (ولفظة (الكمال) تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه، والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى).(٢)

وقال القرطبي في شرحه للحديث: (الكمال: هو التناهي والتمام، وكمال كل شيء بحسبه، والكمال المطلق: إنما هو لله تعالى خاصة، ولا شك أن أكمل نوع الإنسان: الأنبياء، ثم يليهم الأولياء، ويعني بهم: الصديقين والشهداء الصالحين... والأولى أن يقال: إن الكمال المذكور في الحديث ليس مقصورا على كمال الأنبياء، بل يندرج معه كمال الأولياء).(٣)

وقد شهد كل من صحب محمدا أو عرفه بأنه من أهل الله، قد كمل في خلاله وصفاته حتى لا يكاد يعرف له عيب - وإن كان يخطئ ويصيب، ويذنب ويتوب، فلا يتنافى ذلك مع الكمال البشري للأولياء - كما سيأتي في شهادات من عرفوه وصحبوه، وقد قال عنه الشيخ أبو حسن علي العرجاني - وقد صحبة مدة في سوريا، وعاشا في بيت واحد سويا -: (لم أشهد عليه عيبا ولا سوءا)!

---

(١) صحيح البخاري ح رقم ٣٤١١، وصحيح مسلم ح رقم ٢٤٣١.

(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٨٠).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٠/ ٧٢).

وقد أعجب كل واحد ممن صحبوه وعرفوه بخلة وصفة رآها أحسن ما فيه، وما ذلك إلا إن كل واحد صادفه في مقام من مقامات الأولياء على اختلاف مراتبها، فمنهم من أعجبه صدقه وحسن توكله، ومنهم من نظر إلى ورعه وعبادته، ومنهم من أدهشه جهاده وشجاعته، ومنهم من رأى حسن خلقه وحلمه وكرمه وأدبه!

كما قال أبو الطيب:

قد زرته وسيوف الهند مغمدة *** وقد نظرت إليه والسيوف دمُ
فكان أحسن خلق الله كلهم *** وكان أحسن ما في الأحسن الشيمُ

على أني لم أر في ذلك كله من أحوال الشيخ محمد ما يوجب تدبره ودراسته كمثل ما تحقق له من منزلة الولاية لله في أكمل مقاماتها وأحوالها وكراماتها!

وليست الولاية دعوى يدعيها كل من أحب أحدا، ورأى منه أجمل ما فيه، بل للولاية شروطها، ولها مقاماتها التي ترجع إلى ما كسب العبد، وأحوالها التي تعود إلى ما وهب الرب، وهنا يكون الاصطفاء الرباني للأولياء على قدر أعمالهم، وصدقهم، وإخلاصهم، وإتباعهم للأمر والنهي، كما يظهر جليا في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالعبادة والاستعانة فعل العبد، وهي مقامات كسبية، حيث أمر الله بعبادته وحده، والاستعانة به وحده، ثم تأتي الأحوال بعده ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، وهي أحوال ربانية وهبية، فالهداية الخاصة تأتي بفضل الله وتوفيقه ومحض اصطفائه، كنتيجة وثمرة بعد تحقق مقام العبودية والطاعة، وكذا مقام المجاهدة وهو كسبي، وما يحصل بعده من هدى وتوفيق رباني وهبي ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾!

ولا تتحقق هذه المقامات والأحوال للأولياء بالأماني، ولا بصدق النية، ولا بصفاء السريرة والطوية، ولا بحسن العبادة، بل وراء ذلك كله مع أهميته وضرورته محض الاصطفاء الإلهي، فكم من محب للخير والعمل الصالح، وكم من حريص عليه، وكم من مريد له، وكم من راغب فيه، لا يقيمهم الله مقام الولاية، لتخلف أسبابها وشروطها، وما سبق في علم الله الأزلي، وما كتبه وقضاه بعدله، وما قدره بحكمته وفضله!

## كيف يعرف الأولياء:

وإنما يعرف الأولياء بثلاثة أمور:

الأول: بمقاماتهم التي يقومونها لله، من الإيمان به وتقواه، والدعوة إليه، والتوكل عليه، والجهاد في سبيله، كما قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

والثاني: بأحوالهم التي تتحقق لهم في مقاماتهم تلك، من الهداية إلى الحق، والتوفيق إلى الخير، كما قال تعالى عن كتابه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، وكما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

والثالث: بالحكمة التي يؤتيهم الله إياها ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، والحق الذي يجريه الله على ألسنتهم، حين يقومون لله بالطاعات، ويقيمهم الله بتلك المقامات، كما قال أهل السلوك: (مقامك حيث أقامك)، فيتجاوز الأمر الهداية والتوفيق، إلى الحكمة والإلهام والتحديث، كما في الحديث الصحيح: (لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر). وفي لفظ: (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر).[1]

والتحديث تارة يكون بالإلهام بالرؤيا الصادقة مناما، أو الإلهام بالرأي الصائب يقظة، وهي أحوال لا يعرفها إلا الأولياء الصادقون المؤمنون بعالم الغيب وحقائقه، التي لا يدركها الماديون الذين أشربوا في قلوبهم حبها، حتى حجبتهم عن عالم الصدق والحقيقة ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾!

## حقيقة مقام الصديقية:

وليس مقام الصديقية الذي يأتي بعد مقام النبوة في حقيقته إلا:

١ - التصديق بالنبوة، وبكل ما جاء به الأنبياء عن الله من حقائق عالم الغيب ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾، فالصديق فعيل من الصدق، وهو من بلغ الغاية في كمال صدقه بالإيمان بالغيب، وكمال تصديقه للنبي فيما أخبر، وفيما أمر، حتى كأنما يراه الصدّيق رأي العين، كما كان حال أبي بكر الصديق في حادثة الإسراء والمعراج.

(١) البخاري ح رقم ٣٦٨٩، وصحيح مسلم ح رقم ٢٣٩٨.

٢- والصدق في التصديق ذاته، حتى لا يصدر عن الصدّيق إلا الحق الذي لا كذب فيه ولا زيف، واليقين الذي لا شك فيه ولا ريب، والإخلاص الذي لا رياء فيه ولا نفاق، لا في القول والعمل، ولا في الباطن والظاهر، بل هو الإيمان المطلق بالله وبوعده ووعيده وخبره، والإخبات له، والاتباع المطلق لشرعه وأمره، فإذا بلغ المؤمن درجة الصديقية كانت الشهادة به لله على خلقه: أن أشهد الله عليهم واحدا مثلهم، وكمل فيهم ومنهم، من ليس رسولا ولا نبيا، وكانت شهادة الصديق لله بمحض التصديق الجازم والاتباع المطلق للأنبياء بأن الله حق، ووعده حق، والغيب حق، والبعث حق، والجنة حق!

٣- والقوة التي لا ضعف معها، والكمال الذي لا نقص فيه، بالإيمان بالله وحده، وتوحيده بعبادته وطاعته وحده، وتوليه وحده، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخشية منه ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ﴾.

وهو الإيمان الذي يفيض على الصديقين بأنوار الحق ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، وقال: ﴿يِا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾!

قال ابن القيم: (ومن الفرقان النور الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل، وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتم).[1]

وكما في الحديث: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله).[2]

وهو الحال الذي يشترك فيه الأولياء جميعا من الصديقين والشهداء والصالحين، كما في الحديث الصحيح: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به...).[3]

وليس للأولياء تعريف أصدق من قولهم: (الولي هو من إذا رأيته ذكرت الله)!

وكما قال أهل السلوك: (اصحب من إذا ذُكر ذُكر الله، فالله يغني به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد، ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب)

(١) إعلام الموقعين (٤ / ٢٥٨)

(٢) رواه الترمذي ح رقم ٣١٢٧، ويتقوى بشاهده عن أبي أمامة عند الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٨) (إسناده حسن)، وكذا حسنه السيوطي، واستدركه الشيخ عبد الله الدويش على الألباني في (تنبيه القاري) ح رقم ٨٩ -بتقريظ الشيخ ابن باز – وقال: (بل هو حسن كما يدل عليه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما).

(٣) البخاري ح رقم ٦٥٠٢.

وقيل: (علامة الولي ثلاثة: شغله بالله، وفراره إلى الله، وهمه إلى الله).

ولقد كان للشيخ محمد المفرح – رحمه الله ورفع درجته – الحظ الأوفر من هذه السمات، والنصيب الأوفى من هذه الصفات، فهو ممن جمع الله له وفيه أوضح ما تكون هذه العلامات، فكان همه كله لله، وفراره إلى الله، حتى هاجر في سبيل الله، كما هاجر أبوه إبراهيم حين قال لقومه: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فهداه الله وآواه، وفر إلى الله من أعداء الله، كما فر موسى ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾، وكان لا يشغله – وهو في أشد حالاته – شيء أكثر من ذكر الله، بالصلوات، وبالصوم الدائم، وقيام الليل، وقراءة القرآن، والمحافظة على الأذكار والأوراد، لا يفتر عن الذكر، ولا عن قراءة القرآن، حتى وهو بين أصحابه يتحدثون، وربما قام إلى غرفته وصلى ما شاء الله له أن يصلي ساعة أو ساعتين، ثم رجع إلى أصحابه، وانبسط في الحديث معهم بلا تكلف في العبادة، ولا تكلف في الانبساط، بل يفعل ذلك كله سجية، وأنسا بالله، وربما كنا في اجتماعات عمل لمدة أربع ساعات أو ست ساعات، وهو معنا بجسده، ومع الله بقلبه وذكره، لا يتحدث ولا يشارك في النقاش إلا لماما، ثم سرعان ما يعود إلى خلوته، فيسبح بيده أو بالمسبحة طوال الوقت، ولا يفطن إليه أحد، وكأنه يستمع للحديث، وهو مستغرق في الذكر!



الشيخ المفرح في مؤتمر "مستقبل الربيع العربي في ظل التحالف الدولي" سبتمبر ٢٠١٤م

وقد قال عنه الشيخ المهاجر المجاهد د. محمد الجبوري: (تعرفت لأول مرة على الشيخ محمد المفرح أواسط عام ٢٠١٢م في مدينة إسطنبول، في أحد مساجدها في صلاة الظهر، وقد لاحظت عليه خصلتين شدتني إليه، هما دوام بشره، ودوام ذكره لله، فقد كان لا يفتر عن التسبيح على أي حال قائما، أو قاعدا، فلسانه رطب من ذكر الله).

وما شد الشيخ الجبوري في الشيخ المفرح هو ما شد كل من رآه من عامة الناس، فضلا عن صالحيهم ومجاهديهم، الذين تتآلف قلوبهم، وتتعارف أرواحهم، قبل أن تتقابل أجسادهم، وتتلاقى أشباحهم، وإنما كان

يجذبهم إلى الشيخ محمد نور ولايته، وفيض كرامته، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وكما في الحديث الصحيح: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)[1]!

وربما اختلف المتحاورون عند الشيخ محمد وهو ساكت، فإذا أبدى رأيه في الأمر كان قوله الفصل، وكأن الله يجري الحكمة والحق على لسانه وقلبه!

كما قال عنه إياد العطية – المسئول الإعلامي في جبهة تحرير وإنقاذ العراق –: (وإذا ما جالسناه وتعمقنا في وصف وتحليل الأحداث وما تمر به الأمة من أزمات ومؤامرات تحاك ضدها، يستمع إلينا، وهو مستغرق في أذكاره وتسبيحاته، فينصت لنا حتى إذا نطق أجرى الله على لسانه كلمات من القلب، تزرع فينا الأمل بنصر الله ووعده، بعبارات سهلة، بسيطة، غير متكلفة، وهو يقرأ الأحداث من الزوايا التي لا نراها، رابطا إياها بوعد الله الذي وعده لعباده المؤمنين).

وقال عنه الشيخ حجاج العجمي حين رآه في أول اجتماع للهيئة الاستشارية بإسطنبول في يناير ٢٠١٢م: (في شتاء ٢٠١٢م شهر يناير تحديدا عقد الإخوة في (مؤتمر الأمة) اجتماعا يخص قادة العمل في الثورة السورية، ومنه تم تشكيل الغرفة الاستشارية في الثورة السورية، وكنت عضوا فيها، وكان معنا أعجوبة من أعاجيب الزمان، أمة في رجل، ورجل في أمة، الشيخ المجاهد محمد بن سعد آل مفرح، إذا تكلم سمعت الحكمة، وإذا صمت سمعت ذكرا وتسبيحا واستغفارا، ووالله وفي أول اجتماع مع الإخوة في المؤتمر كنت أشرد كثيرا عنهم، وأنا أتأمل الشيخ ابن مفرح وتمتمته بالذكر، ويده بالتسبيح! بعد أول اجتماع أراد الشيخ ابن مفرح أن نتعشى سويا في أحد المطاعم، وكلما دخلنا مكانا أقبل عليه الناس يضمونه ويقبلون رأسه ويده، دون معرفة سابقة به! فوقار الصالحين يكسو وجهه، حين رأيته تذكرت حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ قول الله تعالى ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ثم قال: (أولياء الله هم الذين يذكر الله لرؤيتهم)، وفي لفظ (أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله) –راجع الصحيحة للألباني رقم ١٦٤٦ و١٧٣٣– كذا نحسبه والله حسيبه). ولكم كنا –يعلم الله– نرجع في (مؤتمر الأمة) إلى رأيه إذا اختلفت الأهواء، وتزلزلت الآراء، والتبس الحق بالباطل، فأقف حيث يقف، وأتذكر قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾!

(١) صحيح البخاري ح رقم ٣٢٠٩.

**فكنت أنظر إذا اختلف الناس – واضطربوا فافترقوا – إلى أحوالهم مع الله، ومقاماتهم لله، فأعلم من سنن الله فيهم أن الله لا يضل عباده المتقين الصادقين، وأن ﴿اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وأنه ﴿لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، فأقف حيث يقف الشيخ محمد المفرح، لورعه وتقواه، وصدقه مع الله!**



**وكم هدينا – ويعلم الله – إلى أرشد الرأي وأصوبه برأيه ورؤاه!**

**وكنا نجد بعد ذلك من بركة رأيه وسداده ما نحمد الله عليه!**

**وإنما كنت أفعل ذلك لما ظهر لي من أن محمدا ولي لله، لا يضيعه الله، ولا يخيب رجاؤه بالله، وكما في الحديث الصحيح: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به... )!**

**ومعرفة كون هذا الإنسان وليا لله، أو عدوا لله، هو من تحقيق وتنقيح مناطات الأسماء والأحكام في الأعيان، وكلما كان الإنسان أعلم بالله وأتقى له، كان أعرف بأوليائه، وأدرى بأعدائه، كما قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾!**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الشارع بيّن الأحكام الكلية، وأما أحكام المعينات التي تسمى تنقيح المناط، مثل كون الشخص المعين عدلا أو فاسقا، أو مؤمنا أو منافقا، أو وليا لله أو عدوا له، فهذه الأمور لا يجب أن تعلم بالأدلة الشرعية العامة الكلية، بل تعلم بأدلة خاصة تدل عليها، ومن طرق ذلك "الإلهام" فقد يلهم الله بعض عباده حال هذا الشخص المعين، وإن لم يكن هناك دليل ظاهر يشركه فيه غيره... ومثل هذا كثير عند أهل الإلهام الصحيح) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.[1]**

**وقد شهد لمحمد بالولاية كل من عرفه وصحبه، وقد قال عنه الشيخ ارشيد الهاجري وكان قد رأى أحواله مع الله حين زاره في الشام: (أحسبه والله حسيبه أنه ولي من أولياء الله).**

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – (١ / ١٦٨)

وقال عنه الشيخ حامد العتيبي وكان صحبه في أرض الشام مدة: (كان ذاكرا لله جل جلاله كثيرا... وكان قائدا لا تشعر بوجوده لعدم حبه للظهور، وما علمنا عنه إلا أنه من أولياء الله جل جلاله، كما شهدنا من حاله وجهاده).

وهي من أخص صفات الولي العالم بالله، فكلما ارتفع في مقام الولاية لله، ازداد حرصا على الإخلاص في العمل، وازداد زهدا في الدنيا، وكان أحرص على تجنب الظهور، وهو ما رأيناه في الشيخ محمد، فإنه لا يمضي به يوم إلا وهو إلى الله أقرب، وفي حال هي أحسن، حتى تجرد من أسباب الدنيا كلها، فعلمت بأن الله اختاره واصطفاه لمقام الولاية!

ولا أشك بأن الله آجر محمدا رحمه الله – على إسراره لكثير من مقاماته بينه وبين ربه – بإظهار أمره بعد وفاته، ورفع ذكره، حتى عرفه من لم يسمع به من قبل، كما دعا إبراهيم ربه ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾!

قال ابن الجوزي: (فصل بين السر والعلانية: نظرت في الأدلة على الحق سبحانه وتعالى، فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيت من أعجبها أن الإنسان قد يخفي ما لا يرضاه الله عز وجل، فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين، وينطق الألسنة به، وإن لم يشاهده الناس، وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق، فيكون جوابـًا لكل ما أخفى من الذنوب، وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار، ولا يضاع لديه عمل، وكذلك يخفي الإنسان الطاعة فتظهر عليه، ويتحدث الناس بها، وبأكثر منها، حتى إنهم لا يعرفون له ذنبـًا، ولا يذكرونه إلا بالمحاسن، ليعلم أن هنالك ربـًا لا يضيع عمل عامل، وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص وتحبه، أو تأباه، وتذمه، أو تمدحه، وفق ما يتحقق بينه وبين الله تعالى فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر، وما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر الحق، إلا انعكس مقصوده وعاد حامده ذامـًا).[1]

وما كنت أشك بأن الله يلهم الشيخ المفرح الصواب لشدة حبه لله ولدينه ولرسوله ﷺ وسنته، وتحريه حكم الله ورضاه في كل شأنه، وكم تعرضنا في (مؤتمر الأمة) إلى محن كبرى، وفتن تترى، فكنت أرقب موقف الشيخ المفرح وأين يقف، فلا أتجاوزه لصدقه في تحري الحق، وجهاده غاية الاجتهاد في مرضاة الله، مما لا يتحقق مثله إلا بفضل معية الله لعبده، أخذا بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾!

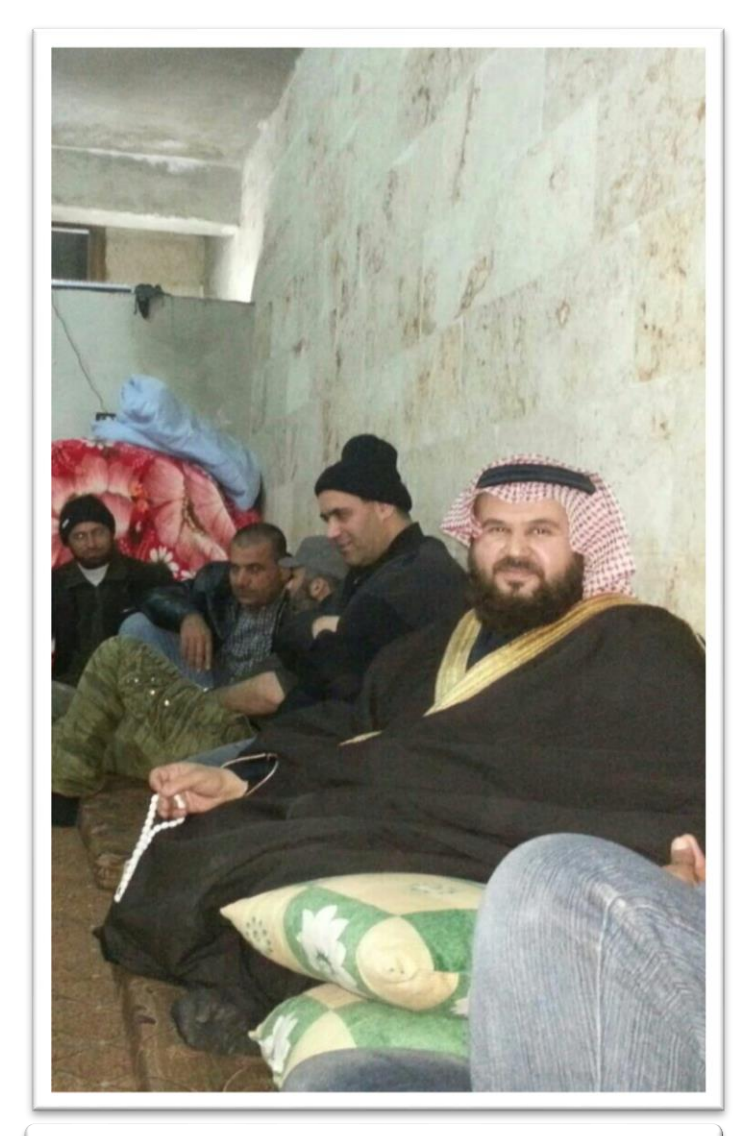
(١) صيد الخاطر ص ١٥.

**فإن الله جل جلاله مع أوليائه المجاهدين الصادقين يحوطهم برعايته، ويكلؤهم بولايته، ويهديهم بهدايته، فلا يضلون أبدا والله معهم، ولا يخيبون وهو غايتهم، ولا يخافون وهم يفرون إليه، ولا يخذلهم وهم يتوكلون عليه.**

**وقد صحبه الشيخ المجاهد الداعية السيد أبو الفداء رشاد محمد سعيد الحسيني اليماني في الشام مدة – وكان الشيخ رشاد ممن صحب الشيخ أسامه بن لادن – فقال عنه: كان الشيخ محمد المفرح (كثير التدبر، والتفكر، والذكر... إن سكت فكر، وإن اختلى خطط، وإن تكلم وفق وسدد وأحسن، صمته دعوة، ونطقه توجيه وإرشاد، ونظرته رحمة ومواساة وإحسان، وحركته خير وبركة...).**




**وقال عنه الشيخ أبو صالح القحطاني: (وقد صدق مع الله فيما نحسبه ولا نزكيه على الله، ولكن هذا ما بدا لنا والسرائر نكلها إلى الله وحده، وما أوتي إلا كرامة الأولياء، وإني لأحسبه ممن قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾، فوالله ما رأيته إلا ذاكراً تاليـًا، شاكرًا صابرًا، داعيًا مبتسمًا، صامتًا عما لا يعنيه، مصليًا، حليمًا حبيبًا، والحق يقال أنه جمع ما بين أدائه لحق ربه من ذكره وشكره وحسن عبادته، وأدائه لحقوق الخلق من الكرم ودماثة الخلق وحسن المحيا وطيب الخصال والفعال، وكم سمعت من كرامات هذا الولي في جهاده ونضاله، وما يأتيه وما يدفع عنه، ولقد سمعت من بعض الأفاضل أنه رؤي له رؤيا، و(لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا يراها المؤمن أو ترى له)، كما صح بذلك عن نبينا وحبيبنا محمد ﷺ ، فعبرها أحد المعبرين أن الشيخ محمد مؤيد بالرؤى! فو الذي برأ النسمة، وفلق الحبة، إنه لربما رأى الرؤيا فجاءت كفلق الصبح، وأي كرامة إن لم تكن هي تلك، وأي ولاية نالها وحازها ذلك الهمام الشجاع الشهيد بإذن الله تعالى).**



الشيخ محمد المفرح في مقره بريف إدلب مع بعض قيادات لواء الأمة

وقد أجمع كل من عرفوه، وكل من صحبوه على أنه موفق إلى الخير، مسدد إلى الرشد، في أقواله وأفعاله، مجتهد في العبادة والطاعة غاية الاجتهاد، حتى وهو في أرض الرباط والجهاد، كما شهد له به الأستاذ أبو سعيد حسن أصلان – وكان أبو سعيد قد قضى زهرة شبابه في سجن تدمر في سوريا عشرين سنة بتهمة أنه من الإخوان، وبتهمة المشاركة في أحداث حماة سنة ١٩٨٢م، وخرج من السجن سنة ٢٠٠٢م وصحب الأخيار الأبرار – فصحب الشيخ المفرح مدة ووصف حاله بقوله: (قدر الله لي أن ألقاه في منطقة – وادي الضيف – وأنزلني ضيفًا عنده لعدة أيام أنام معه في غرفة واحدة، لِأرى من خصاله وشمائله التي لا تُعرف بتفاصيلها إلا في مثل هذه الحالة، لقد كان قليل الكلام، كثير الابتسام، يحب الصلاة بالليل والناس نيام، فوالله لا أذكر أني استيقظت ليلًا إلا ورأيته في الصلاة، ولك أن تتصور الصلاة والوضوء في منطقة حرب لا يوجد بها كهرباء ولا ماء إلا ما جيء بأوان كاد يتجمد من شدة البرد، فكانت الصلاة في الليل هي الملجأ الذي يحميه ويحفظه في ظروف شديدة القساوة كهذه، لقد رأيته في حالات أكثر نعومة، وأوفر حظًا – بما يرتبط بالماديات – ووالله لم أجده بسعادة وهناء كتلك التي رأيته بها في هذه الظروف القاسية).

كما صحبه الشيخ حجاج العجمي في الشام فأخبر عنه أنه (كان يقوم الليل في مضافة المهاجرين المجاهدين في إدلب، ويحثهم على قيام الليل في الليالي الباردة، وكان يرفع صوته بقوله: تزينوا يا شباب للقاء الله! تزينوا للقاء الله، فيصلي من الليل ما شاء الله)!

وقد كان الشيخ أبو مالك الأزدي قد صحبه وقام بخدمته نحوا من شهر في أرض الشام فقال: (أحمد الله عز وجل أن جعلني أقوم بخدمة رجل أحسبه ولا أزكيه على الله أنه من المجاهدين الصادقين الذين قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾، فإني أحسبه من الصادقين رحمه الله، كنت أرمقه ببصري بين الفينة والأخرى فكنت أراه يحرك شفتيه بذكر الله).

وقد تعرض الشيخ محمد وهو في أرض الشام لحريق كاد يودي بحياته، بسبب خطأ بعض جنوده، فلم ير منه إلا الصبر وإكثار الذكر، ومداعبة الجندي وتهدئة روعه!

قال الشيخ حجاج العجمي وقد شهد الحادثة – وكان في زيارة مع وفد من الهيئة الشعبية لتقديم الإغاثة للأهالي في المناطق المحررة – إن محمدا لم يزد حين تعرض للحريق على ترديد كلمة (يا حبيبي يا ألله! يا حبيبي يا ألله)!



الشيخ محمد المفرح بعد تعرضه للحريق شهر ٦ سنة ٢٠١٣م

وقد كان الشيخ أبو حسن على العرجاني – شرعي جبهة النصرة – في زيارته حين وقع الحادث فقال: (وفي آخر أيام وجوده في سوريا التقيت معه مرة أخرى في ريف إدلب المحرر، حيث اجتمعنا في ضيافته بحضور عدد من الإخوة والزوار، فقام بنفسه ليباشر العمل حيث قام بإعداد الطعام لنا بنفسه، وقد كان فرحًا بتواجد الإخوة كعادته، وفي هذا اليوم أصيب بحروق صعبه جدًا، وحاول أن لا يشغلنا بهذه الحروق التي أصابته، ولكن لم تجعل له خيارا بسترها عنا، فحاول الإخوة إسعافه ومعالجته وكان من شدة الألم يقول: (حبيبي ياألله) ويكررها مرات عدة، ثم يدعو للمجاهدين، وللأمة الإسلامية، إلى أن استدعى الأمر بالإخوة إلى إخراجه لتركيا للعلاج

فيها، وجلس فترة من الزمن هناك حتى أن سمعنا خبر وفاته، فرحمه الله من رجل جاهد بكلمة الحق وبالنفس والمال وهاجر من دياره لتكون كلمة الله هي العليا).

وقد كان الشيخ أبو مالك الأزدي مع الشيخ المفرح حين تعرض للحريق فأخبر عنه فقال:
(جاءنا اتصال من بعض الأحبة أنهم قادمون إلينا معهم بعض المساعدات وبعض الدعم للفصائل المجاهدة، فقال لي الشيخ محمد: هل تعرف للأكلة الشعبية الفلانية؟

قلت له: نعم!

قال: الإخوة قادمون ونريد إكرامهم.

فقلت: ولكن ينقصنا بعض الطلبات وهو يعرف أن المنطقة التي كنا فيها وهي "ريف إدلب" شحيحة مما أطلبه، ولكنه سبق وأن رأى ما أطلبه منه في اللاذقية.

فذهب في جولة إلى هناك زائرا بعض الإخوة ثم جاءني بما طلبته، وهذا من كرمه غفر الله له يريد إكرام الضيوف بالتي واللتيا.

في تلك اللحظات أصيب بإصابة بالغة، وكانت بالخطأ من أحد جنده، وكان هذا المجاهد يقف عند رأسه ويبكي متأسفا لما حدث، فكان يلاطفه ويقول: طيب يا فلان لازم نقتص منك! ويضحك، فكان ذلك المجاهد يبكي ويشتد بكاؤه عندما يسمع هذا الكلام، لأنه يعلم أنه ملاطفة من قائده كي لا يحزن ويؤنب نفسه على هذا الخطأ!

ولقد مكثت أطببه وكم كنت أسمعه ذاكرا لله يدعو لأهل البلاء، وايم الله إني سمعته كذلك في مرضه كان يدعو للأمة الإسلامية! فأي خلق هذا وأي هم يحمله هذا الرجل القائد!

وحتى أثناء مرضه ذاك كنت أنام بجانبه كي أكون في خدمته أثناء الليل، لأنه عادة يشتد عليه المرض إذا جن الليل، وكنت الوحيد معه في تلك الغرفة، فكان يحتاج لدورة المياه، وكان يتحرج جدا جدا في إيقاظي من نومي، مع العلم أنه كان يجد صعوبة بالغة في الحركة، ولكن بفضل الله كان نومي خفيفا جدا، وهناك من يحتاجني لتمريضه، مع علمي بحيائه الشديد في طلبه مني إيصاله لدورة المياه، وكان يهمس بصوت خفيف جدا لا يريد إزعاجي، ولكنه كان في حاجة شديدة، فكان يهمس يقول: أبو مالك! وكنت بفضل الله أسمعه لأول وهلة، فأهب فورا لندائه، فكان يعتذر بشده قبل طلبه، ويدعو لي ويقول – بحرقة وحياء – أريد دورة المياه، ووالله قد كنت أقوم بتمريضه وأشعر أنه هو صاحب الفضل علي!

وكانت إصابته متزامنة مع إعدادي الطعام للضيوف، فعندها تركت إعداد الطعام، وهرعت لنجدته، وكاد قلبي أن ينخلع من مكانه فرقا وخوفا عليه، فلم أعد أهتم بإعداد الطعام، وكان في تلك اللحظات قد وصل الضيوف، وآلمهم ذلك وهم إخوة قبل أن يكونوا ضيوفا، فكان في تلك اللحظات الحرجة يقول: يا أبو مالك أكرم الضيوف، فلم يعد همه نفسه، بل كان يريد إكرام ضيوفه، ولقد نزلت عند رغبته كي أقر عينه، وإلا ما كنت لأدعه في تلك اللحظات الحرجة، وقد انتهيت من إعداد الطعام وأكرمنا الإخوة الضيوف المجاهدين، وكنت قد عزلت له منه شيئا يسيرا، لعلمي بأنه كان يشتهيه منذ سنين، لأنه خرج في سبيل الله تاركا رغد العيش، وتلك الملايين التي تركها خلف ظهره، ولم يأبه بها، بل كان همه الأمة الإسلامية، وكان حرا لا ينام على ضيم، فنفر إلى سبيل الله ضاربا بحياة النعيم والترف عرض الحائط، فلله دره، وكم نحن بحاجة لمثل هذا الصقر الحر... وكنت أطعمه بيدي، وكان يقول: بيض الله وجهك! يا أبو مالك بيض الله وجهك!

وكنت أحبذ البقاء معه لتمريضه، وأعلم حاجته لي، ولكنه كان يرفض أن أبقى معه، ويقول لي: الإخوة المجاهدين بحاجتك يا أبو مالك، بحكم أنهم وضعوني في اللجنة الشرعية في اللواء، فكنت أطوف على بعض السرايا والفصائل أعلم بعضهم بعض ما جهله من أمور دينهم، لأنهم غيبوا عن السنة الصحيحة وزرعت البدع في دينهم بسبب تسلط النظام).

وقد كانت حادثة الحريق تلك التي تعرض لها الشيخ محمد في الصيف، في شهر ٦ سنة ٢٠١٣م، وقد اتصل بي الشيخ سيف الهاجري ساعتها، وقال لي: أين أنت؟

فقلت: في البيت!

فقال: أنا قادم إليك الآن، هناك أمر مهم يخص الشيخ محمد، فيبدو أنه تعرض لقصف أو عملية اغتيال!

فانتظرته خارج المنزل قلقا، فلما جاءني، قال لي: كنت قبل قليل مع الشيخ محمد في اتصال عبر السكايب، وفجأة وقع منه الجهاز وأخذ يكبر ويهلل، وصرخ الناس من حوله، ولا أسمع إلا صوته يذكر الله، ولم يرد علي أحد، وكأنهم تعرضوا لقصف!

فانتظرنا ساعة فإذا الإخوة يردون من جهاز هاتفه بأنه تعرض لحريق خطير، وهم يحاولون إسعافه، ثم نجاه الله منه!

قال الشيخ سيف الهاجري عن تلك الحادثة: (عندما كان الشيخ محمد في سوريا ٢٠١٣م، وفي عصر أحد الأيام، وكنت أكلم الشيخ محمد المفرح بالسكايب، وفجأة سمعت صوت تكبير، وارتفعت الأصوات حوله، والجهاز شغال أسمع ما يدور، فإذا الشيخ محمد يهلل ويكبر، ويستعيذ بالله من النار، ومن عذاب الله، ويدعو للأمة بالنصر، ويردد (يا حبيبي يا الله يا حبيبي يا الله)، فظننت أنهم تعرضوا لهجوم أو قصف، وانقطع الاتصال، واتصلت بالشيخ حامد العتيبي – وكان في زيارة له مع وفد من الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري – فبلغني تعرض الشيخ محمد للحريق، فتعجبت من صبره، وتذكره لله، ودعوته للأمة، وهو في هذه الحالة، هذا ما سمعته بالهاتف من حاله، ولكنني رأيته منه رأي العين وهو في مرض موته، فبعد أن أجريت له عملية لوضع أنبوب تصريف للصفراء يخرج من جنبه، عثر بسلك الأنبوب، وآلمه ألما شديدا، مضافا على ألم المرض، فكان ما سمعته منه عند تعرضه للحريق في سوريا، سمعته منه مرة أخرى ورأيته رأي العين في مرض موته، وكان يكثر من قول: يا حبيبي يا الله).

## تعريف الولاية ومقاماتها وأحوالها:

وقد عرّف أهل السلوك والسير إلى الله حقيقة الولي والولاية، فقال القشيري:

(الولي: له معنيان: أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته.

والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتوالى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي، من غير أن يتخللها عصيان!

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء... فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع).[1]

وقال الجرجاني: (الولاية من الولي وهو القرب، فهي قرابة حكمية حاصلة من الموالاة، وهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وفي الشرع تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى، والولي فعيل بمعنى الفاعل، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى المفعول فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، والولي: هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات).[2]

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١١٧.

(٢) التعريفات ص ٣٢٩.

## تعريف المقام والحال:

قال ابن القيم شارحا كلام الهروي في منازل السائرين إلى رب العالمين: (والمدارج هي المنازل والمقامات التي يترقى العبد فيها إلى المقصود، وقد تكون المدارج الطرق التي يسلكها إليه، ويدرج فيها).[١]

وقال الجرجاني: (المقام من اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك).[٢]

وقال في تعريف الحال: (والحال عند أهل الحق معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أولا، فإذا دام وصار ملكا يسمى مقاما، فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود).[٣]

قال ابن القيم في تعريف المقام عند أهل السلوك والسير إلى الله: (والمقام عندهم منزل من منازل السالكين، وهو يختلف باختلاف مراتبه وله بداية وتوسط ونهاية).[٤]

وقال أيضا: (المقامات هي منازل في طريق المطلوب، فكل أمر أقيم فيه السالك من حاله الذي يقدمه إلى مطلوبه فهو مقام).[٥]

وقال أيضا: (وسئل الجنيد عن العارف فقال: (لون الماء لون إنائه)، وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبودية، وهو أن يتلون بتلون أقسام العبودية، فبينا تراه مصليا إذ رأيته، ذاكرا أو قارئا، أو معلما أو متعلما، أو مجاهدا أو حاجا، أو مساعدا للضيف، أو مغيثا للملهوف، فيضرب في كل غنيمة من الغنائم بسهم، فهو مع المتعلمين متعلم، ومع الغزاة غاز، ومع المصلين مصل، ومع المتصدقين متصدق، فهو يتنقل في منازل العبودية من عبودية إلى عبودية، وهو مقيم على معبود واحد لا ينتقل إلى غيره).[٦]

ولقد رأينا وشاهدنا من مقامات الشيخ محمد التي أقامه الله فيها، حتى ضرب في كل غنيمة منها بسهم، ومن أحواله، وكراماته، ما لا يمكن معه نسبته وعزوه إلى تدبير الإنسان لنفسه، منذ خرج من بيته مهاجرا إلى الله،

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٦٤)

(٢) التعريفات ص ٢٨٩.

(٣) التعريفات ص ١١٠

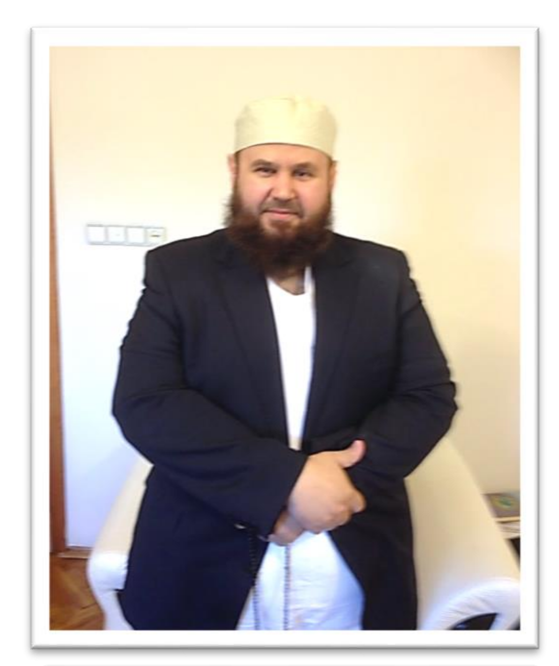
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٠٦)

(٥) مدارج السالكين (٣/ ١٩٠)

(٦) مدارج السالكين (٣/ ٣٤٢)

حيث كان الله يحوطه ويكلؤه، وكان هو قد سلم أمره لله ولقضائه وقدره، وسيأتي في أخباره مما أعرفه، ومما شهد به من صحبوه ما يصدق فيه قوله تعالى: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾!

وكان من أعجب ذلك أنه صادف يوم تعرضه لعملية الاغتيال الأخيرة بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠١٤م، قدومنا من الكويت أنا والشيخ سيف الهاجري، وكنا ساعتها في مطار إسطنبول ننتظر تأشيرة الدخول عصرا، وكأن الله قد جاء بنا من أجله، وسخرنا لخدمته، وخدمة أهله، في هذا الظرف العصيب علينا جميعا، فبقينا ثلاثة أسابيع ونحن لا هم لنا ولا شغل إلا متابعة قضيته، وتأمين مكانه، وترتيب أموره، وأمور أسرته، وكانت زوجته في الحجز لدى مركز الأمن، بعد أن توجهت لهم لتقديم بلاغ بالحادث، فتم احتجازها بدعوى انتهاء إقامتها، ورفضت كل الجهات الرسمية إطلاقها إلا بحكم قضائي، قد يستغرق مدة طويلة!



بعد تعرضه لمحاولة الاغتيال في مايو ٢٠١٤م

وكنت أقول للشيخ سيف وقد بدأ يفكر في تأجيل سفرنا وعودتنا إلى الكويت، مع أنه لا يمكنني تأجيل العودة، بسبب ظروف العمل، فقلت له: إن الله جاء بنا وسخرنا في هذه الرحلة كلها للشيخ محمد، وسينتهي الأمر بإذن الله قبل سفرنا، فلا تغير موعد الحجز!

فما جاء يوم سفرنا المحدد في التذكرة إلى الكويت، إلا وقد خرجت زوجته من الحجز، قبل سفرنا بساعات فقط!

بينما كان الشيخ محمد كل الوقت في خلوته مع الله آمنا مطمئنا، قد تكفل الله له بأمره وأمر أهله!

فالماديون يقولون محض الصدف، والربانيون يقولون محض اللطف ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾!

### دخول المقامات في اسم الإيمان والشهادة لأهلها:

ولا يقتضي إثبات الولاية وكمالها لعبد من عباد الله إثبات العصمة له، بل هو عرضة للوقوع في الذنب كما في الصحيح: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[1]، فإثبات وصف الولاية لمن شهد له المؤمنون

(١) الترمذي ح رقم ٢٤٩٩ وحسنه الألباني، وصححه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٧٢.

بالولاية، كإثبات وصف الإيمان لمن شهد له المؤمنون بالإيمان، كما في الحديث: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان).[1]

وقد قال سعد بن أبي وقاص للنبي ﷺ في شأن رجل: (يا رسول الله! ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا! فقال: أو مسلما؟).[2]

فلم ينكر النبي ﷺ على سعد شهادته للرجل بالإيمان، وإن كان النبي ﷺ قد علم من حاله خلاف ما رأى سعد منه!

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: (مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي ﷺ: (وجبت)، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: (وجبت)، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ (قال: هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض).[3]

وعن أبي الأسود قال: جلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمرت بهم جنازة فأثني على صاحبها خيرا، فقال عمر رضي الله عنه: وجبت! ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها خيرا فقال عمر رضي الله عنه: وجبت! ثم مر بالثالثة فأثني على صاحبها شرا، فقال: وجبت! فقال أبو الأسود: فقلت وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي ﷺ: (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة، قال وثلاثة، فقلنا واثنان، قال واثنان، ثم لم نسأله، عن الواحد).[4]

## إطلاق وصف الولاية على أهلها:

ولا حرج من إطلاق هذا الوصف على من شهد له به أهل الصلاح والفضل، وقد ألف أبو نعيم الأصبهاني كتابه (حلية الأولياء)، وعد فيهم خلقا من السلف والخلف، ممن بلغوا درجة الولاية عنده.

وقال الحافظ الذهبي: (الكتاني أبو بكر محمد بن علي بن جعفر: القدوة، العارف، شيخ الصوفية... وكان من الأولياء، توفي: سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة).[5]

---

(١) رواه الترمذي ح رقم وحسنه، وصححه ابن خزيمة ح رقم ١٥٠٢، وابن حبان في صحيحه ح رقم ١٧٢١، والحاكم ٢/ ٣٣٢.

(٢) صحيح البخاري ٢٧.

(٣) صحيح البخاري ح رقم ١٣٦٧.

(٤) صحيح البخاري ح رقم ١٣٦٨.

(٥) سير أعلام النبلاء - (١٤/ ٥٣٣).

وقال: (الحرمي أبو سعد محمد بن الحسين بن محمد الإمام، الحافظ، القدوة... وكان زاهدا عابدا ربانيا... وقال الواعظ أبو حامد الخياط: (إن كان لله بهراة أحد من الأولياء، فهو هذا، وأشار إلى الحرمي).[1]

وقال عن القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي: (الإمام، العلامة البليغ، القاضي الفاضل، محيي الدين... قال العماد: ذو الوفاء والمروءة، والصفاء والفتوة، وهو من الأولياء الذين خصوا بالكرامة، لا يفتر مع ما يتولاه من نوافل صلاته، ونوافل صلاته).[2]

وقال الذهبي أيضا: (عبد الرزاق بن عمر الدمشقي العابد ثقة من الأولياء).[3]

قال الشوكاني: (والحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء، إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله، مقيما لما أوجب الله عليه، تاركا لما نهاه عنه، مستكثرا من طاعاته، فهو من أولياء الله تعالى، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع ، فهي موهبة من الله عز وجل، لا يحل لمسلم أن ينكرها، ومن كان بعكس هذه الصفات، فليس من أولياء الله سبحانه، وليست ولايته رحمانية، بل شيطانية، وخوارقه من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس، والمعيار الذي لا يزيغ، والميزان الذي لا يجور: هو ميزان الكتاب والسنة، فمن كان متبعا لهما، معتمدا عليهما، فكراماته وجميع أحواله رحمانية، ومن لم يتمسك بهما، ولم يقف عند حدودهما فأحواله شيطانية).[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (جميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ويدخل في ذلك ما قد يسمى مقاما وحالا مثل الصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا والخشية والإنابة والإخلاص والتوحيد وغير ذلك).[5]

وقال أيضا: (أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وما يتبع ذلك: كل ذلك واجب على جميع الخلق المأمورين بأصل الدين باتفاق أئمة الدين، والناس فيها على

(١) سير أعلام النبلاء – (١٩ / ٢٠٢).

(٢) سير أعلام النبلاء – (٢١ / ٣٣٨).

(٣) الكاشف رقم ٣٣٦١.

(٤) قطر الولي للشوكاني ص ٢٧٢.

(٥) مجموع الفتاوى – (٧ / ٦٤٢)

ثلاث درجات، كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات أيضا: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، فالظالم العاصي بترك مأمورات، وبفعل محظورات، والمقتصد المؤدي للواجبات، والتارك للمحرمات، والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومستحب، والتارك للمحرم والمكروه، وإن كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه، إما بالتوبة والله يحب التوابين، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك، وكل من السابقين والمقتصدين أولياء الله، فإن أولياء الله تعالى هم الذين قال فيهم تعالى ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، فحد أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وأما الظالم لنفسه فهو من أهل الإيمان فمعه ولاية بقدر إيمانه وتقواه، كما معه ولاية الشيطان بقدر فجوره، إذ الشخص الواحد يجتمع فيه الحسنات والسيئات حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل السنة).[1]

## شروط الولاية وعلاماتها:

قال ابن القيم: (وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾، فقد ذكر لهم أربع علامات:

أحدها: أنهم أذلة على المؤمنين، قيل معناه: أرقاء رحماء مشفقين عليهم، عاطفين عليهم، فلما ضمن أذلة هذا المعنى عداه بأداة على، قال عطاء: للمؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده.

الثانية: وعلى الكافرين كالأسد على فريسته، أشداء على الكفار رحماء بينهم.

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهذا علامة صحة المحبة، فكل محب يأخذه اللوم عن محبوبه، فليس بمحب على الحقيقة).[2]

## الأولياء ورثة الأنبياء:

فمقام الولاية لا يكون إلا بقدر ميراث المؤمن والولي من دعوة الرسول والنبي ﷺ، وبقدر اقتداء المؤمن والولي بالنبي ﷺ، حالا ومآلا، نقصا وكمالا، وكما أن عمل الأنبياء هداية الخلق إلى الله، ودعوتهم إليه، وصبرهم على

(١) مختصر الفتاوي المصرية (٢ / ٥٠)

(٢) مدارج السالكين (٣ / ٢٢)

أذاهم، والجهاد في سبيل الله، فكذلك الأولياء، فما كان ولي لله، ولا يكون أبدا، من لم يأخذ بحظه من الابتلاء في سبيل الله، كما في الحديث الصحيح: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة).[1]

قال ابن القيم: (فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأملت سيرته مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلون الأحوال عليه من سلم وخوف، وغنى وفقر، وأمن وإقامة في وطنه، وظعن عنه وتركه لله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله، فلم يؤذ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاها، وأسمعهم عنده شفاعة، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفا وفضلا، وساقه بها إلى أعلا المقامات، وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل، كل له نصيب من المحنة يسوقه الله به إلى كماله، بحسب متابعته له، ومن لا نصيب له من ذلك فحظه من الدنيا حظ من خلق لها وخلقت له، وجعل خلاقه ونصيبه فيها، فهو يأكل منها رغدا، ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب، يمتحن أولياء الله وهو في دعة وخفض عيش، ويخافون وهو آمن، ويحزنون وهو في أهله مسرور، له شأن ولهم شأن، وهو في واد وهم في واد، همه ما يقيم به جاهه، ويسلم به ماله، وتسمع به كلمته، لزم من ذلك ما لزم، ورضي من رضي، وسخط من سخط، وهمهم إقامة دين الله وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غيره، ورسوله المطاع لا سواه، فلله سبحانه من الحكم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء؟).[2]

## ترتيب المقامات والأحوال:

وقد جعل الله – من رحمته بعباده المؤمنين – السير والوصول إليه على ثلاث مقامات كبرى:

١ – أولها وأعمها وأشملها بالإسلام، وشرائع الأحكام، التي لإصلاح الأعمال والظواهر.

٢– وأوسطها بأحكام الإيمان التي هي لاستقامة القلوب والضمائر.

٣– وأعلاها وأخصها أحكام الإحسان، التي هي لإخلاص السرائر.

(١) صحيح ابن حبان ح رقم ٢٩٠٠.

(٢) مفتاح دار السعادة (١ / ٣٠١)

كما في حديث جبريل في الصحيح عن الإسلام وهو عمل الظاهر: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا).

ثم قال عن الإيمان وهو عمل الضمائر: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

ثم قال عن الإحسان والشهود القلبي الحاضر بإخلاص السرائر: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).[1]

فالإسلام كالباب، من دخله دخل القصر فأمن من الخوف، والإيمان كالديوان ودخول الإيوان، حيث يرى من ولجه العرش، فيأنس بالقرب، والإحسان كرفع الحجاب، عمن اصطفاه الله للخطاب، فإن كان نبيا فبالوحي الجلي، وإن كان وليا فبالوحي الخفي، كالرؤيا والإلهام.

قال ابن القيم: (النبي ﷺ كان يندب إلى أعلى المقامات، فإن عجز العبد عنه: حطه إلى المقام الوسط، كما قال: (اعبد الله كأنك تراه)، فهذا مقام المراقبة الجامع لمقامات الإسلام والإيمان والإحسان، ثم قال: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فحطه عند العجز عن المقام الأول إلى المقام الثاني، وهو العلم باطلاع الله عليه ورؤيته له ومشاهدته لعبده في الملأ والخلاء، وكذا الحديث الآخر: (إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا)، فرفعه إلى أعلى المقامات، ثم رده إلى أوسطها إن لم يستطع الأعلى، فالأول: مقام الإحسان والذي حطه إليه: مقام الإيمان).[2]

وقال أيضا: (واعلم أن ترتيب هذه المقامات ليس باعتبار أن السالك يقطع المقام ويفارقه وينتقل إلى الثاني، كمنازل السير الحسي هذا محال، ألا ترى أن اليقظة معه في كل مقام لا تفارقه، وكذلك البصيرة، والإرادة، والعزم، وكذلك التوبة، فإنها كما أنها من أول المقامات فهي آخرها أيضا، بل هي في كل مقام مستصحبة، ولهذا جعلها الله تعالى آخر مقامات خاصته، فقال تعالى في غزوة تبوك وهي آخر الغزوات التي قطعوا فيها الأودية والبدايات والأحوال والنهايات: ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فجعل التوبة أول أمرهم وآخره... وكذلك الصبر فإنه لا ينفك عنه في مقام من المقامات، وإنما هذا الترتيب ترتيب المشروط المتوقف على شرطه المصاحب له، ومثال ذلك أن الرضا مترتب على الصبر، لتوقف الرضا عليه، واستحالة ثبوته بدونه، فإذا قيل إن مقام الرضا أو حاله - على الخلاف بينهم هل هو مقام أو حال - بعد مقام الصبر، لا يعني به أنه يفارق الصبر،

---

(١) صحيح البخاري ح رقم ٥، وصحيح مسلم ح رقم ٨.

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٢١٧)

وينتقل إلى الرضا، وإنما يعني أنه لا يحصل له مقام الرضا حتى يتقدم له قبله مقام الصبر، فافهم هذا الترتيب في مقامات العبودية).[1]

## الفرق بين المقامات والأحوال:

وقد اختلف أهل السلوك في التفريق بين المقال والحال، فقيل لا فرق بينهما، وقيل المقام كسب العبد، والحال وهب الرب، قال ابن القيم: (ولأرباب السلوك اختلاف كثير في عدد المقامات وترتيبها، كل يصف منازل سيره، وحال سلوكه، ولهم اختلاف في بعض منازل السير، هل هي من قسم الأحوال؟

والفرق بينهما: أن المقامات كسبية، والأحوال وهبية.

ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات، والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملا، كان أعلى مقاما، وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالا!

فمما اختلفوا فيه الرضا هل هو حال أو مقام؟

فيه خلاف وحكم بينهم بعض الشيوخ فقال: إن حصل بكسب فهو مقام، وإلا فهو حال).[2]

## الفرق بين المنن على الأولياء والحجج عليهم:

قال ابن القيم: (وكل قبول في الناس وتعظيم ومحبة له، اتصل به خضوع للرب، وذل، ومعرفة بعيب النفس، والعمل، وبذل النصيحة للخلق، فهو منة، وإلا فهو حجة!

وكل بصيرة وموعظة وتذكير وتعريف من تعريفات الحق سبحانه إلى العبد، اتصل به عبرة، ومزيد في العقل، ومعرفة في الإيمان، فهي منة، وإلا فهي حجة!

وكل حال مع الله تعالى، أو مقام اتصل به السير إلى الله، وإيثار مراده على مراد العبد، فهو منة من الله، وإن صحبه الوقوف عنده والرضا به، وإيثار مقتضاه من لذة النفس به وطمأنيتها إليه، وركونها إليه، فهو حجة من الله عليه!

فليتأمل العبد هذا الموضع العظيم الخطر، ويميز بين مواقع المنن والمحن، والحجج والنعم، فما أكثر ما يلتبس ذلك على خواص الناس وأرباب السلوك، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).[3]

---

(١) مدارج السالكين (١ / ١٣٣)

(٢) مدارج السالكين (١ / ١٣٥)

(٣) مدارج السالكين (١ / ١٧٣)

## الشيخ محمد بين المقامات والكرامات:

وإذا كان كل ما سبق من حديث عن الأولياء ومقاماتهم، وأحوالهم وكراماتهم، كلاما نظريا، فقد كان الشيخ محمد المفرح أنموذجا عمليا، تمثلت به الولاية، وتولته العناية، وقادته الهداية، في حياته كلها، كما سيأتي في ذكر أحواله ومقاماته وبعض كراماته.

## الغاية من ذكر مقامات الشيخ محمد وكراماته:

وإنما القصد من ذلك كله استنهاض همم النشء الإسلامي الجديد - الذين هم أمل هذه الأمة في تحقيق الإصلاح الذي كان الشيخ محمد المفرح يؤمن به، ويدعو إليه، ويجاهد في سبيله - وبعث القيم الإيمانية الروحية، في هذا العصر الذي طغت عليه القيم المادية، ليتخذوا من رجل - أدركناه وعايشناه - قدوة حسنة في دعوتهم إلى الله على بصيرة، وجهادهم في سبيله على علم، حتى لا يظنوا أن الولاية حصر على العبّاد، أو قصر على الزهاد، ولا يستطيعها السياسيون والمصلحون، مع أنهم هم الأحق بها، والأولى لها، إذا صلحت الأعمال، وصدقت النيات، وهل كان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان وعلي رضي الله عنهم إلا أولياء ربانيين، وسياسيين مصلحين!

وإذا كان للأولياء في سيرهم إلى الله مراحل يقطعونها، ومقامات ينزلونها، حتى يبلغوا درجة الولاية، فسيرى القارئ لسيرة هذا السياسي القائد، وفي حياة هذا المهاجر المجاهد، أوضح المثل لتلك المراحل، وأجلى ما تكون حقيقة تلك المنازل، بعيدا عن سفسطة المتكلمين، وطلاسم المتصوفين!

فقد بدأ الشيخ محمد منذ سنة ١٤٢٥هـ - بعد قراءته لكتاب (الحرية أو الطوفان دراسة تاريخية لمراحل الخطاب اليساسي الإسلامي) وكتاب (تحرير الإنسان وتجريد الطغيان دراسة في أصول الخطاب السياسي الإسلامي)، وسماعه لمحاضرة (الخطاب السياسي الإسلامي الراشدي) - بالفكرة والتذكرة واليقظة والتبصرة، في أمر الإصلاح، كما يريده الله ورسوله ﷺ، وكما في قوله تعالى عن دعوة نبيه شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، فلم تأخذ الفكرة من محمد وقتا، حتى اهتدى لحقيقتها، وحقق مقام الإيمان بأمر الله ورسوله بها، وبوجوب الإصلاح وإقامة الحكم الراشد الذي شرعه الله لعباده، ثم مقام العلم بهذا الأمر العظيم، ثم مقام الدعوة إليه، ثم الصدع ومواجهة الملأ به منذ مطلع سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، حيث أدرك الشيخ محمد المفرح بأنه لا إيمان بالله بلا كفر بالطاغوت بكل صوره، ولا إصلاح في الأرض بلا جهاد بالكلمة والقوة، ولا تمكين للمؤمنين، بلا مواجهة بالحق للظالمين، فكان همه

جهادهم بالكلمة، كما في الحديث: (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره فنهاه، فقتله)، وكما في قوله ﷺ وقد سئل عن أفضل الجهاد فأجاب: (كلمة حق عند سلطان جائر)!

ثم الهجرة في سبيل الله إلى تركيا، ثم الجهاد لإعلاء كلمة الله في أرض الشام، حتى مات شهيدا سعيدا بإذن الله تعالى! فكملت له مقامات الجهاد كلها، خلال عشر سنين ( ١٤٢٥ هـ - ١٤٣٦ هـ)، (٢٠٠٤م - ٢٠١٤م) علما وإيمانا ودعوة وصدعا بالحق وهجرة وجهادا واستشهادا!

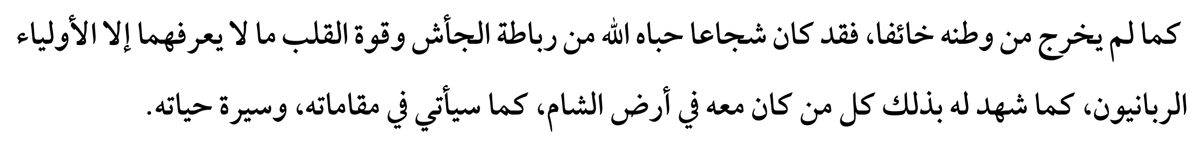
وقد قام الشيخ محمد المفرح في هذا الأمر مقامات الصديقين، فكان أول توفيق الله له قيامه بنفسه وإخوانه في (حزب الأمة الإسلامي) بالإعلان عن وجوب الإصلاح، والعودة إلى الخطاب القرآني والنبوي والراشدي في سياسة شئون الأمة، ووجوب إقامة دولة وحكومة راشدة، كما جاء في الأمر النبوي (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين)، ثم قيامه مع بعض إخوانه بتقديم خطاب للديوان الملكي في الرياض فيه هذه الدعوة بتفاصيلها، مما يعده الماديون ضربا من الجنون، كما هو شأنهم في كل عصر مع الأنبياء وأتباعهم ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾!

ثم لما اعتقل أصحابه المؤسسون للحزب جميعا بعد الإعلان عنه بأيام، قام المقام الثاني وهو مقام الهجرة بعد مقام الدعوة والصدع بالحق، فخرج في سبيل الله مهاجرا من وطنه، ومن بلده مكة أحب البقاع إلى نفسه، حيث رأى وجوب الهجرة في حقه، وأنها صارت فرض عين عليه، ليكون لسان إخوانه الذين زُجّ بهم في السجون ظلما - كرئيس الحزب الشيخ عبد العزيز الوهيبي، ونائبه الشيخ أحمد الغامدي، فك الله أسرهما - فلم يسعه البقاء في وطنه مع السكوت، وتذكر قول الملائكة لمن آثروا العيش في الوطن على القيام بأمر الله ﴿قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾!

وقد تعرض في هجرته كما هي سنة الله في المهاجرين من قبله إلى محن وفتن، من فقر وحاجة، ومن خوف وحذر، ومن عزلة وانقطاع، ومن اغتراب وبعد عن الأهل والولد، فثبت ثبوت الجبال، فرحا بما اختاره الله له ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾!

فلم يهاجر الشيخ محمد من حاجة أو فقر، فقد كان غنيا وجيها جميلا، قد آتاه الله من الدنيا حظا وافرا، ولو أراد الدنيا لجاءت إليه وهي راغمة، وقد عرض عليه بعد هجرته الأموال والمناصب حتى يعود، فأبى وآثر ما عند الله على ما عند الطغاة!

ولم يخرج حنقا ساخطا، فقد آتاه الله حلما وسعة صدر يضرب بهما المثل، حتى كأنما هو جده معاوية رضي الله عنه صورة وخلقا قد ولد من جديد!



كما لم يخرج من وطنه خائفا، فقد كان شجاعا حباه الله من رباطة الجأش وقوة القلب ما لا يعرفهما إلا الأولياء الربانيون، كما شهد له بذلك كل من كان معه في أرض الشام، كما سيأتي في مقاماته، وسيرة حياته.

وكذلك لم يكن خروجه قرارا طائشا متعجلا، فقد اتصف رحمه الله بالأناة والريث طبعا وجبلة!

لقد خرج الشيخ محمد مهاجرا في سبيل الله، إلى الله، وبالله، ومع الله، فخرج طاعة لله برؤيا، واختار دار هجرته تركيا برؤيا، وجاهد في أرض الشام برؤيا!

وهذا مقام التفصيل لمقاماته رحمه الله راعيت فيها ترتيب أهل السلوك، وهو الترتيب الاصطلاحي الفني، وكذلك ترتيبها الزمني، كما شاهدتها بنفسي، وكما شهد له بها المهاجرون الأخيار، والمجاهدون الأبرار، وتركت من المقامات ما لم يذكر في تلك الشهادات، لا لعدم معرفتي بها من أحواله، وإنما عملا بما جاء في صحيح البخاري (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا: وقال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[1]، ورواه البيهقي عن علي بلفظ: (أيها الناس أتريدون أن يكذب الله ورسوله! حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون).[2]

## أولا: مقام اليقظة والبصيرة والفكرة والعزيمة:

فالتذكر واليقظة والاستبصار هي أول بواعث الهداية، وأول مراحل سير المؤمن إلى الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾، فرأوا بإشراقة قلوبهم، وأبصروا بنور أفئدتهم وبصائرهم، وعرفوا حقيقة نفوسهم، وحقوق ربهم، وما يجب لله عليهم، وحقيقة دنياهم، وما هم فيه، وما هو صائر إليه!

وهذه المنازل لا ينفك عن السير فيها كل عبد أراد الله به خيرا، سواء كان مؤمنا استيقظ بعد أن ركن إلى الفترة، أو غير مؤمن عاد برحمة الله إلى الإسلام والفطرة.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، بإعمال عقولهم وقلوبهم وتفكرها في الذكر، وهو القرآن الذي أنزله الله رحمة بهم، وهدى لهم، ليذكرهم بحقيقة وجودهم، وحقوق ربهم عليهم، وغاية خلقهم، ونهاية أمرهم، والعدل الذي شرعه الله لهم، ويتفكرون في بيان النبي ﷺ وهي السنة التي جاءهم بها، والحكمة والموعظة التي دعاهم لها.

(١) صحيح البخاري ترقيم فتح الباري (١ / ٤٤)

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - (٢ / ٩) بإسناد صحيح.

قال القشيري: (إنما يمس المتقين طيف الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر اللّه، ولو أنهم استداموا ذكر اللّه بقلوبهم لما مسّهم طائف الشيطان، فإن الشيطان لا يقرب قلبا في حال شهوده الله، لأنه ينخنس عند ذلك، ولكن لكل صارم نبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل عابد شرة، ولكل قاصد فترة، ولكل سائر وقفة، ولكل عارف حجبة، قال ﷺ: (إنه ليغان على قلبي)، فأخبر أنه يعتريه ما يعترى غيره، وقال ﷺ: (الحدّة تعتري خيار أمتي)[1]، فأخبر أنّ خيار الأمة وإن جلت رتبتهم لا يتخلصون عن حدّة تعتريهم في بعض أحوالهم).[2]

وقد كانت هذه اليقظة والفكرة أول ما خطر على الشيخ محمد المفرح، فأزعجته وحركته - وقد ناهز سن الأربعين قضاها منذ نشأته في طاعة الله وعبادته كما سيأتي في سيرته نشأته - وذلك حين قرأ كتاب (الحرية)، وعرف أصول الخطاب السياسي القرآني والنبوي والراشدي، بعد صدور الكتاب سنة ٢٠٠٣م، وكنت قد أتيت إلى مكة في عمرة أو حج آنذاك ومعي نسخ من الكتاب، وأعطيت بعضها د. أحمد الغامدي وهو صاحب الشيخ المفرح وخليله، وقد كان الاحتلال الغربي الصليبي للعراق آنذاك، وسقوط بغداد سنة ٢٠٠٣م، قد هز وجدان العالم العربي والإسلامي، من أقصاه إلى أقصاه، وكان هو الحدث السياسي الأهم، والجلل الأعظم[3]، بعد أن رأت الأمة بالصوت والصورة عبر الفضائيات كيف تآمرت دولها الوظيفية، لتسهيل الطريق للجيوش الصليبية، لتحتل العراق، وتدخل بغداد، وتقتل الملايين من شعبه، وتهجر الملايين من أهله، وكان حديث عامة العلماء في مكة والدعاة والمصلحين آنذاك كيف حدث ما حدث؟ وما المخرج مما حدث؟

فوجد الشيخ محمد المفرح بغيته في الكتاب، الذي هزه وأيقظه، وأجاب له عن أسئلة طالما كانت تؤرقه، فكان بعد ذلك يكرر علي السؤال: كيف غاب هذا الخطاب عن الأمة مع وضوحه؟

وكان يقول دائما لكل من لقيه: والله كأننا نيام فاستيقظنا بعد كتاب (الحرية)، وكتاب (التحرير)!

وما هي إلا فترة حتى صار بعث الخطاب السياسي الإسلامي الراشدي قضيته، ووحدة الأمة همه وهمته، فلم يترك أحدا ممن يثق به من أهل مكة وجدة وأبها والرياض من الدعاة والمصلحين إلا وزاره وأهداه الكتب، ثم بعد محاضرتي في ديوان د. سعود مختار عن (الخطاب السياسي الإسلامي) سنة ٢٠٠٥م، نشط في توزيعها - هو وإخوانه ممن أسسوا بعد ذلك حزب الأمة الإسلامي - على أشرطة الكاسيت وأقراص السيدي، وكان يصور الكتاب، وينسخ المحاضرات، ويزود بهما كل من يعرفه، فشرح الله صدره لهذا الأمر حتى لم يعد له هم

---

(١) الحديث رواه أبو يعلى رقم ٢٤٥٠، والطبراني ٩/ ٣٥٥، من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، كما قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ح رقم ٢٦، وله شاهد عند ابن أبي شيبة في المسند رقم ٦١٦ عن أبي منصور الفارسي وإسناده مقبول إلا إنه مرسل.

(٢) لطائف الإشارات (١ / ٥٩٨)

(٣) وقد كتب الشيخ المفرح في حسابه على التويتر ٢٨ أبريل ٢٠١٣م عن الاحتلال الصليبي الغربي للعراق واصفا إياه بـ "أعظم جريمة عرفها التاريخ في العصر الحديث الحرب الصليبية على العراق وأفغانستان، وأعظم منها أن تكون جزيرة العرب منطلقا لتلك الحروب".

إلا الدعوة إليه، والتفكر فيه، وكان يؤثّر في نفسه كثيرا عدم تجاوب كثير من الدعاة وطلبة العلم معه خوفا على دنياهم!

وقد فتح الله على الشيخ محمد في فهم موضوع الخطاب الراشدي كما جاء في الأمر النبوي الحق (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة).[1]

وكما جاء في الوعد والخبر النبوي الصدق (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)!

ولقد آتاه الله في هذا الأمر فهما وبصرا وبصيرة، شهد له به كل من عرفه، كما قال عنه الشيخ المفكر حسن الدقي: (وكانت نظرته لمستقبلهم – أي: الطغاة – تعتمد على قراءة سنن التغيير، وعلى وعي كامل بمنهج الحكم في الإسلام، الذي ينبغي أن تسعى الأمة لإحيائه وتطبيقه وهو نظام (الحكم الراشدي)، وكانت له نظرة ثاقبة حول أهمية التغيير في جزيرة العرب، وأنه ما لم يحدث هذا التغيير فلن يستقر للأمة تطبيق دينها، ورجوع سيادتها وحريتها).

## حقيقة اليقظة والبصيرة:

قال ابن القيم في مقام اليقظة والبصيرة ثم الفكرة ثم العزيمة: (فصل في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التي ينتقل فيها القلب منزلة منزلة، في حال سيره إلى الله، فأول منازل العبودية: اليقظة وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، ولله ما أنفع هذه الروعة! وما أعظم قدرها وخطرها! وما أشد إعانتها على السلوك! فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة، فإذا انتبه شمر لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى...

فأخذ في أهبة السفر فانتقل إلى منزلة العزم، وهو العقد الجازم على المسير، ومفارقة كل قاطع ومعوق، ومرافقة كل معين وموصل، وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه، وبحسب قوة عزمه يكون استعداده، فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة الفكرة، وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملا، ولمّا يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه، فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة، فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه...

فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل، كأنه يشاهده رأى عين، فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل، وتضرره بمخالفتهم.

---

(١) رواه أبو داود ح رقم (٤٦٠٧)، والترمذي ح رقم (٢٦٧٨)، وابن ماجه ح رقم (٤٢)، وقال الترمذي: (حسن صحيح).

وهذا معنى قول بعض العارفين: البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به.

وقال بعضهم: البصيرة ما خلصك من الحيرة، إما بإيمان، وإما بعيان.

والبصيرة على ثلاث درجات من استكملها فقد استكمل البصيرة: بصيرة في الأسماء والصفات، وبصيرة في الأمر والنهي، وبصيرة في الوعد والوعيد).[1]

وهذه البصيرة في معرفة أحكام الله الشرعية وسننه القدرية هي ما تحقق للشيخ محمد المفرح، كما قال عنه الشيخ د. محمد الجبوري: (قال لي الشيخ محمد المفرح: إن طال بك العمر فستدرك بواكير الخلافة الراشدة التي وعد الرسول ﷺ أمتنا بها، فإن هذا الحكم الجبري الذي أرهق الأمة آيل إلى الزوال، وقد أذن الله بانعتاق الأمة من ربقته وظلمه، وفساده واستبداده، وسينفرط عقده سريعا، كتتابع حبات العقد المنفرط!).

ومن تأمل هذه الكلمات الموجزة للشيخ المفرح وجد فيها من اليقين بوعد الله ورسوله ﷺ، والإيمان الجازم بخبرهما ما يؤكد بلوغ الشيخ مقام البصيرة، وهو ما صدقه بعد ذلك عزمه وهمته، وجهاده واستشهاده!

قال ابن القيم: (من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ التي لا يكون العبد من أهلها حتى ينزل منازلها: اليقظة والبصيرة والفكرة والعزم، وهذه المنازل الأربعة لسائر المنازل كالأساس للبنيان، وعليها مدار منازل السفر إلى الله، ولا يتصور السفر إليه بدون نزولها البتة، وهي على ترتيب السير الحسي، فإن المقيم في وطنه لا يتأتى منه السفر حتى يستيقظ من غفلته عن السفر، ثم يتبصر في أمر سفره وخطره، وما فيه من المنفعة له والمصلحة، ثم يفكر في أهبة السفر والتزود وإعداد عدته، ثم يعزم عليه، فإذا عزم عليه وأجمع قصده انتقل إلى منزلة المحاسبة وهي التمييز بين ماله وعليه، فيستصحب ماله، ويؤدي ما عليه، لأنه مسافر سفر من لا يعود، ومن منزلة المحاسبة يصح له نزول منزلة التوبة، لأنه إذا حاسب نفسه عرف ما عليه من الحق، فخرج منه وتنصل منه إلى صاحبه، وهي حقيقة التوبة، فكان تقديم المحاسبة عليها لذلك أولى، ولتأخيرها عنها وجه أيضا، وهو أن المحاسبة لا تكون إلا بعد تصحيح التوبة).[2]

وهذه حال الشيخ محمد المفرح، فقد تحقق له مقام البصيرة في هذه الدعوة إلى وحدة الأمة، والدعوة إلى عودة الخلافة الراشدة، كما قال عنه الشيخ رشاد وقد صحبه في أرض الشام فوصف حاله وأنه (إذا تكلم جد وابتسم، مشاركته محدودة، لكنها ثاقبة وموفقة، وبأسلوب في غاية اليسر والتأثير... ذا نظر ثاقب في قضايا الأمة).

وقال عنه الأستاذ إياد العطية: (وإذا ما جالسناه وتعمقنا في وصف وتحليل الأحداث وما تمر به الأمة من أزمات ومؤامرات تحاك ضدها، يستمع إلينا، وهو مستغرق في أذكاره وتسبيحاته، فينصت لنا حتى إذا نطق أجرى الله

---

(١) مدارج السالكين (١ / ١٢٢)

(٢) مدارج السالكين (١ / ١٦٩)

على لسانه كلمات من القلب، تزرع فينا الأمل بنصر الله ووعده، بعبارات سهلة، بسيطة، غير متكلفة، وهو يقرأ الأحداث من الزوايا التي لا نراها، رابطا إياها بوعد الله الذي وعده لعباده المؤمنين).

وقال عنه الشيخ المهندس محمود فتحي: (كان الشيخ محمد رحمه الله هادئـًا متزنـًا، قليل الكلام، لكنه إن تكلم نفع، وكان ذا رأي سديد بين إخوانه، بل ومن يرقب نظراته في المجالس العامة يجده مبتسمـًا محايداً في الظاهر، لكنه في حقيقة أمره يدرس ويحلل الأمور والشخصيات والحوادث والتوجهات، وكم لفت انتباهي لأمور حدثت لم أتفطن بها، فإذا أخبرني انتبهت... لم يكن رحمه الله مكثرا من الحديث في الجملة، لكنه إذا جد الجد كان رأيه في الجملة مسددا، وكان ذا كلمة مسموعة بين أصحابه ويعرفون له قدره).

وإنما رأى هؤلاء المجاهدون الشيخ محمد المفرح في مقام البصيرة التي أنارت له الطريق، وكأنما يرى وعد الله وخبر رسوله ﷺ رأي العين، لا يخطئه بصره، ولا يزيغ عنه نظره!

وفي الوقت الذي كان يسخر منه الماديون المفتونون بطغاتهم، وهم يرثون لحاله، كيف فارق جاههم، وترك ملأهم، وعرّض نفسه لما لا قبل له به! كان الشيخ محمد حينها قد جد به السير، وابتهج بالمسير، وتركهم خلف ظهره، هم وطغاتهم، وأموالهم وجاههم، وعقد العزم على الوصول إلى الله، وشد البيعة مع الله، على بصيرة من الله، إلى حيث وعد الله، وقد هتف به المؤمنون الموحدون، والمجاهدون الربانيون (ألا ربح البيع أبا عبد الله! ألا ربح البيع ولي الله)!

## ثانيا: مقام الإيمان بالله وتوحيده:

وهو أجل مقام يهفو إليه السائرون، ويؤمّه المؤمنون الموحدون، وتتفاوت فيه مراتبهم، على قدر رسوخ أقدامهم، والعمل بعد ذلك يصدقه، والجهاد يحققه، وكلما استقام المؤمن في طريق السير إلى الله، كان ذلك أدل على تحقق توحيده لله، فإنه لا يكون ذلك إلا بإسلام الوجه إليه وحده، وإلا بالقصد إلى الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾، فليس حال من تنازعه الشركاء، وتخاصم فيه الغرماء، فاضطرب سيره، وحارت وجهته، وضل طريقه، كمن ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فكلما أسلم العبد وجهه لله وحده، واتجه إليه وحده، تحقق له السير والاستقامة على الصراط المستقيم ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وكما أخبر ابن عباس عن وصية النبي ﷺ، قال: (كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء

قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).(١)

وفي رواية أخرى: (فقال: يا غلام، قلت: لبيك يا رسول الله! قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا، واعلم أن مع الصبر النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر).(٢)

وقد كان الشيخ محمد المفرح – رحمه الله ورفع مقامه – قد قام في هذا الأمر مقاما لم يسبقه إليه أحد ممن هم في جيله، علما وعملا وجهادا، ولم يكن له أو معه من أسباب القوة شيء، إلا إيمانه بالله وحده، وإلا توحيده المطلق لله ربا وإلها وملكا وحكما ووليا، فآمن بالله وحده، وكفر بالطاغوت كله، وبكل صوره الحجرية والبشرية، فكان ذلك هو النور الذي اهتدى إلى الله به، وهداه الله به إليه، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾!

وكان الشيخ محمد المفرح قد تعاهد مع الشيخ عبد العزيز الوهيبي في ليلة مزدلفة في حج عام ١٤٣١ هـ على الدعوة إلى الله وحده، والكفر بالطاغوت كله، وكنت شاهدا عليهما – كما سيأتي في قصة حياته – فوفى بعهده، وأوفى بعقده، فكان لا يدعو بعد ذلك أحدا إلا ويحقق معه مقام التوحيد، كما أخبر عنه د. محمد الجبوري: (قلت للشيخ محمد المفرح مرة ممازحا في حوار معه: إن مداراة الطواغيت قد نضطر إليها أحيانا كي ندفع شرهم!

فقال: اكفر بهم جميعا، وبأسيادهم، واستغن بالله وحده، فهو الكافي)!

فكان الشيخ محمد المفرح قد حقق هذا المقام علما واعتقادا وعملا، كما وصفه أيضا الشيخ الجبوري بقوله: (قوي العقيدة، ذاكرا لله، موحدا له، كافرا بالطاغوت).

---

(١) سنن الترمذي ح رقم ٢٥١٦ وقال: حسن صحيح، ووافقه الألباني.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦٢٣) وصححه.

والشيخ د. محمد الجبوري هو من هو في الدعوة إلى التوحيد والسنة في العراق منذ أربعين سنة، علما، ودعوة، وتربية، وعملا، وجهادا للطغاة، ثم للاحتلال!

## حقيقة الطاغوت وأنواعه:

قال ابن القيم عن حقيقة الطاغوت وأنواعه:

(أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكّم الطاغوت، وتحاكم إليه.

والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع!

فطاغوت كل قوم:

١ - من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله.

٢- أو يعبدونه من دون الله.

٣- أو يتبعونه على غير بصيرة من الله.

٤ - أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم تحول من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول، إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله، إلى الطاغوت ومتابعته).[1]

وقال أيضا في المدارج في بيان حقيقة الطاغوت: (والطاغوت اسم لكل ما عبده من دون الله، فكل مشرك إلهه طاغوته، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية على ما ذكره صاحب المنازل - أبو إسماعيل الأنصاري الهروي - في التوحيد، فقال بعد أن حكى كلامه إلى آخره، أما التوحيد الأول الذي ذكره فهو التوحيد الذي جاءت به الرسل من أولهم إلى آخرهم، ونزلت به الكتب كلها، وبه أمر الله الأولين والآخرين، وذكر الآيات الواردة بذلك، ثم قال وقد أخبر الله عن كل رسول من الرسل أنه قال لقومه: ﴿اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وهذه أول دعوة الرسل وآخرها... والقرآن مملوء من هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الآخرة به، وحقيقته إخلاص الدين كله لله، والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق تعالى في قلبك، وتنفي إلهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء، وحقيقته أن تفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وكذلك بموالاته، وسؤاله، والاستغناء به، والتوكل عليه، ورجائه، ودعائه، والتفويض إليه، والتحاكم إليه،

---

(١) إعلام الموقعين - (١ / ٥٠)

واللجإ إليه، والرغبة فيما عنده، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾... وهذا في القرآن كثير بل هو أكثر من أن يذكر، وهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وذروة سنامه، وقطب رحاه، وأمرنا تعالى أن نتأسى بإمام هذا التوحيد في نفيه وإثباته كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾...).[١]

وقد كان الشيخ محمد المفرح قد تحقق عنده هذا الأصل علما ومعرفة، وعملا وحالا، ودعوة وجهادا، كما قال عنه الشيخ المهندس محمود فتحي: (قليلون هم الذين يؤثرون في تكويني الفكري، وأقل منهم الذين يؤثرون في تكويني الوجداني، وقد كان أبو عبد الله أحد هؤلاء رحمه الله تعالى... وكان الجامع لعموم نصائحه جملتان، ولكل واحدة منهما قصة:

الأولى: قوله لي: (اكفر بالطاغوت يا محمود)، وكانت والله نصيحة غالية، دفعتني لبيان البراءة والعداوة من طاغوت مصر، ومن طاغوت كل مصر، أما أصل الكلمة فكانت رحلة حج له رحمه الله، رافقه فيها الشيخ عبد العزيز الوهيبي، وفي منى قال له ولجمع من أصحابه: ابسطوا أيديكم وبايعوني على الكفر بالطاغوت، ثم أعادها عليهم ثلاثًا أو أربعا، وهم يتابعونه على ذلك حتى قبل منهم)!

وظل الشيخ محمد رحمه الله تعالى على عهده لإخوانه، حتى لقي ربه، وظل داعية للكفر بالطاغوت، والإيمان بالله إلى آخر أيامه...).



وما ذكره الشيخ محمود عن الشيخ محمد المفرح هو أصل دعوته - رحمه الله - لكل داعية وعالم ومجاهد، فلا يواجه أحدا، إلا ويدعوه للإيمان بالله حقا وصدقا، لا ادعاء وتقليدا، والقنطرة عنده في صحة دعوى الإيمان: كفر من ادعاه بالطاغوت كله، والإعلان عن ذلك!

وقد قال لأهله قبيل دخوله المستشفى، وقبل وفاته، بعد أن عرض عليه الملأ مائة مليون ريال على أن

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٨٢)

يرجع إلى دينهم وملتهم، فقال يوصي أهله: (إيش مائة مليون! أنا آمنت بالله، وكفرت بالطاغوت، عليها أحيا، وعليها أموت)!

## أولية مقام توحيد الله:

وتوحيد الله - باعتقاد أنه سبحانه واحد لا شريك له ذاتا وصفة وفعلا وحكما وطاعة وعبادة - هو أول واجب على المكلف شرعا، ولا يقبل الله من عبده عملا، قبل توحيده أصلا، وهذا لا ينافي أولية مقام اليقظة والتذكرة والفكرة والبصيرة والعزيمة، فهذا مقامات أولية باعتبارها مقدمات ضرورية عقلية للسلوك والوصول إلى توحيد الله، فلا يتصور تحول المكلف من الكفر أو الشرك بالله، أو الغفلة أو الفترة، فجأة بلا يقظة وفكرة، لينتقل إلى الإيمان والتوحيد الذي هو أول واجب عليه شرعا، دون عبورها، والمرور بها!

فوجوب اليقظة والفكرة على المكلف من باب وجوب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فليست هي مرادة لذاتها، بل المراد منها الإيمان والتوحيد ذاته، كما خاطب القرآن المشركين ودعاهم للتفكر ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾!

قال ابن القيم: (مقام التوحيد أولى المقامات أن يبدأ به، كما أنه أول دعوة الرسل كلهم، قال النبي ﷺ ، كما في الصحيحين، لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)، وفي رواية إلى: (أن يعرفوا الله) - وفي رواية: (أن يوحدوا الله)[1] - ولأنه لا يصح مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال إلا به، وهو مفتاح دعوة الرسل، وأول فرض فرضه الله على العباد).[2]

وقال أيضا: (مشهد التوحيد: وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته، وأنه ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، فالقلوب بيده، وهو مقلبها ومصرفها كيف شاء وكيف أراد، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، هذا فضله وعطاؤه، وما فضل الكريم بممنون، وهذا عدله وقضاؤه، لا يسأل عما يفعل

(١) صحيح البخاري ح رقم ٧٣٧٢.

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٣٤)

وهم يسألون، قال ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا : الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيده.

وفي هذه المشهد يتحقق للعبد مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، علما وحالا، فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية، ثم يرقى منه صاعدا إلى توحيد الإلهية، فإنه إذا تيقن أن الضر والنفع، والعطاء والمنع، والهدى والضلال، والسعادة والشقاء، كل ذلك بيد الله لا بيد غيره، وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء، وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانه، ولا مخذول إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه، وأن أصح القلوب وأسلمها وأقومها، وأرقها وأصفاها، وأشدها وألينها، من اتخذه وحده إلها ومعبودا، فكان أحب إليه من كل ما سواه، وأخوف عنده من كل ما سواه، وأرجى له من كل ما سواه، فتتقدم محبته في قلبه جميع المحاب، فتنساق المحاب تبعا لها كما ينساق الجيش تبعا للسلطان، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات، فتنساق المخاوف كلها تبعا لخوفه، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء، فينساق كل رجاء تبعا لرجائه، فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب، والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية، أي باب توحيد الإلهية هو توحيد الربوبية، فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج عليهم به، ويقررهم به، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية!

وفي هذا المشهد يتحقق له مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، أي فأين يصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله، وعن عبادته وحده، وهم يشهدون أنه لا رب غيره، ولا خالق سواه، وكذلك قوله: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾، فتعلمون أنه إذا كان هو وحده مالك الأرض ومن فيها، وخالقهم، وربهم، ومليكهم، فهو وحده إلههم ومعبودهم، فكما لا رب لهم غيره، فهكذا لا إله لهم سواه).[1]

وقال أيضا: (التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك... قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾، فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل رَضِوَاللَّهُعَنْهُ وقد بعثه إلى اليمن: (إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة)، وذكر الحديث وقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله).[2]

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٤١٠)

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٣)

## أقسام التوحيد:

والتوحيد شيء واحد، وهو إفراد الله جل جلاله بكل ما يجب له وحده لا شريك له، اعتقادا وعلما، وطاعة وعملا.

وإنما يُقسم تقسيما اصطلاحيا استقرائيا إلى ثلاثة أقسام (الربوبية – والإلهية – والأسماء والصفات)، أو إلى قسمين: علمي خبري، وطلبي أمري.

فالأول: التوحيد العلمي المعرفي: وهو إفراد الله عن المحدثات بكل ما يجب له اعتقادا علميا قلبيا:

وذلك بتوحيده سبحانه لا شريك له في ذاته الواجب الوجود أزلا ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

والواجب الوجود أبدا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

وتوحيده في الخلق والأمر ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾.

وتوحيده في الملك والربوبية ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

وتوحيده في الحكم القدري والشرعي في الدنيا، والجزائي يوم القيامة ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾، ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

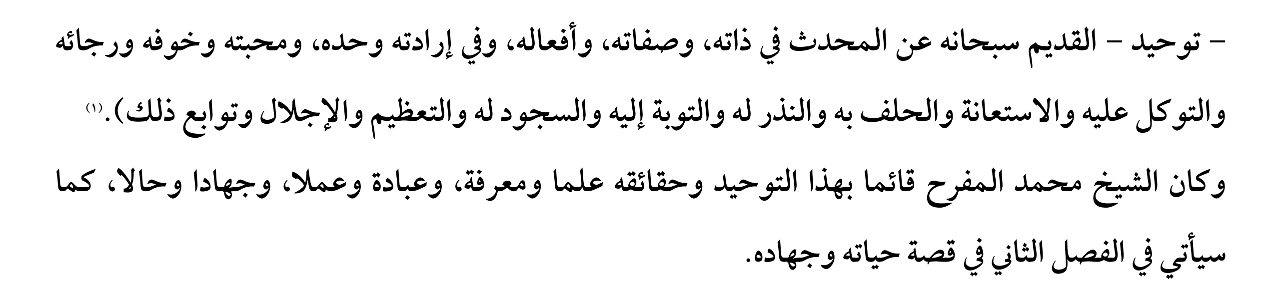
وتوحيده في أسمائه ﴿وَللهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وتوحيده في صفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

وتوحيده في أفعاله ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وتوحيده في قضائه وقدره ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ﴾.

والثاني: التوحيد العملي: وهو إفراد العبد ربه وحده لا شريك له بكل ما يجب له من العبادة والطاعة والتحاكم، وكل ما هو من حقوقه جل جلاله على خلقه، سواء من عمل الظاهر، أو عمل الباطن، كما قال ابن القيم: (والنوع الثاني من الإفراد إفراد القديم عن المحدث بالعبادة، من التأله والحب والخوف والرجاء والتعظيم والإنابة والتوكل والاستعانة وابتغاء الوسيلة إليه، فهذا الإفراد وذلك الإفراد بهما بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وشرعت الشرائع، ولأجل ذلك خلقت السموات والأرض، والجنة والنار، وقام سوق الثواب والعقاب، بتفريد



– توحيد – القديم سبحانه عن المحدث في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وفي إرادته وحده، ومحبته وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة والحلف به والنذر له والتوبة إليه والسجود له والتعظيم والإجلال وتوابع ذلك).[1]

وكان الشيخ محمد المفرح قائما بهذا التوحيد وحقائقه علما ومعرفة، وعبادة وعملا، وجهادا وحالا، كما سيأتي في الفصل الثاني في قصة حياته وجهاده.

## ثالثا: مقام الصدق:

وهو أجل مقام بعد مقام الإيمان بالله وتوحيده، وهو الصدق مع الله، والصدق في توحيده، اعتقادا وقولا وعملا، والصدق في طاعته، إذ لا خطر على العبد بعد خروجه من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد، كمثل خطر النفاق، الذي يناقض الصدق، ولهذا ذكر الله الصدق بعد مقام الإسلام والإيمان فقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله قال: (كان معاذ يصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، ثم يرجع فيصلي بأصحابه، فرجع ذات يوم فصلى بهم، وصلى خلفه فتى من قومه، فلما طال على الفتى، صلى وخرج فأخذ بخطام بعيره وانطلق، فلما صلى معاذ، ذُكر ذلك له، فقال: إن هذا لنفاق! لأخبرن رسول الله ﷺ، فأخبره معاذ بالذي صنع الفتى، فقال الفتى: يا رسول الله يطيل المكث عندك، ثم يرجع فيطول علينا، فقال رسول الله ﷺ: أفتان أنت يا معاذ؟ وقال للفتى: كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟ قال: أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ! فقال رسول الله ﷺ: إني ومعاذ حول هاتين ندندن، قال: قال الفتى: ولكن سيعلم معاذ إذا قدم القوم، وقد خبروا أن أبعد، وقد دنا! قال: فقدموا، قال: فاستشهد الفتى، فقال النبي ﷺ بعد ذلك لمعاذ: ما فعل خصمي وخصمك؟ قال: يا رسول الله صدق الله، وكذبتُ، استشهد!).[2]

وفي رواية عن جابر قال: (بينا فتى من الأنصار علف ناضحه[3]، وأقام معاذ بن جبل صلاة العشاء، فنزل الفتى علفه، فقام فتوضأ وحضر الصلاة، وافتتح معاذ بسورة البقرة، فصلى الفتى، وترك معاذا، وانصرف إلى ناضحه فعلفه، فلما انصرف معاذ جاء الفتى فسبه ونقصه، ثم قال لآتين نبي الله ﷺ فأخبره خبرك، فأصبحنا فاجتمعا

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٦)

(٢) صحيح ابن خزيمة (٣/ ٦٤)

(٣) الناضح ما استعمل من الإبل في سقى النخل والزرع.

عند النبي ﷺ فذكر له معاذ شأنه، فقال الفتى: إنا أهل عمل وشغل، فطول علينا، استفتح بسورة البقرة! فقال النبي ﷺ: يا معاذ أتريد أن تكون فتانا؟ إذا أممت الناس فاقرأ بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، و ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾، وبهذا النحو، فقال عبد الله بن عبيد بن عمير: فدعا النبي ﷺ الفتى، فقال: يا معاذ ادع فدعا، فقال للفتى: ادع، فقال: والله لا أدري ما دندنتكما هذه، غير أني والله لئن لقيت العدو لأصدقن الله، فلقي العدو فاستشهد، فقال النبي ﷺ: صدق اللهَ، فصدقه اللهُ).[1]

وهذا المقام الشريف من أشهر مقامات الشيخ محمد المفرح، فقد كان صادق اللسان، صادق النية، صادق العمل، لا يعرف عنه كذب، ولا رياء، ولا نفاق، فهو كالإناء الزجاجي الشفاف، ظاهره كباطنه، كما شهد له بذلك الشيخ حسن الدقي - الذي صحبه سنوات الهجرة، وكانا في شقة واحدة، في العسر واليسر، والشدة واللين - فقال: (شهادتي ومشاهداتي في سيرته والتزامه وأخلاقه الكريمة: فقد رأيت فيه الصدق كأفضل ما يكون، فظاهره كباطنه، تعرف ما في نفسه دون أن يتكلم).



الشيخان المفرح والدقي في مؤتمر منظمة مظلوم دار التركية لحقوق الإنسان بإسطنبول ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣م

وقال عنه د. محمد الجبوري: (كان شجاعا غيورا صادق اللهجة).

وقال عنه أبو مالك الأزدي: (رجل أحسبه ولا أزكيه على الله أنه من المجاهدين الصادقين الذين قال الله فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾، فإني أحسبه من الصادقين رحمه الله).

## حقيقة الصدق:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الصدق، وهي منزل القوم الأعظم، والطريق الأقوم... وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان... فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام

(١) مصنف عبد الرزاق - (٢/ ٣٦٥) بإسناد صحيح على شرط مسلم، وآخره مرسل صحيح من رواية ابن عمير وهو تابعي ثقة، ويتقوى مرسله بشواهده في صحيح ابن خزيمة وغيره.

الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة، التي هي أرفع درجات العالمين...

وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾، وأخبر تعالى أن من صدقه فهو خير له فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وأخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق، فقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وهذا صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسّم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾،وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق في هذه الثلاثة: فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة. فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته، ولذلك لما كان لأبي بكر الصديق ﵁ وأرضاه ذروة سنام الصديقية، سمي الصديق على الإطلاق، والصدّيق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق.

فأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول، مع كمال الإخلاص للمرسل...

ووصف ذلك كله بالصدق مستلزم ثبوته، واستقراره، وأنه حق، ودوامه، ونفعه، وكمال عائدته، فإنه متصل بالحق سبحانه، كائن به وله، فهو صدق غير كذب، وحق غير باطل، ودائم غير زائل، ونافع غير ضار، وما للباطل ومتعلقاته إليه سبيل ولا مدخل.

**ومن علامات الصدق: طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب: حصول الريبة، كما في الترمذي مرفوعا من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (الصدق طمأنينة والكذب ريبة)، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا).**

**فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله...**

**فلذلك كانت الصديقية: كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهرا وباطنا، حتى إن صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما، وكذبهما يمحق بركة بيعهما).[1]**

**وقال ابن القيم أيضا: (ومقام الصدق جامع للإخلاص والعزم، فباجتماعهما يصح له مقام الصدق...).[2]**

**وقال أيضا: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الرياضة، وهي تمرين النفس على الصدق والإخلاص، قال صاحب المنازل: هي تمرين النفس على قبول الصدق، وهذا يراد به أمران:**

**الأول: تمرينها على قبول الصدق إذا عرضه عليها في أقواله وأفعاله وإرادته، فإذا عرض عليها الصدق قبلته، وانقادت له وأذعنت له.**

**والثاني: قبول الحق ممن عرضه عليه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، فلا يكفي صدقك، بل لا بد من صدقك، وتصديقك للصادقين، فكثير من الناس يصدق، ولكن يمنعه من التصديق كبر أو حسد).[3]**

**وسيأتي في سيرة حياة الشيخ محمد رحمه الله تعالى، وجهاده، وصبره، ما يؤكد شهادة هؤلاء الشهود الأبرار، والمجاهدين الأخيار، لمحمد برسوخ قدمه في هذا المقام.**

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢٦٨)

(٢) مدارج السالكين (١ / ١٣٧)

(٣) مدارج السالكين (١ / ٤٧٥)

رابعا: مقام اليقين والتوكل:

وهذا مقام عظيم من مقامات السائرين إلى الله، فإذا كان الإيمان يعني الثبات الذي لا يزعزعه شك، والصدق الذي لا يشوبه نفاق، والحق الذي لا يعتريه ريب، فإن اليقين هو رسوخ الإيمان ذاته، حتى يصبح الخبر فيه كالعيان!

كما قال ابن جرير الطبري في قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾: (وأما قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، فإنه يعني أنه أراه ملكوت السماوات والأرض، ليكون ممن يقر بتوحيد الله، ويعلم حقيقة ما هداه له، وبصره إياه، من معرفة وحدانيته، وما عليه قومه من الضلالة، من عبادتهم الأصنام، واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى...

وعن ابن عباس قوله ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، أنه جلّى له الأمر سره وعلانيته، فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق... فتأويل ذلك على هذا التأويل: أريناه ملكوت السماوات والأرض، ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا لا خبرا).[1]

وهو مقام رسخت فيه قدم الشيخ محمد المفرح، منذ أن شرح الله صدره للدعوة إلى الخطاب النبوي والراشدي، فاقتحم الأهوال مؤمنا بالله، متوكلا عليه، في هجرته الأولى إلى تركيا، ثم في هجرته الثانية إلى الشام، ثم في جهاده، والأخطار تتخطفه، والعدو يتربص به، حيثما حل وارتحل، وأينما مضى أو نزل، كما قال عنه الشيخ رشاد: (كان محبا للجهاد والمجاهدين متوكلا مقداما).

وقال عنه أبو الفاروق قائد لواء الأمة واصفا توكله على الله وقوة يقينه بالله: (كما كان مكان إقامته قريبا جدا من جبهة وادي الضيف، ويتعرض في مرات عديدة للاستهداف من مدفع الشيلكا، حتى إنه في إحدى المرات أصيبت نافذة الغرفة التي ينام فيها، هذا طبعا غير الإصابات في باقي الغرف، وعندما طلبنا منه أن نغير له مكان إقامته، قال أسأل الله أن يكتبني من المرابطين، وأنتم لستم أحق مني بالرباط)!

وقال أبو حسن علي العرجاني عنه: (وأذكر بالتفصيل عن شيءٍ أخبرني به، وهو كيف أنقذه الله عز وجل من قبضة رجال الداخلية، وخروجه بسيارته من الجزيرة سالما معافى، وأتذكر حديثه لي عن خروجه من المملكة فارا بدينه، وحيدا في الطرقات، محتارا أين يتجه؟ وإلى أين المصير؟ وما سوف يواجهه من مصاعب ومخاطر أثناء اجتيازه عبر الحدود والدول المجاورة لحدود المملكة؟ حتى وصوله إلى تركيا، مرورا بالأردن ووصوله إلى سوريا، وكان سعيدا بهذا التسهيل الرباني له، وكيف استطاع الوصول إلى ساحة الجهاد بسيارته التي أدخلها معه)!

(١) جامع البيان (١١ / ٤٧٥).

وهي أحداث قصها علينا مرارا بتفاصيلها، ستأتي في الفصل الثاني في سيرته وحياته، وهي من أوضح الدلائل على قوة يقينه بالله، وحسن توكله عليه، وتفويض أمره إليه.

## حقيقة اليقين:

قال ابن القيم عن مقام اليقين: (فصل ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة اليقين: وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين، قال الله تعالى وبقوله يهتدي المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وخص سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال، وهو أصدق القائلين: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

فاليقين روح أعمال القلوب، التي هي من أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

والصواب: أن التوكل ثمرته ونتيجته، ولهذا حسن اقتران الهدى به، قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾، فالحق: هو اليقين، وقالت رسل الله: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾.

ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وخوفا منه، ورضا به، وشكرا له، وتوكلا عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات، والحامل لها.

واختلف فيه: هل هو كسبي أو وهبي؟

فقيل: هو العلم المستودع في القلوب يشير إلى أنه غير كسبي.

وقال سهل: اليقين من زيادة الإيمان.

ولا ريب أن الإيمان كسبي.

والتحقيق: أنه كسبي باعتبار أسبابه، وهبي باعتبار نفسه وذاته).[1]

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٩٧).

وقد كان الشيخ محمد رحمه الله على يقين بالله، وبوعده، وعلى يقين بأن أجله محتوم مكتوب، ورزقه مقسوم محسوب، وهو ما ظهر جليا لكل من صحبه في أشد الظروف وأحلكها، ورأى الجميع منه ما يدل على رسوخ يقينه، كما أخبر عنه السيد علي القاضي الحسني حين انفجر اللغم بهم وهم في الشام في شهر ٣ سنة ٢٠١٣م، وبينما هم في حال من الهلع والارتباك، فإذا الشيخ محمد يقف وراءهم ضاحكا مبتسما يهدئ من روعهم، ويغرز في نفوسهم اليقين بالله وقضائه وقدره، متخذا من الموقف المخيف أبلغ درس في غرس قيم الإيمان عمليا، قال السيد القاضي: (هذه بعض المواقف التي عشتها مع الشيخ محمد المفرح رحمه الله في أرض الشام المباركة، التي نفر إليها بعد ما ضاقت عليه جزيرة العرب وسلطانها الجائر، والذي وقف بوجهه، وصدع بكلمة الحق، فما كان له إلا إن يعيش حياة الأحرار مهاجرا في سبيل الله، صادعًا بالحق، ومدافعًا عن المستضعفين... ومن تلك المواقف حين أمر الشيخ محمد بإنشاء ورشة للتصنيع العسكري، حتى يتم توفير ما يحتاجه المجاهدون من سلاح وعتاد، وتم إحضار الخبرات اللازمة، وتم تصنيع أول أنواع الأسلحة، وخرج الإخوة لتجربة هذا النوع من السلاح، وحصل هناك خطأ، حيث قام أحد الإخوة بتفجير اللغم قبل الموعد المحدد، وقبل أخذ الاحتياطات اللازمة، فانفجر علينا اللغم، والذي يحتوي على أكثر من ١٠ كيلو جرام من المواد المتفجرة، وأكثر من ١٤٠٠ شظية، فأصبحنا نتفقد بعضنا البعض، فإذا أرى الشيخ محمد المفرح خلفي يبتسم، ويقول: لا تخافوا لا أحد يموت قبل يومه)!



## مقام التوكل على الله وحقيقته:

وهو ثمرة اليقين بالله، والإيمان بوعده، والثقة به، فكلما كان العبد أرسخ قدما في مقام اليقين، كان أكثر توكلا على الله، وثقة به، وكان الشيخ محمد – رحمه الله – متوكلا على الله في شأنه كله، وربما ترددنا في المضي في الأمر، وحسبنا له حسابه، فإذا هو يدفعنا إليه دفعا، لا ينظر إلى شيء من الأسباب، كنظره إلى رب الأسباب، ولا حجة له فيما يرومه إلا قوله: (توكلوا على الله وأبشروا)!

قال ابن القيم عن التوكل: (التوكل حقيقة التوحيد، ولا يتم التوحيد إلا به، وهو من مقامات الرسل وهم خاصة الخاصة).[1]

وقال ابن القيم أيضا: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة التوكل: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وقال عن أوليائه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وقال لرسوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، وقال لرسوله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾، وقال له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾، وقال له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾، وقال له: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، وقال عن أنبيائه ورسله: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾، وقال عن أصحاب نبيه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانـًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾...

وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون).

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا له ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانـًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون).

وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا).

وفي السنن عن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (من قال إذا خرج من بيته بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت، ووقيت، وكفيت، فيقول الشيطان: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي).

والتوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٧٨).

ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم في مقام التوكل، وإن تباين متعلق توكلهم، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابه، وتنفيذ أوامره.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه، من رزق، أو عافية، أو نصر على عدو، أو زوجة، أو ولد، ونحو ذلك.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش...

فأفضل التوكل: التوكل في الواجب، أعني واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس.

وأوسعه وأنفعه: التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية، أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهذا توكل ورثتهم، ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف، ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، فإن كان محبوبا له مرضيا كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطا مبغوضا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه، وإن كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه، إن لم يستعن به على طاعاته.

### التوكل ودرجاته وما قيل فيه:

قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك: أنه عمل قلبي، ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والادراكات.

ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد.

ومنهم من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب، فيقول: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب، كانطراح الميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء، وهو ترك الاختيار، والاسترسال مع مجاري الأقدار.

قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد.

ومنهم من يفسره بالرضا فيقول: هو الرضا بالمقدور.

قال بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله! يكذب على الله! لو توكل على الله رضي بما يفعل الله.

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلا؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلا.

ومنهم من يفسره بالثقة بالله والطمأنينة إليه والسكون إليه.

قال ابن عطاء: التوكل ألا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب، مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها.

قال ذو النون: هو ترك تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

وقال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حال.

وقيل: التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات، فلا تسمو إلا إلى من إليه الكفايات.

وقيل: نفي الشكوك، والتفويض إلى مالك الملوك.

وقال ذو النون: خلع الأرباب، وقطع الأسباب.

يريد قطعها من تعلق القلب بها، لا من ملابسة الجوارح لها.

ومنهم من جعله مركبا من أمرين أو أمور:

فقال أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب.

يريد حركة ذاته في الأسباب بالظاهر والباطن، وسكون إلى المسبب، وركون إليه، ولا يضطرب قلبه معه، ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه.

وقال أبو تراب النخشبي: هو طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي شكر، وإن منع صبر.

فجعله مركبا من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب، وسكونه إلى قضائه وقدره، وطمأنينته وكفايته له، وشكره إذا أعطي، وصبره إذا منع.

قال أبو يعقوب النهرجوري: التوكل على الله بكمال الحقيقة، كما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام – حين سأله ألك حاجة؟ – : أما إليك فلا، لأنه غائب عن نفسه بالله فلم ير مع الله غير الله!

وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته.

وهذا معنى قول أبي سعيد: هو اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب، وقول سهل أبين وأرفع.

وقيل: التوكل قطع علائق القلب بغير الله.

وسئل سهل عن التوكل فقال: قلب عاش مع الله بلا علاقة.

وقيل: التوكل هجر العلائق، ومواصلة الحقائق.

وقيل: التوكل أن يستوي عندك الإكثار والإقلال.

وهذا من موجباته وآثاره لأنه حقيقته...

وقيل: هو إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية.

يريد: استرسالها مع الأمر وبراءتها من حولها وقوتها وشهود ذلك بها، بل بالرب وحده...

وحقيقة الأمر: أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، وكل أشار إلى واحد من هذه الأمور أو اثنين أو أكثر.

فأول ذلك: معرفة بالرب وصفاته: من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل...

الدرجة الثانية: إثبات الأسباب والمسببات...

فالله قضى بحصول الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء، فنصب الدعاء والتوكل سببين لحصول المطلوب، وقضى بحصوله إذا فعل العبد سببه، فإذا لم يأت بالسبب امتنع المسبب، وهذا كما قضى بحصول الولد إذا جامع الرجل امرأته، فإذا لم يجامع لم يخلق الولد.

وقضى بدخول الجنة إذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة، فإذا ترك الإسلام، ولم يعمل الصالحات: لم يدخلها أبدا...

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية...

الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن ههنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق لكن رفضها عن القلب، لا عن الجوارح، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها، فيكون منقطعا منها – بقلبه – متصلا بها – بجوارحه –!

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويلبسه السكون إلى مسببها، وعلامة هذا: أنه لا يبالي بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها، وإقبال ما يكره...

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل، فعلى قدر حسن ظنك بربك، ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله.

والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه.

الدرجة السادسة: استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه، وقطع منازعاته، وبهذا فسره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف أراد، لا يكون له حركة ولا تدبير.

وهذا معنى قول بعضهم: التوكل إسقاط التدبير، يعني الاستسلام لتدبير الرب لك، وهذا في غير باب الأمر والنهي، بل فيما يفعله بك، لا فيما أمرك بفعله.

فالاستسلام كتسليم العبد الذليل نفسه لسيده، وانقياده له، وترك منازعات نفسه وإرادتها مع سيده.

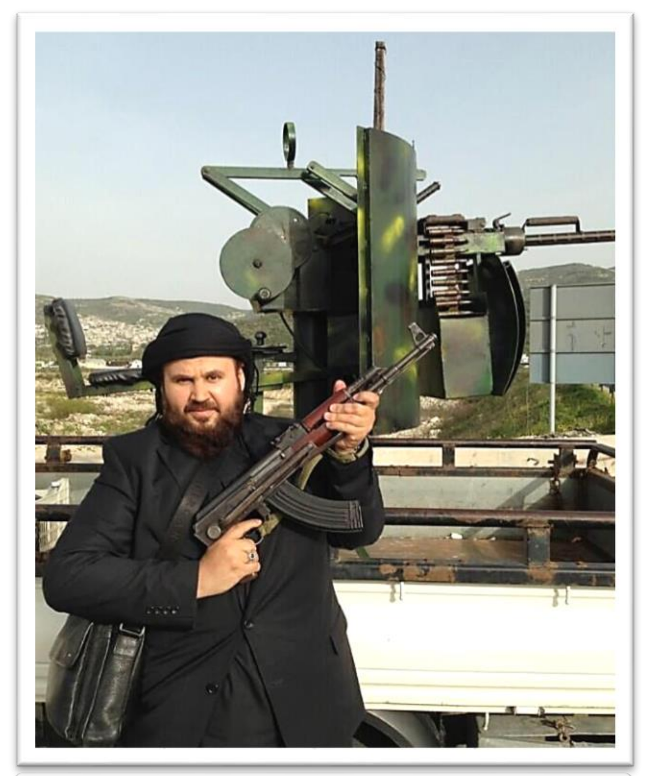
الدرجة السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به، طلبا واختيارا، لا كرها واضطرارا، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه، ورحمته، وتمام كفايته، وحسن ولايته له، وتدبيره له، فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه، وقيامه بمصالحه وتوليه لها خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها، فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويضه أموره كلها إلى أبيه، وراحته من حمل كلفها، وثقل حملها مع عجزه عنها، وجهله بوجوه المصالح فيها، وعلمه بكمال علم من فوض إليه، وقدرته وشفقته).[1]

وقد كان الشيخ محمد رحمه الله آية في توكله على الله، وتفويض الأمور إليه، مع أخذه بالأسباب واجتهاده فيها، وكم كان يعزم في (الهيئة الاستشارية) على اتخاذ قرارات خطيرة في دعم جهات عديدة، سيأتي الحديث عنها في قصة حياته، وقد تحتاج إلى إمكانات لا تتوفر لدى الهيئة حينها، فيقول: (توكلوا على الله وربكم ييسرها)، فإذا اعترض عليه أحد بأنه قد لا نستطيع تنفيذ الالتزام، يرد عليهم بكل حزم: (أحسنوا الظن بالله يا أخوة، أنتم تتعاملون مع الله)، فما هي إلا فترة وقد يسر الله الأمور كما توقع!

ومع شدة توكله، فقد كان شديد الحذر، حازما صارما، يحتاط للأمور، ويخطط لها، وهو يمارس فن القيادة بمهارة وعفوية، كأنه مخلوق لها، لا يعرف غيرها، كما أخبر عنه أبو مالك الأزدي الذي صحبه في الشام حيث

(١) مدارج السالكين (٢/ ١١٢- ١٢٢)

يقول: (أهداني الشيخ محمد جعبة وسلاحا بست مخازن، وفي اليوم الثاني بدأنا في جولتنا، ولقد رأيت منه حرص الأسد، فلقد نزلنا في إحدى المقرات كي نتفاوض في شراء معدات للواء، وتركت سلاحي في السيارة، وكنت أنا وهو فقط، وكان سلاحه لا يفارق جنبه، ولأني حديث عهد بمثل هذه البيئة لم آخذ سلاحي، وكان قد ساءه ذلك، وعندما تمت الصفقة قال لي: يا أخي الحبيب نحن بأرض حرب، ويكثر فيه الغدر أحيانا، فلا تبرح مكانا إلا وسلاحك معك أينما سرت، فكانت هذا الكلمات راسخة كالحلق في أذني، فلم أعد أذهب إلى أي مكان إلا وسلاحي لا يفارقني حتى في نومي).



الشيخ المفرح متوشحا سلاحه في أرض الشام

فكان رحمه الله جامعا بين التوكل على الله وحده، كما تقتضيه حقيقة التوحيد شرعا، والأخذ بالأسباب، كما تستوجبه مسبباتها عقلا، في حالة من التوازن الفريد بين عمل القلب والروح والنفس من جهة، وعمل العقل والجسد والجوارح من جهة أخرى، فلا حركته وأخذه بالأسباب توجب له اضطرابا وقلقا، ولا توكله وسكونه ويقينه بالله يوجب تواكلا، ولا يورث كسلا!

## العلاقة بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب:

قال ابن القيم: (وقد قال بعض أهل العلم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا قدح في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، والتوكل معنى يلتئم من معنى التوحيد والعقل والشرع!

وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وتقييد، فالالتفات إلى الأسباب ضربان أحدهما شرك، والآخر عبودية وتوحيد، فالشرك أن يعتمد عليها، ويطمئن إليها، ويعتقد أنها بذاتها محصّلة للمقصود، فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها، وأما إن التفت إليها التفات امتثال، وقيام بها، وأداء لحق العبودية فيها، وإنزالها منازلها، فهذا الالتفات عبودية وتوحيد، إذ لم يشغله عن الالتفات إلى المسبب، وأما محوها أن تكون أسبابا فقدح في العقل والحس والفطرة، فإن أعرض عنها بالكلية كان ذلك قدحا في الشرع، وإبطالا له، وحقيقة

التوكل القيام بالأسباب، والاعتماد بالقلب على المسبب، واعتقاد أنها بيده، فإن شاء منعها اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه، فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب بمعنى أنه لا يطمئن إليها ولا يرجوها ولا يخافها، فلا يركن إليها ولا يلتفت إليها، بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها، بل يكون قائما بها، ملتفتا إليها، ناظرا إلى مسببها سبحانه ومجريها، فلا يصح التوكل شرعا وعقلا إلا عليه سبحانه وحده، فإنه ليس في الوجود سبب تام موجب إلا مشيئته وحده، فهو الذي سبب الأسباب وجعل فيها القوى والاقتضاء لآثارها، ولم يجعل منها سببا يقتضي وحده أثره، بل لا بد معه من سبب آخر يشاركه، وجعل لها أسبابا تضادها وتمانعها، بخلاف مشيئته سبحانه، فإنها لا تحتاج إلى أمر آخر، ولا في الأسباب الحادثة ما يبطلها ويضادها، وإن كان الله سبحانه قد يبطل حكم مشيئته بمشيئته، فيشاء الأمر ثم يشاء ما يضاده ويمنع حصوله، والجميع بمشيئته واختياره، فلا يصح التوكل إلا عليه، ولا الالتجاء إلا إليه، ولا الخوف إلا منه، ولا الرجاء إلا له، ولا الطمع إلا في رحمته، كما قال أعرف الخلق به: (أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك)، وقال: (لا منجي ولا ملجأ منك إلا إليك)، فإذا جمعت بين هذا التوحيد وبين إثبات الأسباب استقام قلبك على السير إلى الله، ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم.

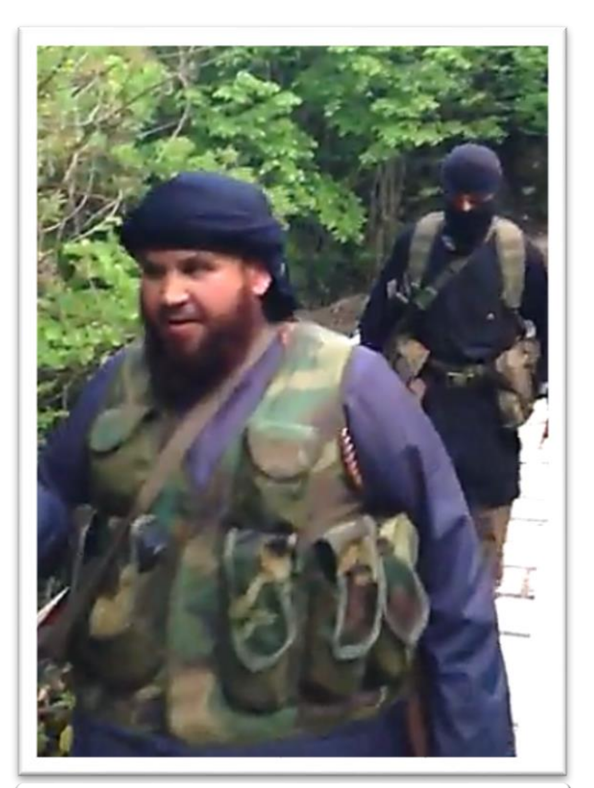
وما سبق به علم الله وحكمه حق، وهو لا ينافي إثبات الأسباب ولا يقتضي إسقاطها، فإنه سبحانه قد علم وحكم أن كذا وكذا يحدث بسبب كذا وكذا، فسبق العلم والحكم بحصوله عن سببه، فإسقاط الأسباب خلاف موجب علمه وحكمه، فمن نظر إلى الحدوث بغير الأسباب لم يكن نظره وشهوده مطابقا للحق، بل كان شهوده غيبة، ونظره عمى، فإذا كان علم الله قد سبق بحدوث الأشياء بأسبابها، فكيف يشهد العبد الأمور بخلاف ما هي عليه في علمه وحكمه، وخلقه وأمره!

والعلل التي تتقى في الأسباب نوعان:

أحدهما: الاعتماد عليها، والتوكل عليها، والثقة بها، ورجاؤها وخوفها، فهذا شرك يرق ويغلظ.

الثاني: ترك ما أمر الله به من الأسباب، وهذا أيضا قد يكون كفرا وظلما وبين ذلك، بل على العبد أن يفعل ما أمره الله به من الأمر، ويتوكل على الله توكل من يعتقد أن الأمر كله بمشيئة الله، سبق به علمه وحكمه، وأن السبب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يقضي ولا يحكم، ولا يحصل للعبد ما لم تسبق له به المشيئة الإلهية، ولا يصرف عنه ما سبق به الحكم والعلم، فيأتي بالأسباب إتيان من لا يرى النجاة والفلاح والوصول إلا بها، ويتوكل على الله توكل من يرى أنها لا تنجيه ولا تحصل له فلاحا ولا توصله إلى المقصود، فيجرد عزمه للقيام بها حرصا واجتهادا، ويفرغ قلبه من الاعتماد عليها والركون إليها تجريدا للتوكل واعتمادا على الله

وحده، وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأصلين في الحديث الصحيح حيث يقول: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز)، فأمره بالحرص على الأسباب، والاستعانة بالمسبب، ونهاه عن العجز، وهو نوعان: تقصير في الأسباب وعدم الحرص عليها، وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها، فالدين كله ظاهره وباطنه، شرائعه وحقائقه، تحت هذه الكلمات النبوية).[1]



في الطريق إلى منطقة دورين بريف اللاذقية

وهذه كانت حال الشيخ محمد رحمه الله كما عبر عنها قائد لواء الأمة أبو الفاروق بكل عفوية حيث قال عنه: (من أكثر العبارات التي حفظها الإخوة عن الشيخ أنهم كلما استصعبوا أمرا يدعون الله، ويقولون لبعضهم: (اعصبوا رؤوسكم)، حيث كان الشيخ كثير الترديد لها، من باب شحذ الهمم والتوكل على الله، حتى أصبحت هذه العبارة كناية عن الشيخ، ويشار إليه فيها إن دعت الضرورة الأمنية).

فانظر كيف اختصرت هذه العبارة التي تنضح بالصدق كل ما أراد ابن القيم قوله في ثلاث صفحات!

وإنما تهيأ للقائد أبي الفاروق أن يعبر عن (حقيقة الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب) بكل وضوح وإيجاز حين رأى المثل والنموذج العملي رأي العين، وذلك في الشيخ محمد رحمه الله، فكان إذا أراد أمرا عظيما توكل على الله، وأوصاهم بالدعاء، وأمرهم بعصب الرؤوس كناية عن الأخذ بالعزيمة والإقدام والأخذ بالأسباب!

## العلاقة بين التوكل والرضا:

قال ابن القيم أيضا بعد الدرجة السابعة في التوكل: (فإذا وضع قدمه في هذه الدرجة انتقل منها إلى درجة الرضا، وهي ثمرة التوكل، ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٠٠)

وكان شيخنا ابن تيمية ﵀ يقول: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية.

قلت: وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: (اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم)، فهذا توكل وتفويض، ثم قال: (فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب)، فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون، ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلا أو آجلا، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلا أو آجلا، فهذا هو حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقضيه له فقال: (واقدر لي الخير حيث كان ثم رضّني به).

فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، التي من جملتها التوكل والتفويض، قبل وقوع المقدور، والرضا بعده، وهو ثمرة التوكل، والتفويض علامة صحته، فإن لم يرض بما قضى له فتفويضه معلول فاسد.

فباستكمال هذه الدرجات الثمان يستكمل العبد مقام التوكل، وتثبت قدمه فيه، وهذا معنى قول بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله! لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به.

وقول يحيى بن معاذ وقد سئل: متى يكون الرجل متوكلا فقال: إذا رضي بالله وكيلا).[1]

## خامسا: مقام الرضا بالله والرضا عن الله:

وهو أجل مقامات الأولياء، وأشرف منازل الأصفياء، ولهذا فاز بها أصحاب رسول الله ﷺ، فرضوا عن الله، ورضي عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

والرضا على قسمين:

الأول: ما هو مقام كسبي للعبد، مقدور له، بتوفيق الرب، كما في الحديث الصحيح عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: (من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا، غفر له ذنبه).[2]

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٢)

(٢) صحيح مسلم ح رقم ٣٨٦.

وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: (من قال إذا أصبح وإذا أمسى رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، إلا كان حقا على الله أن يرضيه).[1]

فالرضا هنا إقرار العبد واعتقاده - عن قناعة، وقبول اختياري طوعي، وبانشراح صدر، وطيب نفس - بالله ربا، له وحده العبادة والطاعة والحكم، وإليه وحده تصريف الأمر، وبمحمد رسولا، باتباعه ونصرته وتوقيره، وبالإسلام دينا بالعمل بأحكامه والوقوف عند شرائعه وحدوده، وكل ذلك فعل كسبي في قدرة المكلف.

الثاني: حال وهبي، يتحقق للمؤمن بعد تحقق الرضا منه، كما في آخر الحديث: (إلا كان حقا على الله أن يرضيه)، فهذا الرضا الوهبي من الله، ثمرة الفعل الكسبي من العبد بتحقيقه (رضيت بالله)!

وهو من المقامات التي شوهد الشيخ محمد رحمه الله فيها بأشد الظروف خطرا، فلا يُرى إلا في حال من الرضا، لا يمكن تفسيرها إلا إنها مدد رباني، وفيض وجداني، نتيجة للتوكل المطلق على الله، وتسليم الأمر له، والثقة به، وقد كنت أحدثه وهو في المستشفى، كل يوم صباحا ومساء، وذلك قبيل فقده لوعيه ووفاته بأيام، وكان يعلم أنه في آخر أيامه، وأن الأطباء قد يأسوا من علاجه، فكنت أقول له: أبشر بالخير فقريبا تستعيد صحتك وتعود لنشاطك فأمامك مهام عظيمة!

فيقول لي بكل ثقة وهدوء وسعادة: (أبشرك شيخنا بأني راض ومطمئن والحمد الله)!



وقد أرسل لي يوم ١٨/ ١١/ ٢٠١٤م صورته وهو في المستشفى، فأرسلت له: (ابتسم فالمستقبل مشرق)، فأجاب على الفور: (الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين)!

وكنت أعجب من حاله تلك، فكل من حوله قلق خائف عليه، وهو في غاية الرضا والهدوء! وهذه حال تتكرر معه في كل موقف تعرض فيه لخطر محدق، وموت محقق، سواء في تركيا أو الشام، كما جرى له حين تعرض للاحتراق بالنار في الشام، وكذلك في آخر عملية اغتيال فاشلة تعرض لها في ١/ ٥/ ٢٠١٤م، كما أخبر

---

(١) سنن الترمذي ح رقم ٣٣٨٩ وقال (حسن غريب) من حديث ثوبان وفيه ضعف، وابن ماجة ح رقم ٣٨٧٠ من طريق آخر عن أبي سلام عمن خدم رسول الله ﷺ، والحديث بمجوع طرقه، قال ابن حجر في الفتح ١١/ ١٣٠ عن حديث أبي سلام (إسناده قوي).

عنه الشيخ محمود فتحي يومها حيث يقول: (زارني يوما في بيتي فجأة علي غير عادته، وكان ذلك في أعقاب عملية جراحية أجريتها في ركبتي، فقلت لعله يعودني، فرحبت به، وكان هو على حاله دائما مبتسمًا بشوشًا، فحدثني ساعتها أنه تعرض لمحاولة خطف، ولولا لطف الله به ثم حسن صنيع مرافقه – وهي زوجته أم عبد الملك – في ذلك الوقت لتمكن المجرمون من اختطافه، ولا ندري بعدها أيغتالونه أم يسلمونه إلى بلاده)!

وقال عنه الشيخ محمد الهاجري بعد زيارته له: (كان رحمه الله مهاجرا ومحاصرا، ومهددا بالاغتيال والخطف، بعيدا عن أولاده في السعودية، وأطفاله في إسطنبول، إلا أني ما رأيته مطمئنا منشرح الصدر، كما رأيته في هذا اللقاء، وفي هذا الوقت العصيب، كان ثابتا، مبشرا بنصر الأمة، وزوال الظلمة ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ ...).

ولقد رأيت الشيخ محمد في كل المواطن التي وقف فيها لله، والمقامات التي قامها طاعة لله، حين صدع في وجه الطاغوت بالحق ضعيفا وحيدا، وحين هاجر إلى الله فقيرا طريدا، وحين خرج إلى الشام مجاهدا فريدا، وحين تعرض للحريق، وحين نجا من الاغتيال، وحين مرض على فراش الموت، فما تغير من حاله بتغير تلك المواقف شيء، بل هو مع الله في حال من الرضا دائمة، فسبحان من وهبه وأعطاه! وسبحان من أكرمه وأرضاه!

وكل قصة حياته كما سيأتي في الفصل الثاني تؤكد تحقق هذا المقام وهذا الحال له!

## حقيقة الرضا:

قال ابن القيم موضحا حقيقة الرضا حيث يقول: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الرضا: وقد أجمع العلماء على أنه مستحب مؤكد استحبابه، واختلفوا في وجوبه على قولين، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يحكيهما على قولين لأصحاب أحمد، وكان يذهب إلى القول باستحبابه، قال: ولم يجيء الأمر به، كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم على الصبر...

قلت: ولا سيما عند من يرى أنه من جملة الأحوال التي ليست بمكتسبة، بل هو موهبة محضة، فكيف يؤمر به وليس مقدورا عليه؟

وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السلوك على ثلاث طرق:

فالخراسانيون قالوا: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل.

فعلى هذا: يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه.

والعراقيون قالوا: هو من جملة الأحوال، وليس كسبيا للعبد، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

والفرق بين المقامات والأحوال: أن المقامات عندهم من المكاسب، والأحوال مجرد المواهب.

**وحكمت فرقة ثالثة بين الطائفتين منهم القشيري صاحب الرسالة وغيره فقالوا: يمكن الجمع بينهما بأن يقال: بداية الرضا مكتسبة للعبد، وهي من جملة المقامات، ونهايته من جملة الأحوال، وليست مكتسبة، فأوله مقام، ونهايته حال.[1]**

## أسباب تحقق الرضا ودرجاته:

**قال ابن القيم: (ومن أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا، ولا بد).[2]**

**وقال ابن القيم عن درجاته: (قال الهروي: وهو على ثلاث درجات:**

**الدرجة الأولى: رضا العامة وهو الرضا بالله ربا، وسخط عبادة ما دونه، وهذا قطب رحى الإسلام، وهو يطهر من الشرك الأكبر.**

**قال ابن القيم: الرضا بالله ربا: أن لا يتخذ ربا غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره، وينزل به حوائجه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (سيدا وإلها)، يعني فكيف أطلب ربا غيره وهو رب كل شيء؟**

**وقال في أول السورة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، يعني معبودا وناصرا ومعينا وملجأ، وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة، وقال في وسطها: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾، أي: أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه، وهذا كتابه سيد الحكام فكيف نتحاكم إلى غير كتابه، وقد أنزله مفصلا مبينا كافيا شافيا؟!**

**وأنت إذا تأملت هذه الآيات الثلاث حق التأمل رأيتها هي نفس الرضا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، ورأيت الحديث يترجم عنها ومشتق منها، فكثير من الناس يرضى بالله ربا، ولا يبغي ربا سواه، لكنه لا يرضى به وحده وليا وناصرا، بل يوالي من دونه أولياء ظنا منه أنهم يقربونه إلى الله، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك، وهذا عين الشرك، بل التوحيد: ألا يتخذ من دونه أولياء، والقرآن مملوء من وصف المشركين بأنهم اتخذوا من دونه أولياء.**

**وهذا غير موالاة أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين فيه، فإن هذا من تمام الإيمان، ومن تمام موالاته، فموالاة أوليائه لون، واتخاذ الولي من دونه لون، ومن لم يفهم الفرق بينهما، فليطلب التوحيد من أساسه، فإن هذه المسألة**

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧١)
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٧١)

أصل التوحيد وأساسه، وكثير من الناس يبتغي غيره حكما يتحاكم إليه، ويخاصم إليه، ويرضى بحكمه، وهذه المقامات الثلاث هي أركان التوحيد: ألا يتخذ سواه ربا، ولا إلها، ولا غيره حكما.

وتفسير الرضا بالله ربا: أن يسخط عبادة ما دونه، هذا هو الرضا بالله إلها، وهو من تمام الرضا بالله ربا، فمن أعطى الرضا به ربا حقه، سخط عبادة ما دونه قطعا، لأن الرضا بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته، كما أن العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية.

وقوله: وهو قطب رحى الإسلام، يعنى أن مدار رحى الإسلام على أن يرضى العبد بعبادة ربه وحده، وأن يسخط عبادة غيره، وقد تقدم أن العبادة هي الحب مع الذل، فكل من ذللت له، وأطعته، وأحببته دون الله، فأنت عابد له).[1]

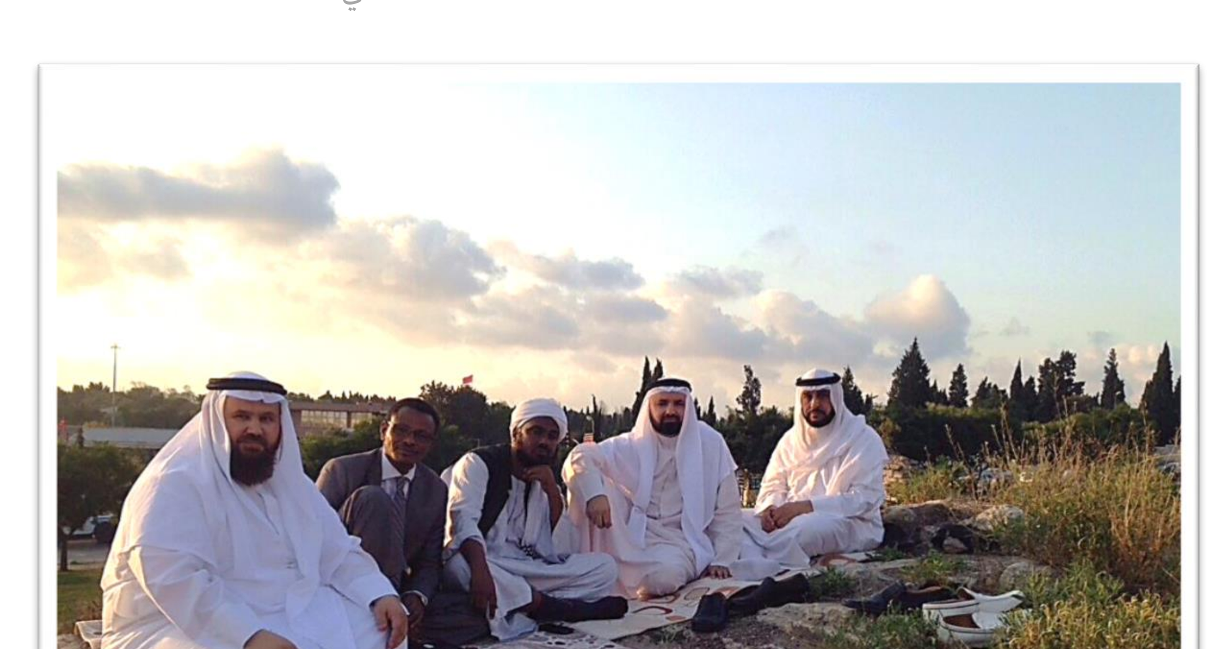
## سادسا: مقام الطمأنينة والسكينة:

وهما من المقامات الشريفة التي أجمع كل من عرف الشيخ محمد رحمه الله على أنهما تحققا له وفيه على أكمل وجه، وأجمل وصف، حتى وهو في أحلك ظرف!

قال عنه الشيخ ارشيد الهاجري: (أول ما التقيت به رحمه الله في الكويت سنة ٢٠١٠م، رأيت عليه السكينة، وفي محياه الصدق).



(١) مدارج السالكين (٢ / ١٨١)



على سور القسطنطينية مع د. حاكم والشيخ سيف الهاجري ود. حسن سلمان والشيخ محمود عبد الجبار بعد انتهاء مؤتمر "مستقبل الربيع العربي في ظل التحالف الدولي" ٤/ ٩/ ٢٠١٤م

وهذه السكينة التي ترى على الشيخ محمد تفيض على كل من حوله، ويشعر بها كل من جالسه، كما قال الشيخ أبو الفاروق قائد لواء الأمة: (كان يضفي على الجلسة جوا من الروحانية والسكينة، الممزوجة بالراحة والسعادة).

وهو شعور يبادر كل من رآه لأول وهلة، كما أخبر الشيخ ارشيد الهاجري حين زاره بالشام بوفد من الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري (وقد تعجب إخوتي عندما التقوه أول مرة، فقام بإكرامهم بالغداء، وعندما تغدينا لم يأكل معنا، فاستغربوا منه، فقلت لهم: إنه صائم، وبعد الغداء قال لي إخوتي متعجبين: (سبحان الله! على وجهه نور، ولم يسكت عن الذكر، وفيه الصدق والسكينة) فقلت لهم: هذا الشيخ محمد المفرح من المهاجرين المجاهدين في سبيل الله).

قال ابن القيم: (ومقام الطمأنينة جامع للإنابة والتوكل والتفويض والرضا والتسليم، فهو معنى ملتئم من هذه الأمور إذا اجتمعت صار صاحبها صاحب طمأنينة، وما نقص منها نقص من الطمأنينة).[1]

والصحيح أن الطمأنينة والسكينة حالان وهبيان، ليس للعبد فيهما يد، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ. الَّذِينَ ءامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، فالطمأنينة

١ مدارج السالكين (١ / ١٣٧)

نتيجة الإنابة إلى الله، والإيمان به، فهي فيض مقام لمن عاد إلى الله وأناب، ورجع إليه وتاب، فيجد بذكره اطمئنان قلبه، وهدوء نفسه، وسعادة روحه.

وقال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، فالله هو من ينزل السكينة على المؤمنين، بتقواهم وإيمانهم، فالإيمان والتقوى كسب العبد، والسكينة وهب الرب!



في مسجد الفاتح بإسطنبول رمضان ١٤٣٥هـ

قال الشيخ حسن الدقي عن الشيخ المفرح: (وأعجب حال الشيخ رحمه الله هو هدوء باله، واستقرار نفسه، مع خطورة المهمة التي تصدى لها، وما يكتنف ذلك من إمكانية قيام الطواغيت بكل ما يتصور من محاولة إخراج الشيخ من طريقه الذي سار فيه، والذي تحقق بأكثر من صورة، ومع ذلك فقد، كان الشيخ يتحرك ويتفاعل في الحياة وهو أسعد الناس وأكثرهم اطمئنانا).

وصلاح البال حال وهبي، بعد مقام كسبي، كما قال تعالى ممتنا على عبادة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

فنتيجة إيمانهم بالله، وعملهم الصالحات، وإيمانهم بالحق الذي جاء به النبي محمد ﷺ، تحقق لهم هذا الحال، وهو صلاح البال، وقد علل الله صلاح حالهم وبالهم باتباعهم الحق من ربهم، في الآية التي بعدها، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾!

والبال كما قال الزبيدي: هو كل ما يكترث به الإنسان، ويهتم به ومنه وله، وخواطر قلبه التي تشغله.[1]

فإذا أصلح الله بال العبد شعر بالسكينة والطمأنينة، التي تعني الثبوت وعدم الاضطراب، لأنها اتبعت الحق من الله الملك الحق سبحانه، والحق هو الأمر الثابت الدائم الذي لا يزول ولا يحول ولا يضطرب، فانعكس على النفس التي لزمت الحق بالسكينة والثبات، فلا يصدر عن الحق إلا حق.

(١) تاج العروس ٢٨/ ١٢٤.

## حقيقة الطمأنينة:

قال ابن القيم في تعريف حقيقة الطمأنينة: (فصل ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الطمأنينة: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وقال تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: (الصدق طمأنينة والكذب ريبة)، أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع، ويجد عنده سكونا إليه، والكذب يوجب له اضطرابا وارتيابا، ومنه قوله: (البر ما اطمأن إليه القلب)، أي: سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه، وفي ذكر الله ها هنا قولان: أحدهما: أنه ذكر العبد ربه، فإنه يطمئن إليه قلبه، ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله..

والقول الثاني: أن ذكر الله ههنا القرآن، وهو ذكره الذي أنزله على رسوله به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن، فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به وهذا القول هو المختار).[1]

ولقد كانت طمأنينة الشيخ محمد بكلا الأمرين بكثرة ذكره لله في كل أحواله وخلواته، وبكثرة تلاوته للقرآن، حتى لا تكاد تمر عليه ساعة ليس له فيها ذكر لله، أو تلاوة للقرآن، أو صلاة على النبي ﷺ!

وقد تجاوز الشيخ محمد المفرح في حاله الطمأنينة الذاتية النفسية إلى أن عمت روح السكينة والطمأنينة كل من حوله، حتى في أشد حالات الخوف والهلع!

قال الشيخ نواف الضيط وكان في زيارة مع الهيئة الشعبية لإغاثة الأهالي في المناطق المنكوبة في سوريا: (وفي ليلة خرجنا إلى بعض مناطق سيطرة الجيش الحر، فلما عدنا وكنا قريبا من مقر إقامة الشيخ محمد، سمعنا صوت قصف، وإذا قد قصف الحي بصاروخين اشتعلت منهما الحقول التي يقع في وسطها منزله، وخرج أهل القرية إلى الباحات خوفا من سقوط الصواريخ على منازلهم، وقد هلعوا، فأخذ الشيخ محمد يطمئن الجميع، وتوجه



في مقره بريف إدلب مع بعض قيادات لواء الأمة

[1] مدارج السالكين (٢ / ٥١٢)

للبيت، وبات ليلته لم يتغير عليه شيء، ورأيت الغرفة التي بجوار غرفة نومه وقد اخترق الرصاص نوافذها، وبيته من جهة وادي الضيف، ترى آثار الرصاص على واجهته)!

## حقيقة السكينة:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة السكينة: هذه المنزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب، وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

الثاني: قوله تعالى ثم ﴿أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

السادس: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة – جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة – قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرؤوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قلبة!

وقد جربت أنا أيضا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته!

وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رءوسهم لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم ودخولهم تحت

شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر ﵁ عن حملها وهو عمر، حتى ثبته الله بالصديق ﵁!

قال ابن عباس ﵄ : كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب ﵄ قال: رأيت النبي ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلدة بطنه، وهو يرتجز بكلمة عبد الله بن رواحة ﵁:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينـــا

فأنـزلــن سكينــة علينـا

وثبــت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا

وإن أرادوا فتـنة أبيـــنا).[1]

وقد أتيت أنا والشيخ سيف الهاجري الشيخ محمد المفرح ليلة تعرضه لعملية الاغتيال الأخيرة بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠١٤م، وكانت زوجته قد تعرضت للاعتداء دفاعا عنه على يد العصابة التي أرادت اختطافه واغتياله، ثم احتجزت بعد ذلك في مركز الأمن ومعها ابنتها الرضيعة، وكنا في حال عصيب من الخوف عليه، فدخلنا عليه الشقة التي لجأ إليها، فإذا هو كما هو في طمأنينة، وعليه سكينة، يتلو القرآن، ويذكر الله، قد سلم أمره كله لله، فما زاد على حمد الله وشكره، والسؤال عن أهله، في حال من الرضا لا تكون إلا للأولياء، وبعد أيام ذهبنا به ليرى ولده الصغير عبد الملك وابنته الرضيعة ندى، وكانا في كنف أسرة المهندس محمود فتحي، فأخذهما وقبلهما وأوصى عبد الملك، ثم رجع إلى شقته وجلس فيها نحو شهرين في عبادة وقراءة للقرآن وذكر لا ينقطع!



بعد تعرضه لمحاولة الاغتيال في مايو ٢٠١٤م

قال عنه الشيخ محمود فتحي: (زارني يومـًا في بيتي فجأة على غير عادته، وكان ذلك في أعقاب عملية جراحية أجريتها في ركبتي، فقلت لعله يعودني، فرحبت به، وكان هو على حاله دائما مبتسمـًا بشوشـًا، فحدثني ساعتها

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٠٢)

أنه تعرض لمحاولة خطف، ولولا لطف الله به ثم حسن صنيع مرافقه – وهي زوجته أم عبد الملك – في ذلك الوقت لتمكن المجرمون من اختطافه، ولا ندري بعدها أيغتالونه أم يسلمونه لعصابة الحكم في بلاده!

اتصلت ساعتها بالشيخ حسن الدقي فلحق بنا، ثم وصل الشيخان حاكم المطيري وسيف الله الهاجري مساءً من سفر، واستقبلتهم جميعًا في بيتي، فما زاد ساعتها على أن حمد الله، وذكره كثيرا، ثم قص علينا خبره، فلم يجزع بل كان ثابتًا شجاعًا رحمه الله تعالى، ثم انتقل بعدها إلى سكن آخر قريب هو وإخوانه من المشايخ حتى يسر الله له أمر عودته إلى بيته).

## أقسام السكينة:

قال ابن القيم: (قال صاحب المنازل الشيخ الهروي: السكينة: اسم لثلاثة أشياء:

أولها: سكينة بني إسرائيل التي أعطوها في التابوت، كما في قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي ومجيئه إليكم: سكينة لكم وطمأنينة... قال عطاء بن أبي رباح ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ هي ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها، وقال قتادة والكلبي: هي من السكون أي طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا.

السكينة الثانية: هي التي تنطق على لسان المحدثين، ليست هي شيئا يملك، إنما هي شيء من لطائف صنع الحق، تلقى على لسان المحدث الحكمة، كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء، وتنطق بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار، وكشف الشبه!

السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعت، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل باطل.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه!

وكثيرا ما ينطق صاحب السكينة بكلام لم يكن عن فكرة منه ولا روية ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه كما يستغرب السامع له، وربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه، وأكثر ما يكون هذا عند الحاجة، وصدق الرغبة من السائل والمجالس، وصدق الرغبة منه هو إلى الله، والإسراع بقلبه إلى بين يديه وحضرته، مع تجرده من الأهواء، وتجريده النصيحة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، وإزالة نفسه من البين، ومن جرب هذا عرف قدر منفعته وعظمها، وساء ظنه بما يحسن به الغافلون ظنونهم من كثير من كلام الناس)!

وقال ابن القيم أيضا شارحا عبارة الهروي: (قوله: وليست شيئا يملك: يعني هي موهبة من الله تعالى ليست بسببية ولا كسبية، وليست كالسكينة التي كانت في التابوت تنقل معهم كيف شاءوا.

وقوله: تلقى على لسان المحدث الحكمة، أي: تجرى الصواب على لسانه وقوله، كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء عليهم السلام، يعني: أنها بواسطة الملائكة بحيث تلقي في قلوب أربابها الحكمة عنهم والطمأنينة والصواب، كما أن الأنبياء تتلقى الوحي عن الله بواسطة الملائكة، ولكن ما للأنبياء مختص بهم ولا يشاركهم فيه غيرهم وهو نوع آخر.

وقوله: تنطق المحدثين بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار وكشف الشبه قد تقدم في أول الكتاب : ذكر مرتبة المحدث، وأن هذا التحديث من مراتب الهداية العشرة، وأن المحدث هو الذي يُحدث في سره بالشيء فيكون كما يحدث به، والحقائق هي حقائق الإيمان والسلوك، ونكتها عيونها، ومواضع الإشارات منها، ولا ريب أن تلك توجب للأسرار روحا تحيا به وتنعم، وتكشف عنها شبهات لا يكشفها المتكلمون، ولا الأصوليون، فتسكن الأرواح والقلوب إليها، ولهذا سميت سكينة، ومن لم يفز من الله بذلك لم تنكشف عنه شبهاته، فإنها لا يكشفها إلا سكينة الإيمان واليقين)!

قال الهروي: (السكينة الثالثة: هي التي نزلت على قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين وهي شيء يجمع قوة وروحا يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين والضجر، ويسكن إليه العصي والجريء والأبي).

(وحدّها قوله: والسكينة لا تنزل إلا على قلب نبي، أو ولي، وذلك لأنها من أعظم مواهب الحق سبحانه ومنحه، ومن أجل عطاياه، ولهذا لم يجعلها في القرآن إلا لرسوله وللمؤمنين، كما تقدم فمن أعطيها فقد خلعت عليه خلع الولاية وأعطي منشورها).[1]

## درجات السكينة:

قال ابن القيم شارحا كلام الهروي: (السكينة: ثبات القلب عند هجوم المخاوف عليه وسكونه، وهي على ثلاث درجات الدرجة الأولى: طمأنينة القلب بذكر الله، وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء، والضجر إلى الحكم، والمبتلى إلى المثوبة، فالطمأنينة بذكر الله بكلامه وكتابه، ولا ريب أن الذي ذكره في هذه الدرجة: هو من جملة الطمأنينة بذكره وهي أهم من ذلك، فذكر طمأنينة الخائف إلى الرجاء، فإن الخائف إذا طال عليه الخوف، واشتد به، وأراد الله عز وجل أن يريحه ويحمل عنه: أنزل عليه السكينة، فاستراح قلبه إلى الرجاء، واطمأن به وسكن لهيب خوفه.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٠٤ - ٥١٢)

وأما طمأنينة الضجر إلى الحكم فالمراد بها: أن من أدركه الضجر من قوة التكاليف وأعباء الأمر وأثقاله، ولا سيما من أقيم مقام التبليغ عن الله، ومجاهدة أعداء الله وقطاع الطريق إليه، فإن ما يحمله ويتحمله فوق ما يحمله الناس ويتحملونه، فلابد أن يدركه الضجر ويضعف صبره، فإذا أراد الله أن يريحه ويحمل عنه: أنزل عليه سكينته، فاطمأن إلى حكمه الديني وحكمه القدري، ولا طمأنينة له بدون مشاهدة الحكمين، وبحسب مشاهدته لهما تكون طمأنينته، فإنه إذا اطمأن إلى حكمه الديني علم أنه دينه الحق، وهو صراطه المستقيم، وهو ناصره وناصر أهله وكافيهم ووليهم.

وإذا اطمأن إلى حكمه الكوني: علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأنه ما يشاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا وجه للجزع والقلق إلا ضعف اليقين والإيمان، فإن المحذور والمخوف: إن لم يقدر فلا سبيل إلى وقوعه، وإن قدر فلا سبيل إلى صرفه بعد أن أبرم تقديره، فلا جزع حينئذ، لا مما قدر ولا مما لم يقدر، نعم إن كان له في هذه النازلة حيلة فلا ينبغي أن يضجر عنها، وإن لم يكن فيها حيلة فلا ينبغي أن يضجر منها، فهذه طمأنينة الضجر إلى الحكم، وفي مثل هذا قال القائل:

ما قد قضي يا نفس فاصطبري له ❊❊❊ ولك الأمان من الذي لم يقدر

وتحققي أن المقدر كائن ❊❊❊ يجري عليك حذرت أم لم تحذري

وأما طمأنينة المبتلى إلى المثوبة، فلا ريب أن المبتلى إذا قويت مشاهدته للمثوبة سكن قلبه، واطمأن بمشاهدة العوض، وإنما يشتد به البلاء إذا غاب عنه ملاحظة الثواب، وقد تقوى ملاحظة العوض حتى يستلذ بالبلاء ويراه نعمة...).[1]

وقد أجمع كل من عرفوا الشيخ محمد رحمه الله، وصحبوه في مواطن الخوف، ومواقع الخطر، على أنه من أكثر الناس طمأنينة وسكينة، وثباتا وهدوءا، كما وصفه الشيخ حسن الدقي فقال عنه: (كان مطمئنا إلى أثر الجهاد وامتداده، وحاجة الأمة إليه، وقد رأيته مستبشرا بالنصر، مطمئنا إلى وعد الله عز وجل، منفقا في سبيل الله، متصلا بالمجاهدين والفصائل دون تفريق بين فصيل، وآخر وأعجب أحواله في أرض الشام شجاعته، وطمأنينة نفسه، والقصف فوق رأسه، وفوق بيته، حيث استقر في بيت مطل على إحدى أخطر الجبهات، وهي جبهة وادي الضيف، ولا يمر يوم أو يومان إلا وتصيب بيته قذيفة أو مقذوف)!

و كما قال عنه الشيخ محمد الهاجري: (فكان رحمه الله هو من يطمئننا، ويبشرنا بالنصر، وتمكين الأمة القريب، فلم يجد اليأس ولا القنوط لنفسه مدخلا)!

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥١٥)

## سابعا: مقام محبة الله والمحبة لله وفي الله:

والحب أجل مقامات أهل السلوك، والسائرين إلى الله ملك الملوك، وبمحبة الله يبلغ المؤمن أشرف المقامات وأجلها، بل لا يبلغ حقيقة الإيمان إلا بتوحيد الله بها، وتخصيص رسوله بأعلاها وبأكملها، كما في الصحيح عن أنس قال: قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين).[1]

إذ الطاعة والاتباع على قدر الحب والمحبة، وإذا كانت طاعة النبي ﷺ واتباعه أوجب من طاعة كل أحد واتباعه، كانت محبته كذلك أوجب وأكمل من محبة كل أحد، لتستقيم له الطاعة التي بها نجاة العبد يوم القيامة، ولا أحد أحق بالحب ممن باتباعه تتحقق للمؤمن الهداية، وبطاعته تتحقق له النجاة، وبشفاعته تتحقق السعادة، كما قال تعالى في شأنه ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾.

وليس شأن توحيد الله في الحب، كتوحيده في الخوف والخشية، كما قال تعالى ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ﴾، ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾، إذ توحيد الله بالحب هو إفراد الله بأكمل المحبة وأعلاها، مع جواز حب من سواه دون ذلك، ولهذا كان حب رسوله أعلا من حب من سواه، ودونه حب الأبوين الفطري، وحب الزوجة والأبناء، وذلك لحاجة النفس البشرية للحب، إذ به سعادتها وكمالها، بخلاف الخوف والخشية فتوحيد الله بهما بإفراد الله وحده فيهما، فلا يخشى سواه لا مثله ولا دون ذلك، إذ لا كمال للنفس البشرية ولا سعادة إلا بالخوف من الله وحده وخشيته وحده، ولا سعادة لها بالخوف مما سواه، وهذا كله من رحمة الله بعباده، وحكمته في أحكامه، سواء الشرعية الأمرية، أو الكونية القدرية.

ولا يعرف المؤمن لذة الإيمان والطاعة وحلاوتها، إلا بمحبة الله، كما في الحديث الصحيح عن أنس عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار).[2]

ولا تكتمل عرى الإيمان، ولا تستوثق إلا بلوازمها، كما في الحديث عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان).[3]

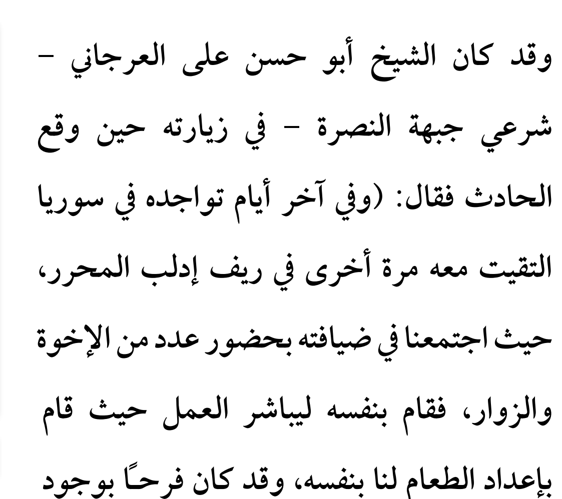
(١) صحيح البخاري ح رقم ١٥، ومسلم ح رقم ٧٠.

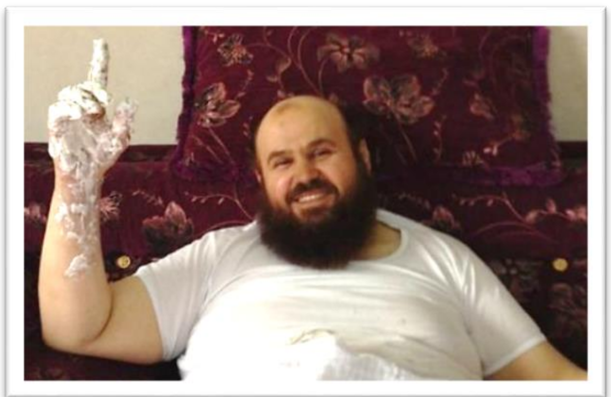
(٢) صحيح البخاري ح رقم ١٦، ومسلم ح رقم ٦٧.

(٣) سنن أبي داود ح رقم ٤٦٨١ بإسناد صحيح.

وقد كان الشيخ محمد المفرح قد بلغ في مقام المحبة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، غاية لا يبلغ مثلها إلا المؤمنون المخلصون، والأولياء الصالحون، فأما حبه لله جل جلاله فقد شهد به له من شاهدوه ساعة احتراقه بالنار في أرض الشام، وهو يردد والنار تلتهم أطرافه (يا حبيبي يا ألله! يا حبيبي يا ألله)!

ولا يتذكر الله في مثل هذه الأحوال، فضلا عن التودد إليه بالمحبة، والتوسل إليه بها، إلا وليّ امتلأ قلبه حبا لله، وتعلق قلبه به، وقد قال الشيخ حجاج العجمي وقد شهد الحادثة – وكان في زيارة مع وفد من الهيئة الشعبية لتقديم الإغاثة للأهالي في المناطق المحررة – إن محمدا لم يزد حين تعرض للحريق على ترديد كلمة (يا حبيبي يا ألله! يا حبيبي يا ألله)!





صابرا محتسبا مبتسما بعد تعرضه للحريق شهر ٦ سنة ٢٠١٣م

وقد كان الشيخ أبو حسن على العرجاني – شرعي جبهة النصرة – في زيارته حين وقع الحادث فقال: (وفي آخر أيام تواجده في سوريا التقيت معه مرة أخرى في ريف إدلب المحرر، حيث اجتمعنا في ضيافته بحضور عدد من الإخوة والزوار، فقام بنفسه ليباشر العمل حيث قام بإعداد الطعام لنا بنفسه، وقد كان فرحًا بوجود الإخوة كعادته، وفي هذا اليوم أصيب بحروق صعبه جدًا، وحاول أن لا يشغلنا بهذه الحروق التي أصابته، ولكن لم تجعل له خيارا بسترها عنا، فحاول الإخوة إسعافه ومعالجته وكان من شدة الألم يقول: (حبيبي يا ألله) ويكررها مرات عدة، ثم يدعو للمجاهدين، وللأمة الإسلامية، إلى أن استدعى الأمر بالإخوة إلى إخراجه لتركيا للعلاج فيها، وجلس فترة من الزمن هناك حتى أن سمعنا خبر وفاته، فرحمه الله من رجل جاهد بكلمة الحق وبالنفس والمال، وهاجر من دياره لتكون كلمة الله هي العليا).

وقال الشيخ سيف الهاجري عن تلك الحادثة :(عندما كان الشيخ محمد في سوريا في صيف سنة ٢٠١٣م، وفي عصر أحد الأيام، وكنت أكلم الشيخ محمد المفرح بالسكايب، وفجأة سمعت صوت تكبير، وارتفعت الأصوات حوله، والجهاز شغال أسمع ما يدور، فإذا الشيخ محمد يهلل ويكبر، ويستعيذ بالله من النار، ومن عذاب الله، ويدعو للأمة بالنصر، ويردد (يا حبيبي يا الله يا حبيبي يا الله)، فظننت أنهم تعرضوا لهجوم أو قصف، وانقطع الاتصال، واتصلت بالشيخ حامد العتيبي – وكان في زيارة له مع وفد من الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري – فبلغني تعرض الشيخ محمد للحريق، فتعجبت من صبره، وتذكره لله، ودعوته للأمة، وهو في هذه

**الحالة، هذا ما سمعته بالهاتف من حاله، ولكنني رأيته منه رأي العين وهو في مرض موته، فبعد أن أجريت له عملية لوضع أنبوب تصريف للصفراء يخرج من جنبه، عثر بسلك الأنبوب وآلمه ألما شديدا، مضافا على ألم المرض، فكان ما سمعته منه عند تعرضه للحريق في سوريا، سمعته منه مرة أخرى ورأيته رأي العين في مرض موته، وكان يكثر من قول يا حبيبي يا الله).**

**وإنما يذكر المرء ساعة الشدة محبوبه وحبيبه، ولقد كان الله جل جلاله حبيبه الذي لا يفتر محمد عن ذكره، وحمده، والتذكير به، وبعظمته ﴿وَالَّذِينَ ءامَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لله﴾!**

**ولم يتحقق لمحمد هذا المقام إلا بعد مجاهدة سيأتي ذكرها في مقام عبادته وأوراده وأذكاره التي كان يحافظ عليها، والتي جاء في الحديث القدسي الصحيح: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)!**

**وأما حبه للنبي ﷺ ففي تعظيمه له، والدعوة إلى إحياء سنته في الإمامة والحكم وسياسة الأمة، وجهاده في سبيل ذلك، ولو لم يكن إلا صدعه الطغاة بهذه الدعوة لكفاه شاهدا على صدق هذه المحبة، وكذلك في كثرة الصلاة عليه في كل حين، وكم سمعته يعجب من أحد شيوخه في مكة، وكانت لديه مقرأة للقرآن، فكان يذكر عن شيخه بأنه كان يصلي على النبي ﷺ في يوم الجمعة عشرة آلاف مرة، يجلس لها من بعد الجمعة إلى غروب الشمس!**

**وكان يقول لي: يا دكتور حاكم كيف يمكن له أن يصلي على النبي ﷺ عشرة آلاف مرة؟**

**وإنما كان محمد يعجب من ذلك الشيخ -فيما يبدو لي- لأنه كان يحاول أن يجاريه في ذلك، وأن يصلي يوم الجمعة على النبي ﷺ عشرة آلاف مرة فلا يتأتى له ذلك!**

**وأين حال شيخ في مقرأة فارغ من الدنيا وهمومها، لا شغل له إلا الذكر، بحال رجل لا يفرغ ساعة من ليل أو نهار، فهو كل وقته في عبادة، وجهاد، ودعوة، وقضاء مصالح المجاهدين، ومتابعة أحوال الأمة، ومع ذلك ينافس أهل الذكر في كثرة ذكره، وأهل الصوم في سرد صومه، وأهل قيام الليل بقيام أكثر ليله، وأهل الجهاد في جهادهم، وأهل السياسة في اهتمامهم!**

**ولشدة حبه للنبي ﷺ كان كثيرا ما يرى في رؤاه النبي ﷺ يأمره بأمر، أو يوصيه، وهي رؤى كثيرة حسنة جميلة.**

**وكان يسألني دائما عن تعبيرها، فأعتذر له، وأقول: لا أجرأ على تعبيرها، والفتوى فيها، مادام فيها رسول الله ﷺ، فيسأل أهل العلم بالتأويل!**

## حقيقة المحبة:

قال ابن القيم شارحا كلام الهروي: (فصل ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة المحبة: وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه..).[1]

## تعريف المحبة الإيمانية:

وإذا كانت محبة الله سرا من أسرار القلوب لا يطلع عليه إلا الله، وهي بالنسبة للعبد شوق القلب إلى الرب، وسكون النفس إليه، وفرح الروح وأنسها به، وسعادتها بذكره، فإن للمحبة علاماتها وصفات أهلها التي لا تخفى، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾!

فوصف الله أهل محبته بخمس صفات:

الأولى: الثبات على الإيمان ولزوم الإسلام محبة لله.

الثانية: خفض الجناح للمؤمنين والتذلل لهم محبة في الله، إذ شرط محبة الله حب من يحبهم الله، وهم أولياؤه المؤمنون.

الثالثة: العزة على أعداء الله الذين كفروا به وقاتلوا أولياءه الذين يحبهم، فلا تستقيم دعوى الحب لله وموالاة أعدائه، وأعداء أوليائه، وكما الحديث القدسي الصحيح: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب).

الرابعة: الجهاد في سبيل الله، ابتداء من جهاد النفس على طاعته، وعلى أداء حقوق عباده، ثم جهاد أعدائه باللسان والنفس والمال.

الخامسة: عدم الخوف مما قد يترتب على ذلك كله من لوم أحد أو تغيره أو سخطه (فمن أرضى الناس بسخط الله سخط عليه الله وأسخط عليه الناس).

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٦)

ولقد جمع الله كل هذه الصفات في الشيخ محمد رحمه الله، كما شهد له أبو الفاروق هيثم قائد لواء الأمة، الذي جاهد معه جنبا إلى جنب، مدة ستة أشهر، حيث يقول عنه: (إن أول ما خطر ببالي عند محاولتي كتابة هذه الكلمات عن شيخنا أبي عبد الله قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، فلقد كان الشيخ مثالا حيا لهذه الآية،



يحبه كل من يجلس معه من أول مرة، يحب كل الناس، ويخص المجاهدين بالحب الأكبر... ورغم كل هذا اللطف واللين والحب والحلم على المجاهدين، حتى لتظن أنه رجل لا يغضب، تراه تحمر عيناه، ويتقطب جبينه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، عندما نبدأ الحديث عن الطواغيت، حتى لتظن أنه رجل آخر قلبه قُدّ من صخر لشدته عليهم، فحقا شديد على الكافرين، رحيم بالمسلمين).

قال ابن القيم: (لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهدها، وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة، وهذه المادة (ح ب ب) تدور في اللغة على خمسة أشياء: الصفاء... والظهور... والثبات واللزم... ولب الشيء... والحفظ والإمساك... ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة).[1]

ثم ذكر تعريف أهل السلوك لحقيقة المحبة واختلافهم في تعريفاتهم على ثلاثين تعريفا، ومن ذلك قول بعضهم أنها: (الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه)!

وقيل: (المحبة أن يكون كلك بالمحبوب مشغولا، وذلُّك له مبذولا).

قال ابن القيم: (الثلاثون: وهو من أجمع ما قيل فيها: قال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنا، فقالوا هات ما عندك يا عراقي! فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن

(١) مدارج السالكين (٣/ ٩)

الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله، ولله، ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد جزاك الله يا تاج العارفين).[1]

## حب الشيخ محمد في الله:

وقد كانت المحبة في الله من أجل مقامات الشيخ محمد رحمه الله، فموالاته لمن يواليهم قائمة على هذا المقام العظيم، كما جاء عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (يا ابن مسعود! قلت: لبيك ثلاثا، قال: هل تدرون أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الولاية في الله، والحب في الله، والبغض في الله، قال: يا بن مسعود! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: أي المؤمنين أفضل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إذا عرفوا دينهم أحسنهم عملا، ثم قال: يا بن مسعود هل تدري أي المؤمنين أعلم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إذا اختلفوا وشبك بين أصابعه أبصرهم بالحق، وإن كان في عمله تقصير، وإن كان يزحف رحفا، ثم قال: يا بن مسعود هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها إلا ثلاث فرق: فرقة أقامت في الملوك والجبابرة فدعت إلى دين عيسى، فأخذت فقتلت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت، حتى لحقت بالله، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لهم قوة ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت، وهم الذين ذكرهم الله فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللهِ... وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، وفرقة منهم آمنت، فهم الذين آمنوا وصدقوني، وهم الذين رعوها حق رعايتها، وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يؤمنوا بي، ولم يصدقوني، ولم يرعوها حق رعايتها وهم الذين فسقهم الله).[2]

وفي لفظ: (فرقة وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى ابن مريم حتى قتلوا، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلهم الملوك ونشرتهم بالمناشير، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم، فدعوهم إلى الله وإلى دين عيسى ابن مريم فساحوا في الجبال و ترهبوا فيها...).[3]

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٦)

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ١٧١ ح١٠٣٥٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير بكير بن معروف وثقه أحمد وغيره، وفيه ضعف).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٥٢٢) قال الحاكم صحيح الإسناد، وضعفه الذهبي، والصحيح أنه ضعيف يتقوى بالذي قبله.



الشيخ محمد المفرح يتوسط إخوانه في مؤتمر الأمة... من اليمين: الشيخ ارشيد الهاجري، م. محمود فتحي، الشيخ سيف الهاجري، أ.د. حاكم المطيري، الشيخ سليمان الندوي من الهند، أ. فؤاد بن صالح، د. حسن سلمان، المترجم، د. محمد الجبوري، الشيخ حجاج العجمي.

وأما محبة الشيخ محمد المفرح للأمة، وللمؤمنين عامة، فمما شهد به له كل من عرفه، وجهاده من أجل تحريرهم ونصرتهم أوضح دليل، فكان يتألم من ألمهم، ويدعو لهم، ويعطف عليهم، ويواسي ضعيفهم، قال عنه الشيخ أبو صالح القحطاني: (ودائمـًا ما أسمعه يدعو للأمة بالنصر على أعدائها، وأن يكسر الله شوكة طغاتها، ويدعو للشام وأهلها، ولمصر والصادقين من أهلها فيها، وللجزيرة والخليج وللمسلمين عامة... كان رحمه الله تعالى قد جمعني به عمل دعوي داخل الجزيرة العربية، فكنت أرى منه توقداً وهمة تزلزل عروش الطغاة، وغيرة على المصلحين من أحرار وحرائر العالم الإسلامي، فضلاً عن بلده وأهله ومجتمعه، ولا أشك بأن سبب قبول الناس له، وإقبالهم عليه، وحبهم لهم، وثقتهم به، لهو من حبه لهم، وصدق نيته، والله أعلم بذلك، فكنت أرى منه تجردًا يتبعه خشية ويحوطه صدق ومحبة).

وقال عنه الشيخ أبو الفداء رشاد سعيد الحسيني: (كان محبا للعلم موقرا لأهله... كثير السماع والسؤال عن أحوال المسلمين متألما لحالهم... كان رفع الله درجته محبا للجهاد والمجاهدين... حيثما وجهت وجهة – في أرض الشام – أو وقفت موقفا تجد له أثرا وذكرا حسنا، في الأنفس، والألسن، والبقاع، نصرة للمستضعفين، وعونا للمحرومين.. كان صاحب فكاهة وندرة يسلي إخوانه، ويخفف عنهم آلام الهجرة، ومصاب اللجوء، وجراح المآسي، وقلة الحال، وندرة الحيلة).

وقال عنه الأستاذ أبو سعيد حسن أصلان: (فهو ينظر إلى الناس جميعـًا، وإلى المسلمين خصوصـًا، وإلى أهل الشام تحديداً، بنظرة المحب الذي يريد الخير لهم).




مع المجاهدين في بلاد الشام المباركة

وقال عنه الشيخ حامد العتيبي: (شهادة لله في الشيخ المهاجر المجاهد الشهيد بإذن الله أبي عبد الله محمد بن سعد المفرح، رغم أن مصاحبتي له ليست بالطويلة، ومن ضمنها ما كان في بلاد الشام المباركة أرض الجهاد والملاحم؛ حيث كان الشيخ مرابطا؛ لاحظت حبا عجيبا، وإخلاصا متناهيا من المجاهدين المحيطين بأبي عبد الله له، وأيضا شاهدت بركة الشيخ على المجالس التي يحضرها، وتواضعه الجم للمجاهدين، وحبه لهم، وبذل كل ما يصل ليده في نصرة ثورة الشعب السوري...

وأيضـًا حضرت حادثة إصابة الشيخ محمد رحمه الله بالحريق الذي قدره الله عليه، وكان الحريق مؤلما جدا، كما لا توجد رعاية طبية كاملة تامة، ومما أدهشني عقب إصابته ما فتر لسانه عن الدعاء للأمة والشام ومصر على وجه الخصوص، بسبب الثورة المضادة فيها آنذاك، مع أنه كان في موطن أحوج فيه أن ينشغل بنفسه، إلا أن هم الأمة الذي خرج من أجلها طغا على ذلك، وكان من حوله من مجاهدي الشام يبكون بأسى لمصابه، كما كانوا يتفانون لخدمته والاعتناء به، فسبحان من سخرهم له، وزرع حبه في قلوبهم).

وقال عنه الشيخ حسن الدقي: (وقد رزقه الله عز وجل حسن الخلق في تصرفاته وعلاقته بمن حوله وحتى بسطاء الناس، كما تميز بسعة الصدر وهدوء البال، ولعلي أستذكر عنايته بإخوانه من الحجيج – في حج سنة ٢٠٠٩م – وتفقد أحوالهم.. وكان مؤيدا وداعما للجهاد في الشام، وفي العالم دون حدود، مطمئنا إلى أثر الجهاد وامتداده وحاجة الأمة إليه، وقد رأيته مستبشرا بالنصر مطمئنا إلى وعد الله عز وجل، منفقا في سبيل الله، متصلا بالمجاهدين والفصائل دون تفريق بين فصيل وآخر).

وقال عنه أبو حسن علي العرجاني: (كان يحمل هم الأمة، والعمل على تحريرها من العبودية لغير الله عز وجل ومما قاله أو كما قال: "أجسادنا في الشام وقلوبنا على جزيرة محمد" كان يحب المجاهدين عموما، ويحب زيارتهم في مقراتهم، والتواصل مع عموم العاملين في الساحة الشامية، وكان يوصيني بهذا كثيرا).

وهو محب لكل إخوانه في (حزب الأمة الإسلامي) خاصة الشيخين الأسيرين الوهيبي والغامدي، وكان يدعو لهما في كل وقت، كما كان يخص د. عبد الله السالم الناطق الرسمي للحزب بالمحبة والثقة المطلقة، وكان يسأل عن كل إخوانه في (حزب الأمة الإسلامي)، وحتى من قصر منهم في حقه كان يستغفر لهم، ويعتذر عنهم.

**وكذا كان محبا لإخوانه في (مؤتمر الأمة) يجلهم كبيرهم وصغيرهم، ويحفظ لهم سابقتهم، وكان يخص الشيخ حسن الدقي بالمحبة والإجلال، ودائما يقول عنه: (الشيخ حسن مجاهد وولي من أولياء الله)!**



مع الشيخ عاطف الزعبي ود. حاكم والشيخ حسن الدقي والشيخ سيف الهاجري والشيخ نعيم التلاوي في حفل تكريم الشيخ حسن الدقي على جهوده في تأسيس وإدارة منظمة الأمة للتعاون التركي العربي ٥/ ٩/ ٢٠١٤م
وفي الحفل أهدى الشيخ محمد عباءته البيضاء للشيخ حسن تقديرا وتكريما له.

**وكان يحب الشيخ نعيم التلاوي، ويعجب دائما من كرمه وخدمته لإخوانه، ويقول لم أر في حياتي مثل كرمه وخدمته للناس!**

**وكان يحب الشيخ د. حسن سلمان، ويجل علمه وفكره ووعيه، وهو الذي رشحه ليتولى رئاسة (الأكاديمية العربية للعلوم السياسية والمهارات الدبلوماسية)، وكان حريصا على ضرورة توفير كل ما يلزم لمقر الأكاديمية الجديد.**

**وكان الشيخ سيف الهاجري بالنسبة له شقيقه الذي لم تلده أمه، فكان يخصه بأسراره كلها، وربما أخفى عني أشياء من أموره الشخصية أو الحزبية أو الأسرية، ولا يطلع عليها إلا الشيخ سيف؛ لشدة حبه له، وثقته به، وربما اتفقا على الأمر، وتواصيا على كتمانه عني، خشية أن أعترض عليهما، فكنت أقول له ضاحكا صادقا: يا أبا عبد الله امض لما أمرك الله، والله لا أخالفكما أبدا، فالوادي واديك!**

**وكان إذا أراد الأمر وخشي أن يعترض عليه الشيخ حسن الدقي، جاءني حتى أقنع الشيخ حسن به، وكأنه لا علاقة له بالموضوع، وإن خشي أن أعترض أنا عليه، كلم الشيخ سيف حتى يقنعني به، فيأخذنا باللطف تارة، وبالحيلة تارة، وما أجمل لطفه وحيله، حتى يكون الأمر الذي أراد!**



مع الشيخ حسن الدقي ود. حاكم والشيخ سيف الهاجري والشيخ محمد مبارك الهاجري في جانب من لقاء العيد في منظمة الأمة للتعاون العربي التركي ٧/ ١٠/ ٢٠١٤م

وسبحان من وضع له المحبة في القلوب، والقبول بين الناس، ولقد عرفته أكثر من عشرين سنة، وصحبته نحو عشر سنين، ولزمته نحو خمس سنين، في أشد الظروف، فما أغضبته قط، وما غضبت منه قط، ولا رأيت منه ما أكره لا بالفعل ولا بالقول، ولا رأى مني ما يكره، وإني لأعد ذلك من صالح عملي عند الله، أن توفاه الله ونحن وإياه على الأخوة في الله والمحبة فيه، ولعل الله أن يجعلنا من السبعة الذين يظلهم في ظل يوم لا ظل إلا ظله (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)، كما في الحديث الصحيح، وكما في الحديث الصحيح: (إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)[١]، وأن نكون ممن يغبطهم بالمحبة فيه النبيون والشهداء، كما في الحديث الصحيح عن أبي مسلم الخولاني حين قال لمعاذ بن جبل: (والله انى لأحبك! قال: فيم تحبني؟ قال: قلت: في الله تبارك وتعالى! فأخذ بحبوتي فجرني إليه هنية ثم قال: أبشر إن كنت صادقا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)، قال: فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت، فقلت: يا أبا الوليد ألا أحدثك بما حدثني معاذ بن جبل في المتحابين؟ قال: فأنا أحدثك عن النبي ﷺ يرفعه إلى الرب عز وجل قال: (حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، وحقت محبتي للمتواصلين في).[٢]

وفي لفظ قال أبو مسلم: (قلت لمعاذ بن جبل: والله إني لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك، قال: فلأي شيء؟ قلت: لله! قال: فجذب حبوتي ثم قال: أبشر إن كنت صادقا، فإني سمعت رسول الله

---

(١) موطأ مالك ح رقم ١٧٠٨، وصحيح مسلم ح رقم ٢٥٦٦.

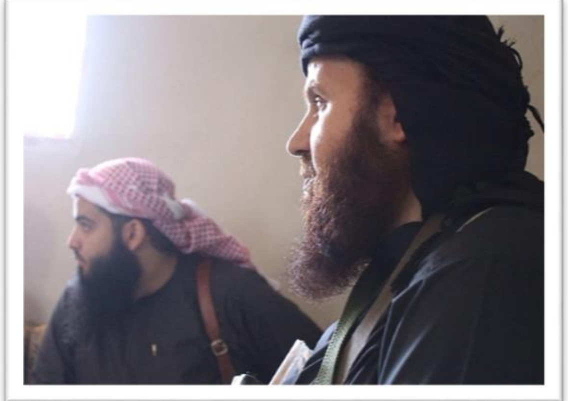
(٢) مسند أحمد بن حنبل - (٥ / ٢٣٩) بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم.

ﷺ يقول: (المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء) ثم قال: فخرجت فأتيت عبادة بن الصامت فحدثته بحديث معاذ فقال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى: (حقت محبتي على المتحابين في، وحقت محبتي على المتناصحين في، وحقت محبتي على المتزاورين في، وحقت محبتي على المتباذلين في، وهم على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون بمكانهم).[1]

قال أبو حاتم بن حبان: أبو مسلم الخولاني اسمه عبد الله بن ثوب يماني تابعي من أفاضلهم وأخيارهم، وهو الذي قال له الأسود العنسي: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا! قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم! فأمر بنار عظيمة فأججت، وخوفه أن يقذفه فيها إن لم يواته على مراده، فأبى عليه فقذفه فيها فلم تضره، فاستعظم ذلك وأمر بإخراجه من اليمن، فأخرج فقصد المدينة فلقي عمر بن الخطاب فسأله من أين أقبل فأخبره، فقال له: ما فعل الفتى الذي أحرق؟ فقال: لم يحترق! فتفرس فيه عمر أنه هو فقال: أقسمت عليه بالله أنت أبو مسلم؟ قال: نعم! فأخذ بيده عمر حتى ذهب به إلى أبي بكر فقص عليه القصة، فسرا بذلك، وقال أبو بكر: الحمد لله الذي أرانا في هذه الأمة من أحرق فلم يحترق مثل إبراهيم ﷺ).[2]

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (إن لله عبادا ليسوا بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الشهداء والأنبياء يوم القيامة؛ لقربهم من الله تعالى، ومجلسهم منه، فجثا أعرابي على ركبتيه، فقال: يا رسول الله! صفهم لنا، وجلهم لنا؟! قال: قوم من أفناء الناس؛ من نزاع القبائل، تصادقوا في الله، وتحابوا فيه، يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله عز و جل الذين ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾).[3]

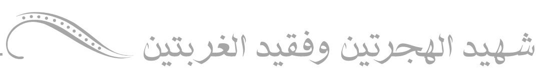
وقد كان الشيخ محمد محبا للشيخ حجاج العجمي، ويعجب من شجاعته وصدعه بالحق، مع صغر سنه، ويدعو له بالثبات دائما.



(١) صحيح ابن حبان ح رقم ٥٧٧.

(٢) صحيح ابن حبان ح رقم ٥٧٧.

(٣) الحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٠ ـ ١٧١) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والألباني في الصحيحة رقم ٣٤٦٤.





مع الشيخ سيف الهاجري ود. حاكم والشيخ ارشيد الهاجري أمام مسجد الفاتح في إسطنبول ١٨/ ١٠/ ٢٠١٤م

**كما كان يحب الشيخ ارشيد الهاجري، ولم يحرص على أحد أن يكون مرافقا له في المستشفى كما حرص على وجود الشيخ ارشيد معه، وقد فرح فرحا شديدا حين علم أنه سيرافقه في المستشفى، ولم يأذن له بمغادرته إلا للضرورة.**

**وكان قد طلب مني وهو في المستشفى أن أكلم الشيخ ارشيد ليكون معه!**

**كما كان يحب الشيخ محمد مبارك الهاجري ويعجبه سمته ووقاره ويتعجب منه!**

**وكذلك يحب إخوانه في (لواء الأمة) وقادتهم جميعا وخاصة أبو الفاروق، ويحفظ لهم ودا وحنينا بعدما اضطر للخروج من سوريا، وكان يعلم أن الفصائل كانت تتحاشى الظهور معهم حتى في البيانات، مع أنهم من أكثر الفصائل انضباطا وتميزا، بسبب وجوده معهم، حتى لا ينقطع عن الفصائل الدعم من الخارج!**

**وكان يحب المهدي الحاراتي وأبا الوليد التونسي حبا شديدا لما رأى من بطولاتهم وتضحياتهم.**

**وكذا كان يحب المهندس محمود فتحي ويأنس به ويزوره، وكان يجل الدكتور محمد الجبوري غاية الإجلال ويحرص على زيارته دائما، وكذا يجل الشيخ السيد سعدون القاضي، ويحب أبو سعيد حسن أصلان حبا عظيما، كلما رآه احتضنه، وتودد إليه!**

**وكان يحب موظفي (منظمة الأمة) خاصة هادي التلاوي وعلي القاضي ويوصي بهما دائما.**

**وقد رأيته محبا للمجاهدين عامة، وللشيخ أسامة رحمه الله خاصة، وكان يدعو لهم بالنصر والثبات، وكان دائما يستنشدني - خاصة في طرق السفر - قصيدتي في رثاء الشيخ أسامة، وقد سجلها بصوتي في هاتفه دون علمي، وكنا في سفر إلى أنقرة ومعنا الشيخ سيف، وطلبت منه مسح التسجيل، فحلف لي لا يعطيه أحدا أبدا، وسيحتفظ به لنفسه، ولم يطب خاطري بذلك إلا إكراما له!**

**كما كان يحب الشيخ سفر الحوالي ويدعو له، وكان يجل الشيخ ابن باز، وابن عثيمين، وأهل العلم والدعوة، ويدعو لهم، وكان يعتذر لهم إذا انتقدهم أحد بسبب الموقف من الحكومات، ويقول: (الله يغفر لنا ولهم)!**


الشيخ محمد سرور زين العابدين أثناء زيارته للشيخ المفرح ببيته

وكان يفرح بكل من يزوره صديقا كان أو ضيفا، ومن أي توجه كان، وقد فرح فرحا شديدا حين زاره الشيخ محمد سرور زين العابدين في بيته بتاريخ ٦ سبتمبر ٢٠١٤م، وكانت زيارة عارضة بلا موعد ولا ترتيب.

وعلى كل فقد كان الشيخ محمد حبيبا يألف ويؤلف، لا يحمل حقدا، ولا غلا، ولا يحب الفرقة، ولا الطائفية، ولا الحزبية، وكان يحذر مجاهدي الشام من خطورة التورط فيها، كما قال عنه أبو الفاروق: (تعلمنا من شيخنا نبذ التحزب والعصبية، والنظرة لكل الثوار نظرة أخوة وحب، فقد كان يبذل كل ما في يديه للمجاهدين دون تمييز بين انتماءاتهم، وعندما كنت أراجعه في بعض هذه الأمور، يقول لي بلهجته المحببة: يا أبو الفاروق الله يهديك! ما هو بمجاهد؟ وحامل سلاحه؟ ومقدم روحه؟ ما هو قائم بوجه هالظالم بشار؟ خلص هذا يكفي)!

وقال عنه الشيخ حسن الدقي: (كان منفقا في سبيل الله، متصلا بالمجاهدين والفصائل، دون تفريق بين فصيل وآخر).

وكان الشيخ محمد رحمه الله يثني على موقف الشيخ أسامة في جهاده في العراق حين نهى عن الدخول في حرب طائفية مع الشيعة، كما كانت تخطط أمريكا، وهو أيضا ضد إيران وسياساتها، ومشروعها الصفوي، وأحزابها وميليشياتها الطائفية في العراق، ويراها خطرا على الأمة، خاصة بعد وقوفها مع الاحتلال الأمريكي في العراق، ووقوفها ضد الثورة العربية، ومع ذلك كان يرى عامة الشيعة مكونا من مكونات الأمة، وأنه لا ينبغي أخذهم جميعا بجريرة إيران وسياساتها، وكان يعتب إذا تكلم أحد من الإخوة في (مؤتمر الأمة) وهاجم الشيعة كلهم، وكان يطلب مني أن أنصحهم وأنبههم بأن مشروعنا مشروع أمة، وليس مشروع طائفة، وأننا ضد كل الطغاة من كل طائفة، وكان يقول بأن الحكومة السعودية تحاول دائما كلما تعرضت لأزمة داخلية، استغلال ورقة الأقلية الشيعة، لتخويف الأكثرية السنية، والجميع هم الضحية!

ولهذا كان يرفض ظلم أي طائفة أو انتهاك حقوقها، وكان يقول: (نريدها خلافة عمرية، نريدها خلافة عمرية)!

قال عنه الأستاذ أبو سعيد حسن أصلان: (كان يشدد أنه واجب علينا إرسال رسائل الاطمئنان لكل فرد لم يرفع بوجه الأمة السلاح، ولم يحاربنا فيه، ليعيش بيننا بالأمن وينعم بالسلام، كعهد آبائنا وأجدادنا المسلمين، الذين سخروا أنفسهم لحماية المستضعفين، ولتقديم الخير لهم).

وقال عنه الشيخ د. محمد الجبوري: (كان رحمه الله على شدته على أعداء الدين والملة، تراه سهلا متوددا لإخوانه، ما رأيته ذكر أحدا من المسلمين بسوء على اختلاف مشاربهم، ولا نبزهم بما يشينهم، وإن اختلف معهم في الرأي، كان يجمع ولا يفرق، يحب إصلاح ذات البين).

## أسباب المحبة الموجبة لها:

قال ابن القيم: (الأسباب الجالبة لمحبة الله، والموجبة لها هي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به...

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان، والقلب، والعمل، والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها، ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة...

السادس: مشاهدة بره وإحسانه، وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات!

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك).[1]

ولقد كان للشيخ محمد حظ وافر من هذه الأسباب الموجبة لمحبة الله كلها، وسيأتي ذكرها في مقام العبادة، ولم أر في حياتي – وقد صحبت عددا من العباد الزهاد – كمثل محمد رحمه الله في هذا الباب، فهو فريد عصره، فقد يوجد هناك من هو مثله في العبادة، إلا إنه لا يوجد مثله في الجمع بين العبادة، ومدارسة العلم، والجهاد، والعمل السياسي، ومخالطة الناس والصبر عليهم، وقضاء حوائجهم، ثم لا يزيده ذلك إلا محافظة على النوافل

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧)

**من صيام وقيام وأذكار وقراءة للقرآن دائمة، حتى وهو بين الناس، وهم يتحدثون عنده، وكأنه كان في سباق مع الزمن، يبادر الأعمال قبل انقطاعها!**



**قال ابن القيم: (فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل، فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له، لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يألهه العباد حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له، بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب، أي تحبه وتذل له، وأصل التأله التعبد، والتعبد آخر مراتب الحب، يقال عبّده الحب وتيمه: إذا ملكه وذلـله لمحبوبه، فالمحبة حقيقة العبودية.**

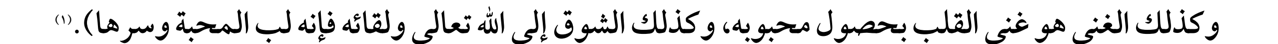
**وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضا، والحمد والشكر، والخوف والرجاء؟**

**وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين، فإنه إنما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه.**

**وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين، فإنهم يزهدون في محبة ما سوى محبوبهم لمحبته.**

**وكذلك الحياء في الحقيقة إنما هو حياء المحبين، فإنه يتولد من بين الحب والتعظيم، وأما مالا يكون عن محبة فذلك خوف محض.**

**وكذلك مقام الفقر، فإنه في الحقيقة فقر الأرواح إلى محبوبها، وهو أعلى أنواع الفقر، فإنه لا فقر أتم من فقر القلب إلى من يحبه، ولا سيما إذا وحّده في الحب، ولم يجد منه عوضا سواه، هذا حقيقة الفقر عند العارفين.**



وكذلك الغنى هو غنى القلب بحصول محبوبه، وكذلك الشوق إلى الله تعالى ولقائه فإنه لب المحبة وسرها).[1]

## محل المحبة من التوحيد والطاعة والاتباع:

قال ابن القيم: (فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته، الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له، والانقياد لأمره، فأصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبه!

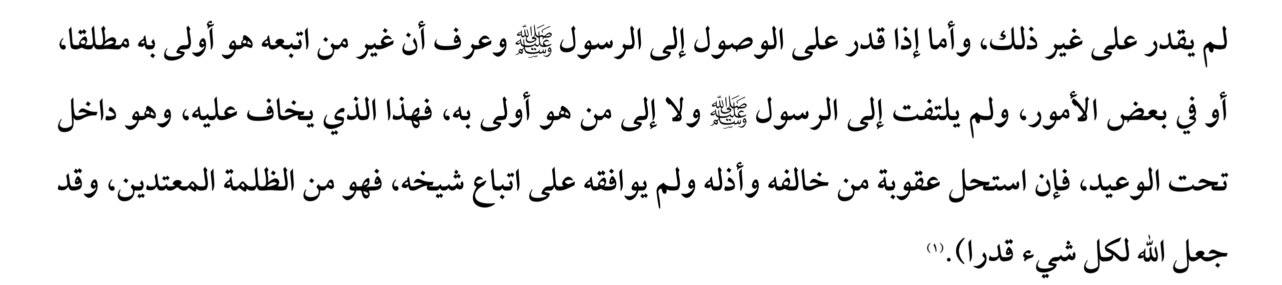
وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة، ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علما عليها، وشاهدا لمن ادعاها، فقال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم لله، وشرطا لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه، وتحققه بتحققه، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذا ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله!

ودل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتة، ولا يهديه الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءابَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله، فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن قاله بلسانه فهو كذب منه وإخبار بخلاف ما هو عليه، وكذلك من قدم حكم أحد على حكم الله ورسوله، فذلك المقدم عنده أحب إليه من الله ورسوله، لكن قد يشتبه الأمر على من يقدم قول أحد أو حكمه أو طاعته أو مرضاته ظنا منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قاله الرسول ﷺ، فيطيعه ويتحاكم إليه ويتلقى أقواله كذلك فهذا معذور، إذا

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٦)



لم يقدر على غير ذلك، وأما إذا قدر على الوصول إلى الرسول ﷺ وعرف أن غير من اتبعه هو أولى به مطلقا، أو في بعض الأمور، ولم يلتفت إلى الرسول ﷺ ولا إلى من هو أولى به، فهذا الذي يخاف عليه، وهو داخل تحت الوعيد، فإن استحل عقوبة من خالفه وأذله ولم يوافقه على اتباع شيخه، فهو من الظلمة المعتدين، وقد جعل الله لكل شيء قدرا).[1]

## ثامنا: مقام الفرار إلى الله:

وقد فر الشيخ محمد المفرح – رحمه الله – من الله العظيم خوفا من غضبه وعقابه، إلى الله الرحيم رجاء رحمته ورضوانه، كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وخرج من مكة خائفا يترقب، بعد أن دعا قومه إلى الحكم بما أنزل الله، وإقامة العدل والقسط الذي أمرهم الله به، وسياسة الأمة وشئونها كما ساسها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون، وكما أمر بذلك أمته في كل زمان ومكان، فلا يسع أحدا من المؤمنين خلافه، كما في الحديث: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضو عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)!

وقدم هو وإخوانه في (حزب الأمة الإسلامي)، هذه الدعوة إلى إقامة الحكم الراشد، في خطاب إلى الديوان الملكي بالرياض، فاعتقل أصحابه جميعا، فخرج فارا بدينه، ذاهبا إلى ربه، فما إن استقر به المقام في إسطنبول، حتى عاد للصدع بدعوته، ولم ير أنه يسعه السكوت، فطُلب منه الخروج من تركيا، إلى أي بلد أوربي، ليحصل على اللجوء، فاختار أرض الشام، فهاجر إليها، ليجاهد فيها الطغاة باليد، كما جاهدهم بالكلمة، فيسر الله له الجهاد مرتين، وكتب له الهجرتين، وعاش فيهما الغربتين، غربة الوطن، وغربة الدين، (فطوبى للغرباء)!

قال الشيخ فؤاد بن صالح عن الشيخ المفرح: (هاجر من أحب البلاد إليه، راجيا رضا الرحمن، وقد شارك في ساحات الجهاد، فزاده الله بذلك رفعة مقام، وعلو منزلة، شارك الأمة في رفع همتها، والتخلص من غثائيتها، مضحيا بالغالي والنفيس في سبيل الله، من أجل استعادة دورها، وسلوك سبيل نهضتها).

قال ابن القيم: (من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الفرار، قال الله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾، وحقيقة الفرار: الهرب من شيء إلى شيء، وهو نوعان: فرار السعداء، وفرار الأشقياء، ففرار السعداء: الفرار إلى الله عز وجل، وفرار الأشقياء: الفرار منه لا إليه، وأما الفرار منه إليه: ففرار أوليائه.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾: فروا منه إليه، واعملوا بطاعته.

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٩٩)

وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله.

وقال آخرون: اهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان والطاعة.

وقال صاحب المنازل: هو الهرب مما لم يكن، إلى من لم يزل).[1]

وقال أيضا: (ولله على كل قلب هجرتان، وهما فرض لازم له على الأنفاس:

هجرة إلى الله سبحانه بالتوحيد والإخلاص والإنابة والحب والخوف والرجاء والعبودية.

وهجرة إلى رسوله: بالتحكيم له، والتسليم والتفويض والانقياد لحكمه، وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته).[2]

## تاسعا: مقام الاستقامة:

وهو من أشرف المقامات التي أقام الله فيها الشيخ محمد المفرح، ووفقه إليها، وأعانه عليها، كما قال تعالى في سورة الشورى التي تضمنت كل أصول الخطاب السياسي القرآني: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ﴾، فالاستقامة نقيض الطغيان، ونقيض الغلو، ونقيض التفريط، ونقيض الأهواء!

فدعا الشيخ محمد قومه وأمته إلى الاستقامة التي دعا إليها القرآن، وتمثل محمد الاستقامة في نفسه عبودية لله، واتباعا لرسوله ﷺ، وخلقا وأدبا، وهديا وسلوكا، وهجرة وجهادا، فكان في ذلك كله يتمثل الاستقامة، فلا طغيان ولا تجاوز لحدود الله وأحكامه وسنة رسوله ﷺ، ولا غلو ولا تنطع في الأخذ بها، ولا إفراط ولا تطرف في الحكم على المخالف لها، ولا تساهل في حق الله ولا تفريط، بل الحنيفية السمحة، واليسر والسماحة، والمحبة والرحمة، والاستقامة والاعتدال!



قال عنه الشيخ أبو حسن علي العرجاني: (قد كنت التقيت الشيخ محمد المفرح تقبله الله في ريف اللاذقية، وصحبته، وسكنت معه فترة، فكان كريم الخلق، كريم اللسان، كريم اليد، كريم الطبع، لم أشهد عليه عيبا، ولا سوءا، لا يزال لسانه رطبا بذكر الرحمن،

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٤٦٩)

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٤٦٣)

ورأيت فيه قول الرسول ﷺ: (بشرا ولا تنفرا، يسرا ولا تعسرا)، كانت الابتسامة لا تفارقه، وفي كلماته اللين والتخفيف، كان رحمه الله سهل العشرة، سهل الطباع، لا منفر، ولا معسر، يبسط وجهه ولسانه لمن لقيه).

وقال عنه الأستاذ حسن أصلان: (ولا أظن أن هذه السماحة وهذا الانفتاح على حب الخير ينفصل عن الخلفية الفكرية والثقافية المستقاة من صميم الوعي بحقيقة الدين الذي يدين به لله، فهو ينظر إلى الناس جميعًا، وإلى المسلمين خصوصًا، وإلى أهل الشام تحديدًا بنظرة المحب الذي يريد الخير لهم، منطلقًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ...).

## حقيقة الاستقامة:

قال ابن القيم: (من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الاستقامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال لرسوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فبين أن الاستقامة ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحدود في كل شيء.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا. لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وسئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: ألا تشرك بالله شيئا.

يريد الاستقامة على محض التوحيد.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل لله.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما: استقاموا أدوا الفرائض.

وقال الحسن: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته.

وقال مجاهد: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة.

وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: (قل آمنت بالله ثم استقم) ...

وفيه عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن).

والمطلوب من العبد الاستقامة وهي السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، فإن نزل عنها: فالتفريط والإضاعة، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل).

فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة وهي السداد، والإصابة في النيات والأقوال والأعمال.

وأخبر في حديث ثوبان: أنهم لا يطيقونها فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم، كالذي يرمي إلى الغرض فإن لم يصبه يقاربه، ومع هذا فأخبرهم: أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يعجب به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله.

فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله.

قال بعض العارفين: كن صاحب استقامة لا طالب كرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة).[1]

### عاشرا: مقام الحرية مما سوى الله وكمال العبودية لله:

وهو المقام الأسمى، والمرام الأسنى، الذي بلغ فيه الشيخ محمد رحمه الله ذروة سنامه، فما إن عرف حقيقة التوحيد – وأنه تحرير الخلق من كل أشكال العبودية لغير الله، وأن غايته إقامة العدل، ورفع الظلم عن الخلق، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن داعيا وقاضيا فأوصاه (ليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله.. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) – حتى بدأ الشيخ محمد بالتحرر من ربقة العبودية لغير الله، ورأى بأن الأمة وشعوبها اضطهدت وسخرت لعبودية الطغاة، فدعا لتحريرها وتحررها، من الطغيان والاستبداد الداخلي، ومن الاحتلال الخارجي، ورفع الظلم عنها، وكان يتمثل كلمة عمر بن الخطاب الخالدة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)!

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ١٠٣)

قال عنه أبو حسن العرجاني: (كان الشيخ محمد يحمل هم الأمة، والعمل على تحريرها من العبودية لغير الله عز وجل).

## حقيقة الحرية وارتباطها بمفهوم التوحيد:

ولما كانت حقيقة الحرية والتوحيد واحدة، فالتوحيد ينتهي بتحرير الإنسان من العبودية لغير الله، والحرية مظهر التوحيد الأسمى، حتى صار المؤمن كلما ارتقى في مدارج توحيد الله، ازداد تحررا وحرية مما سوى الله، كما قال تعالى في دعاء زوجة عمران ربها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿مُحَرَّرًا﴾ مأخوذ من الحرية التي هي ضد العبودية، روى خصيف عن عكرمة ومجاهد: أن المحرر الخالص لله عز وجل، لا يشوبه شي من أمر الدنيا، وهذا معروف في اللغة أن يقال لكل ما خلص: حر، ومحرر).[1]

قال ابن القيم شارحا كلام شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي في وصف منازل الأولياء وأحوالهم عند أهل السلوك والتصوف السني: (قوله: (حرا من رق الرسم)، فالحرية التي يشيرون إليها: هي عدم الدخول تحت عبودية الخلق والنفس، والدخول تحت رق عبودية الحق وحده... أي فتخلص نفسك من عبودية كل ما سوى الله، وتكون بقلبك مع القادر الحق وحده، لا مع آثار قدرته التي هي رسوم، فلا تشتغل بغيره، لتشغلها بعبوديته، ولا تطلب بعبوديتك له حالا ولا مقاما ولا مكاشفة ولا شيئا سواه).[2]

وقال أيضا: (فالحر من تخلص من رق الماء والطين، وفاز بعبودية رب العالمين، فاجتمعت له العبودية والحرية، فعبوديته من كمال حريته، وحريته من كمال عبوديته).[3]

ولوضوح حقيقة الحرية – كمقام من مقامات العبودية لله – عند الشيخ محمد رحمه الله تمثلها في دعوته وجهاده ومعاملته، فقضية تحرير الأمة من الطغيان والاستبداد الداخلي، وتحررها من الاحتلال الخارجي، من الأهمية عنده بالمكان الأسمى، لأنها من حقيقة توحيد الله بالطاعة والعبادة والحكم، وكذا صيانة حرية الإنسان لها عنده المحل الأسنى، كما أخبر عنه أبو مالك فقال: (وكنت أراه هادئا أثناء نقاش بعض الأحبة، يستمع لهؤلاء، وهؤلاء، فكنت أثرّب على بعضهم في أمور لسنا بحاجة إليها، فكان يقول لي: يا أبو مالك هم مساكين للتو بدؤوا يجدون حريتهم في النقاش، أما نحن فلقد تجاوزنا هذا منذ زمن، فاجعلهم بواسع العذر).

---

(١) تفسير القرطبي – (٤ / ٦٦)

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٩٦)

(٣) مدارج السالكين (٣ / ٧٤)

## الحادي عشر: مقام العبادة والتبتل:

وقد اشتهر الشيخ محمد المفرح بالعبادة، منذ حداثة سنه وهو طفل، كما أخبر عنه ولده فقال: (ومنذ صغره وهو ابن ست سنين، كان لا يترك الصلاة في جماعة، إلا في حال المرض، متأثرا خطى والده الصالح، وقد كان في تأله عجيب من ذلك الوقت، فكان (حمامة المسجد) ...).



وكان حين عرفته سنة ١٩٩٢م في مكة لا يصلي الفرض إلا في البيت الحرام، وكان معروفا بالعبادة، ثم لما جمعنا الله وإياه في مشروع (مؤتمر الأمة) كنا نجتمع كل رمضان في مكة طوال الشهر، وكان يجتهد في القيام وقراءة القرآن غاية الاجتهاد، ولعله ربما ختم القرآن في كل ثلاث ليال مرة، ولما كتب الله له الهجرة إلى تركيا مطلع سنة ٢٠١١م كنا نأتيه في سكنه ونجلس معه الشهر والشهرين، فرأيت من أحواله وعبادته وصيامه ومحافظته على أوراده وأذكاره، ما لا يمكن أن يتهيأ لعبد إلا بتوفيق رباني، ومدد سماوي، كما جاء في وصية النبي ﷺ في حديث معاذ بن جبل قال: (أخذ رسول الله ﷺ يوما بيدي فقال لي: يا معاذ والله إني لأحبك! فقلت: بأبي أنت وأمي والله إني لأحبك! قال: يا معاذ إني أوصيك لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك).[1]

## محافظة الشيخ محمد على قيام الليل:

قال عنه الشيخ ارشيد الهاجري: (دخلت سوريا في عمل إغاثي، فزرته، وكان الشيخ محمد قد ذهب رحمه الله للشام مجاهدا، فرأيت منه العجب العجاب، كنت أتعجب منه عندما ننام بالليل، فكان يتوضأ وينام، فقلت في

---

(١) صحيح ابن خزيمة ح رقم ٧٥١، وصحيح ابن حبان ٢٠٢٠.

نفسي لماذا يتوضأ وينام، والماء بارد شحيح، وكان هذا فعله كل يوم، وفي ليلة من الليالي لم أنم، بسبب القصف المستمر على المنطقة، وكان المكان مظلما، فتفاجأت به يقوم وينظر إلي ليتأكد أنني نائم، فعندما تأكد أنني نائم، قام وفتح المصحف، وأخذ يصلي، فوالله أنني أرى النور في وجهه والمكان مظلم، فازداد حبه في قلبي، لأنني أحسبه والله حسيبه أنه ولي من أولياء الله، فعرفت لماذا كان يتوضأ ويتظاهر بالنوم، يريد أن يقوم الليل، فإذا نمنا جميعا، قام وهو على وضوئه، فلا يراه أحد، ولا يشعر به أحد، بخلاف ما لو توضأ لأيقظ من حوله).

وقال عنه الأستاذ المجاهد حسن أصلان: (قدر الله لي أن ألقاه في منطقة – وادي الضيف – وأنزلني ضيفًا عنده لعدة أيام، أنام معه في غرفة واحدة، لِأرى من خصاله وشمائله التي لا تُعرف بتفاصيلها إلا في مثل هذه الحالة، لقد كان قليل الكلام، كثير الابتسام، يحب الصلاة بالليل والناس نيام، فوالله لا أذكر أني استيقظت ليلاً إلا ورأيته في الصلاة، ولك أن تتصور الصلاة والوضوء في منطقة حرب لا يوجد بها كهرباء ولا ماء إلا ما جيء بأوان كاد يتجمد من شدة البرد، فكانت الصلاة في الليل هي الملجأ الذي يحميه ويحفظه في ظروف شديدة القساوة كهذه، لقد رأيته في حالات أكثر نعومة، وأوفر حظًا بما يرتبط بالماديات – ووالله لم أجده بسعادة وهناء كتلك التي رأيته بها في هذه الظروف القاسية).

كما صحبه الشيخ حجاج العجمي في الشام فأخبر عنه أنه (كان يقوم الليل في مضافة المهاجرين المجاهدين في إدلب، ويحثهم على قيام الليل في الليالي الباردة، وكان يرفع صوته بقوله: تزينوا يا شباب للقاء الله! تزينوا للقاء الله، فيصلي من الليل ما شاء الله)!

قال الشيخ حجاج عنه: (كان للشيخ ابن مفرح خبيئة مع الله من قيام الليل، والاستغفار، والصلاة على النبي، فإذا جاء الثلث الأخير من الليل قام يرفع صوته بين المجاهدين (تزينوا للقاء الله... تزينوا للقاء الله).

### محافظته على سرد الصوم:

كما اشتهر الشيخ رحمه الله بسرد الصوم، كما قال عنه الشيخ محمد الهاجري: (وفي شهر يونيو ٢٠١٤م، رافقت شيخنا د. حاكم المطيري لإسطنبول، وقد مكثنا في شقة الشيخ محمد الذي يسكن فيها وحده، ولم يخرج منها منذ شهر لدواع أمنية، وكان رحمه الله في هذه الفترة يسرد الصوم).

وقال عنه الشيخ حسن سلمان: (ومما اشتهر به الشيخ وخاصة عندما كان في أرض الرباط بالشام الصيام، فهو كثير المداومة عليه، ليس الاثنين والخميس والأيام البيض؛ بل سائر أيام الأسبوع وأيام السفر، حتى يبلغ بي

الأمر في بعض الأحيان أن أناشده بالإفطار لاعتبارات مصلحية كنت أراها في حينه، ولكنه كان يشير لي دائمًا بأنه يقوى بالصوم ولا يضعف).

وأعجب ما في أمر محمد رحمه الله هو أنه يشتغل في عبادة كل وقت بحسب ما شرعه الله لها، بلا تكلف، ولا مشقة تبدو عليه، ولا يشغله فرض عن فرض، ولا نفل عن نفل، وهو في ذلك كله يؤدي حقوق أهله عليه، وحقوق أصحابه، وحقوق ضيوفه الخاصة، وحقوق الأمة العامة، فهو سياسي مجاهد مهاجر عابد عالم بالله!

## أنواع العبادة وأفضلها:

قال ابن القيم عن أفضل أنواع العبادات، وأشرف أقسام العبّاد، وأصحهم مذهبا:

(الصنف الرابع: قالوا إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته:

فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل، وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل في أوقات السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار.

والأفضل في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل الإقبال على تعليمه والاشتغال به.

والأفضل في أوقات الأذان ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى الجامع وإن بعد كان أفضل.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره والعزم على تنفيذ أوامره، أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

والأفضل في العشر الأخير من رمضان لزوم المسجد فيه، والخلوة والاعتكاف، دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته، وحضور جنازته، وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه.

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه، واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه.

وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد، فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته، فهو يعبد الله على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدار تعبده عليها، فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها، واشتغل بها، حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره، فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العباد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم، فهذا هو العبد المطلق الذي لم تملكه الرسوم، ولم تقيده القيود، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات، بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه، فهذا هو المتحقق بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حقا، القائم بهما صدقا، ملبسه ما تهيأ، ومأكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته، ومجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خاليا، لا تملكه إشارة ولا يتعبده قيد، ولا يستولي عليه رسم، حر مجرد دائر مع الأمر حيث دار، يدين بدين الآمر أني توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مضاربه، يأنس به كل محق، ويستوحش منه كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها وكلها منفعة حتى شوكها، وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله والغضب إذا انتهكت محارم الله، فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس، بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين وتخلى عنهم، وإذا كان مع

خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها، فواها له ما أغربه بين الناس، وما أشد وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله، وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه).[1]

فوالله ما زاد ابن القيم فيما ذكره هنا على أن وصف حال الشيخ محمد المفرح، فسبحان من وفقه لكل هذه المقامات! وسبحان من يسر له كل هذه العبادات! وسبحان من ألهمه رشده، وألزمه كلمة التقوى!

فقد كان حاله كما قال عنه الشيخ أبو صالح القحطاني: (والحق يقال أنه جمع ما بين أدائه لحق ربه، من ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وأدائه لحقوق الخلق، من الكرم، ودماثة الخلق، وحسن المحيّا، وطيب الخصال والفعال).



في جامع الفاتح رمضان ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م

وقد كان من توفيق الله لمحمد رحمه الله أن يسر الله له قيام العشر الأواخر من آخر رمضان قبل وفاته ١٤٣٥هـ، وذلك في جامع السلطان محمد الفاتح، كل ليلة، مع ما كان يعانيه من أثر الحريق وعملياته الجراحية التي كانت تعيق سجوده وحركته، وأثر المرض الذي قضى عليه بعد ذلك، وكنا نصلي قبل ذلك التراويح في جامع (الإمام الأعظم أبي حنيفة) في منطقة بشاك شهير، أو جامع (فخري باشا) وكلاهما قريب من سكنه، فلما دخلت العشر حرص على أن نصلي القيام كله في الفاتح، مع أن المنطقة التي كان يسكنها بعيدة عنه في ضواحي إسطنبول، وكان يحرص – إذا انقطع مدة عن جامع الفاتح ثم جاء يصلي فيه – أن



(١) مدارج السالكين (١ / ٨٨)

يزور قبر محمد الفاتح بجانب المسجد وما حوله من قبور فيسلم عليهم، ويدعو لمحمد الفاتح، ثم يدخل الجامع ويعتزل في زاوية يصلي ما شاء الله له أن يصلي، ويقرأ القرآن، والأذكار، في حال من الانقطاع الروحي عن هذا العالم المادي، وفي تبتل عجيب، وفناء عن الخلق بالخالق، لا يوفق الله إليه إلا أولياءه الصالحين!

قال ابن القيم عن أحوال أهل التوحيد والتبتل والعبادة وارتقائهم إلى حال الشهود والفناء: (أهل التوحيد والاستقامة يشيرون بالفناء إلى أمرين أحدهما أرفع من الآخر:

الأمر الأول: الفناء في شهود الربوبية والقيومية، فيشهد تفرد الرب تعالى بالقيومية والتدبير والخلق والرزق والعطاء والمنع والضر والنفع، وأن جميع الموجودات منفعلة لا فاعلة، وماله منها فعل، فهو منفعل في فعله محل محض لجريان أحكام الربوبية عليه، لا يملك شيئا منها لنفسه ولا لغيره، فلا يملك ضرا ولا نفعا، فإذا تحقق العبد بهذا المشهد خمدت منه الخواطر والإرادات، نظرا إلى القيوم الذي بيده تدبير الأمور، وشخوصا منه إلى مشيئته وحكمته، فهو ناظر منه به إليه، فان بشهوده عن شهود ما سواه، ومع هذا فهو ساع في طلب الوصول إليه قائما بالواجبات والنوافل.

الأمر الثاني: الفناء في مشهد الإلهية، وحقيقته الفناء عن إرادة ما سوى الله ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه وخوفه ورجائه، فيفنى بحبه عن حب ما سواه، وبخوفه ورجائه عن خوف ما سواه ورجائه، وحقيقة هذا الفناء إفراد الرب سبحانه بالمحبة والخوف والرجاء والتعظيم والإجلال، ونحن نشير إلى مبادئ ذلك وتوسطه وغايته فنقول:

اعلم أن القلب إذا خلى من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياسة أو صورة، وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة والتأهب للقدوم على الله عز وجل، فذلك أول فتوحه وتباشير فجره، فعند ذلك يتحرك قلبه لمعرفة ما يرضى به ربه منه فيفعله، ويتقرب به إليه، وما يسخطه منه فيجتنبه، وهذا عنوان صدق إرادته، فإن كل من أيقن بلقاء الله، وأنه سائله عن كلمتين، يسأل عنهما الأولون والآخرون: (ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين)، لا بد أن يتنبه لطلب معرفة معبوده والطريق الموصلة إليه، فإذا تمكن في ذلك فتح له باب الأنس بالخلوة والوحدة والأماكن الخالية التي تهدأ فيها الأصوات والحركات، فلا شيء أشوق إليه من ذلك، فإنها تجمع عليه قوى قلبه وإرادته وتسد عليه الأبواب التي تفرق همه وتشت قلبه، فيأنس بها ويستوحش من الخلق، ثم يفتح له باب حلاوة العبادة بحيث لا يكاد يشبع منها، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب ونيل الشهوات، بحيث إنه إذا دخل في الصلاة ود أن لا يخرج منها، ثم يفتح له باب حلاوة استماع كلام الله، فلا يشبع منه، وإذا سمعه هدأ قلبه به كما يهدأ الصبي إذا أعطي ما هو شديد المحبة له، ثم يفتح له باب شهود عظمة الله المتكلم به، وجلاله وكمال نعوته وصفاته، وحكمته ومعاني خطابه، بحيث

يستغرق قلبه في ذلك حتى يغيب فيه، ويحس بقلبه وقد دخل في عالم آخر غير ما الناس فيه، ثم يفتح له باب الحياء من الله وهو أول شواهد المعرفة، وهو نور يقع في القلب يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه عز وجل فيستحي منه في خلواته وجلواته، ويرزق عند ذلك دوام المراقة للرقيب، ودوام التطلع إلى حضرة العلي الأعلى، حتى كأنه يراه ويشاهده فوق سمواته مستويا على عرشه، ناظرا إلى خلقه، سامعا لأصواتهم، مشاهدا لبواطنهم، فإذا استولى عليه هذا الشاهد غطى عليه كثيرا من الهموم بالدنيا وما فيها، فهو في وجود والناس في وجود آخر، هو في وجود بين يدي ربه ووليه ناظرا إليه بقلبه، والناس في حجاب عالم الشهادة في الدنيا، فهو يراهم وهم لا يرونه ولا يرون منه إلا ما يناسب عالمهم ووجودهم، ثم يفتح له باب الشعور بمشهد القيومية، فيرى سائر التقلبات الكونية وتصاريف الوجود بيده سبحانه وحده، فيشهده مالك الضر والنفع والخلق والرزق والإحياء والإماتة، فيتخذه وحده وكيلا، ويرضى به ربا ومدبرا وكافيا، وعند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه وصفات كماله ونعوت جلاله، فلا يحجبه خلقه عنه سبحانه، بل يناديه كل من المخلوقات بلسان حاله: اسمع شهادتي لمن أحسن كل شيء خلقه، فأنا صنع الله الذي أتقن كل شيء، فإذا استمر له ذلك فتح عليه باب القبض والبسط، فيقبض عليه حتى يجد ألم القبض لقوة وارده، ثم يقبض وعاءه بأنوار الوجود، فيفنى عن وجوده وينمحي كما يمحو نور الشمس نور الكواكب، ويطوي الكون عن قلبه بحيث لا يبقى فيه إلا الله الواحد القهار، وتفيض أنوار المعرفة والمعاملة والصدق والإخلاص والمحبة من قلبه، كما يفيض نور الشمس عن جرمها، فيغرق حينئذ في الأنوار كما يغرق راكب البحر في البحر، وذلك إنما يكون في الرياضة والمجاهدة وزوال أحكام الطبيعة وطول الوقوف في الباب، وهذا هو من علم اليقين، لا من عين اليقين، ولا من حق اليقين، إذ لا سبيل إليهما في هذه الدار، فإن عين اليقين مشاهدة، وحق اليقين مباشرة، نعم قد يكون حق اليقين في هذه الدنيا بالنسبة إلى الوجود الذهني، وما يقوم بالقلوب فقط ليس إلا كما تقدم تقريره مرارا).[1]

## حقيقة التبتل:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة التبتل، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾، والتبتل الانقطاع، وهو تفعل من البتل، وهو القطع، وسميت مريم البتول لانقطاعها عن الأزواج، وعن أن يكون لها نظراء من نساء زمانها، ففاقت نساء الزمان شرفا وفضلا، وقطعت منهن، ومصدر بتل تبتلا كالتعلم والتفهم، ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف، فإن في هذا الفعل إيذانا بالتدريج، والتكلف،

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٧٨)

والتعمل، والتكثر، والمبالغة، فأتى بالفعل الدال على أحدهما بالمصدر الدال على الآخر، فكأنه قيل: بتل نفسك إلى الله تبتيلا، وتبتل إليه تبتلا، ففهم المعنيان من الفعل ومصدره، وهذا كثير في القرآن وهو من أحسن الاختصار والإيجاز.

قال صاحب المنازل شيخ الإسلام الهروي: التبتل: الانقطاع إلى الله بالكلية، وقوله عز وجل: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾، أي: التجريد المحض.

ومراده بالتجريد المحض: التبتل – وهو الانقطاع – عن ملاحظة الأعواض، بحيث لا يكون المتبتل كالأجير الذي لا يخدم إلا لأجل الأجرة، فإذا أخذها انصرف عن باب المستأجر، بخلاف العبد فإنه يخدم بمقتضى عبوديته لا للأجرة، فهو لا ينصرف عن باب سيده إلا إذا كان آبقا، والآبق قد خرج من شرف العبودية، ولم يحصل له إطلاق الحرية، فصار بذلك مركوسا عند سيده وعند عبيده، وغاية شرف النفس: دخولها تحت رق العبودية طوعا واختيارا ومحبة لا كرها وقهرا...

والذي حسن استشهاده بقوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾، في هذا الموضع: إرادة هذا المعنى، وأنه تعالى صاحب دعوة الحق لذاته وصفاته، وإن لم يوجب لداعيه ثوابا، فإنه يستحقها لذاته، فهو أهل أن يعبد وحده، ويدعى وحده، ويقصد ويشكر، ويحمد ويحب، ويرجى ويخاف، ويتوكل عليه ويستعان به، ويستجار به، ويلجأ إليه، ويصمد إليه، فتكون الدعوة الإلهية الحق له وحده.

ومن قام بقلبه هذا معرفة وذوقا وحالا صح له مقام التبتل والتجريد المحض.

وقد فسر السلف دعوة الحق بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق ومرادهم: هذا المعنى.

فقال علي رضي الله عنه: دعوة الحق: التوحيد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله وحده، ودعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها.

قال: وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى: تجريد الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى العالم خوفا أو رجاء أو مبالاة بحال.

قلت التبتل يجمع أمرين: اتصالا وانفصالا، لا يصح إلا بهما، فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب منه، وعن التفات قلبه إلى ما سوى الله خوفا منه، أو رغبة فيه، أو مبالاة به، أو فكرا فيه، بحيث يشغل قلبه عن الله.

والاتصال: لا يصح إلا بعد هذا الانفصال، وهو اتصال القلب بالله، وإقباله عليه، وإقامة وجهه له حبا وخوفا ورجاء وإنابة وتوكلا.

ثم ذكر الشيخ ما يعين على هذا التجريد وبأي شيء يحصل فقال: بحسم الرجاء بالرضا، وقطع الخوف بالتسليم، ورفض المبالاة بشهود الحقيقة.

يقول: إن الذي يحسم مادة رجاء المخلوقين من قلبك: هو الرضا بحكم الله عز وجل، وقسمه لك، فمن رضي بحكم الله وقسمه لم يبق لرجاء الخلق في قلبه موضع.

والذي يحسم مادة الخوف: هو التسليم لله، فإن من سلم لله، واستسلم له، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع أيضا، فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى وليها ومولاها، وعلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها، وأن ما كتب لها لابد أن يصيبها، فلا معنى للخوف من غير الله بوجه، وفي التسليم أيضا فائدة لطيفة وهي أنه إذا سلمها الله فقد أودعها عنده، وأحرزها في حرزه، وجعلها تحت كنفه، حيث لا تنالها يد عدو عاد ولا بغي باغ عات.

والذي يحسم مادة المبالاة بالناس: شهود الحقيقة وهو رؤية الأشياء كلها من الله وبالله، وفي قبضته وتحت قهره وسلطانه، لا يتحرك منها شيء إلا بحوله وقوته، ولا ينفع ولا يضر إلا بإذنه ومشيئته، فما وجه المبالاة بالخلق بعد هذا الشهود...).[1]

## الثاني عشر: مقام الذكر:

وهو من أشرف مقامات العبودية لله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾، وهو سبب كسبي، يترتب عليه حال وهبي، كما قال تعالى في الآية التي بعدها مباشرة: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، فإذا ذكروا الله ذكرا كثيرا، صلى الله عليهم وملائكته، فرحمهم، وغفر لهم، وهداهم، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، سواء من ظلمات النفوس ووحشتها، إلى نور إشراقها بالله وأنسها، أو من ظلمات العقول وضلالها، إلى هدايات أحكام الله وكمالها، أو من ظلم النفوس وبغيها، إلى رحمة أحكامه وعدلها.

وهو من أشهر مقامات الشيخ محمد التي اشتهر بها، وعرفت عنه، كما قال الشيخ سيف الهاجري: (في حج عام ٢٠٠٧م، بداية لقائي مع الشيخ المجاهد محمد المفرح... ووجدت فيه الوجه البشوش، والصمت المهيب، والاستماع العميق، وكثرة الذكر...).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩)

وقال عنه الشيخ محمود عبد الجبار: (في العام ٢٠٠٩م في أبريل، كان أول انعقاد لمؤتمر الأمة بإسطنبول وكانت الوفود من دول الخليج والعراق والسودان والجزائر... وكان من السعودية الشيخ أبو عبد الله محمد المفرح... وكان كثير الصمت، والتأمل، وكثير الهدوء، كثير الذكر...).

وقال عنه الشيخ ارشيد الهاجري: (أول ما التقيت فيه رحمه الله في الكويت سنة ٢٠١٠م، فرأيت عليه السكينة، وفي محياه الصدق، وعلمت أنه صادق مخلص، وأنا شديد في تعديل الرجال، ولا يعجبني كل أحد من الرجال، ولا أطمأن لكل أحد من أول لقاء، ولكن الشيخ محمد المفرح كسر هذه القاعدة... كان كثير الذكر لله، لا يكاد يقف لسانه عن التسبيح، والتهليل، والتكبير، وأكثر ذكره الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ).

وقال عنه الشيخ المجاهد د. محمد الجبوري: (تعرفت لأول مرة على الشيخ محمد المفرح أواسط عام ٢٠١٢م في مدينة إسطنبول، في أحد مساجدها في صلاة الظهر، وقد لاحظت عليه خصلتين شدتني إليه، هما دوام بشره، ودوام ذكره لله، فقد كان لا يفتر عن التسبيح على أي حال قائما، أو قاعدا، فلسانه رطب من ذكر الله).



أمام جامع خرقة شريف في الفاتح بإسطنبول رمضان ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م

ولقد حاولت مرارا أن أعرف منه ورده، فلم يكن رحمه الله يظهر لي ذلك، وكان يحرص على إخفاء أمره في أكثر عباداته، وكنت أقدّره بأنه ربما صلى على النبي ﷺ ألف مرة في اليوم أو يزيد، ومثله كل الأذكار، ثم لما توفاه الله ورأيت وصاياه لأولاده الصغار عرفت أن الأمر أعظم مما كنت أظنه!

وكان يختلي في غرفته يقرأ القرآن والأذكار ويصلي بالساعات، بلا تكلف، بل يجد في ذلك سعادة، وسرورا، وبهجة، تظهر على أسارير وجهه، وإشراقة روحه!

قال عنه الشيخ حسن سلمان – وكان زاره في الشام شهرا كاملا في صيف ٢٠١٣م –: (فقد كانت السمة الأبرز للشيخ محمد اتصافه بكثرة الذكر في كل أحواله، سواء في المجالس الخاصة أو العامة، أو الأسفار أو اللقاءات الإدارية والتشاورية، لا يكاد يغفل لحظة عن ذكر الله، وكم كنت أعجب من حاله في الأسفار الطويلة التي تستغرق أحيانًا يومًا كاملاً – كما هو الحال في السفر معه من ريف اللاذقية إلى ريف إدلب، وهو حريص على ألا تشغله قيادة السيارة عن ملازمة الذكر، بل تمر علينا الساعات، وهو لا يشاركنا حديث السفر مما كان يشكل حافزاً قويـًا للاقتداء به فيما هو فيه، فكان يؤثر ولا يتأثر في مجال الذكر).

وقال عنه الشيخ رشاد الوارفي: (كثير التدبر، والتفكر، والذكر...).

وقال عنه الشيخ أبو صالح القحطاني: (فوالله ما رأيته إلا ذاكرا، تاليا، داعيا، مصليا).

وقال عنه الشيخ العرجاني: (لا يزال لسانه رطبا بذكر الرحمن).

وقال عنه الشيخ محمد الهاجري: (كان رحمه الله كثير الصمت مدمن التسبيح والتهليل).

### أذكاره وأوراده:

قال عنه ولده عبد الله: (كان يقول لي أبي – رحمه الله –: (اجعل لك وردا من الأذكار، وكن فيه من المكثرين؛ فقل: سبحان الله عشرة آلاف مرة، والحمد لله مثلها، ولا إله إلا الله مثلهما، والله أكبر مثلهن!

وقل: اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد؛ ما استطعت ولو كان ألف مرة في اليوم!

وقل: اللهم صل وسلم على محمد عشرة آلاف مرة في اليوم!

فقلت له: لو استطعت ذلك لكنت ملكا؟

فقال لي: تحسبه صعبا؛ هذا برنامجي اليومي مع أوراد ثانية نفس العدد)!

وإذا كانت الساعة قد يتهيأ فيها قول: (سبحان الله وبحمده) ثلاثة آلاف مرة، فهذا يعني أنه ربما جلس للأذكار ما بين ثلاث ساعات إلى تسع ساعات!

وهو كثيرا ما يخصص للأذكار مثل هذا الوقت حتى وهو جالس مع الناس يكون مشغولا بالذكر!

وقد أرسلت له إحدى بناته بتاريخ ١١ محرم ١٤٣٦ هـ تشكي إليها شوقها وحنينها!

فأجابها - برسالة هاتفية مصورة منشورة بعد وفاته - يوصيها ويقول لها فيها (هل تقدرين تجعلين من وردك ألف مرة (لا حول ولا قوة إلا بالله) كل يوم أنت وإخوانك؟ وسترون أثرها في القريب العاجل)!




## حقيقة مقام الذكر:

قال ابن القيم عن مقام الذكر: (فصل ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الذكر: وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون، والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب!

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ❊❊❊ فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورا، وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا...

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق!

وهو في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقا ومقيدا، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان، كقوله: ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته، كقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الرابع: الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، كقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، كقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء، كقوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾.

وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أن ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات، لأن المقصود بالطاعات كلها: إقامة ذكره فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: أن المعنى: أنكم إذا ذكرتموه ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل، وعلى الأول: مضاف إلى المذكور.

الثالث: أن المعنى: ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر محق كل خطيئة ومعصية هذا ما ذكره المفسرون.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: معنى الآية: أن في الصلاة فائدتين عظيمتين: إحداهما: نهيها عن الفحشاء والمنكر، والثانية: اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها، كما ختم به عمل الصيام بقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وختم به الحج في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وختم به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾، وختم به الجمعة كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ولهذا كان خاتمة الحياة الدنيا، وإذا كان آخر كلام العبد أدخله الله الجنة.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الألْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح: فإنه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾، وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه بل هو روح الحج ولبه ومقصوده كما قال النبي ﷺ: (إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)، وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران ومكافحة الأعداء فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾.

وفي أثر إلهي يقول الله تعالى: (إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه).

سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يستشهد به وسمعته يقول: المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال، كما قال عنترة:

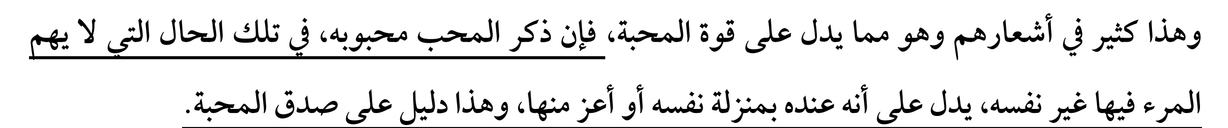
ولقد ذكرتك والرماح كأنها ❊❊❊ أشطان بئر في لبان الأدهم

وقال الآخر:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا ❊❊❊ وقد نهلت منا المثقفة السمر

وقال آخر:

ولقد ذكرتك والرماح شواجر ❊❊❊ بحوى وبيض الهند تقطر من دمي



وهذا كثير في أشعارهم وهو مما يدل على قوة المحبة، فإن ذكر المحب محبوبه، في تلك الحال التي لا يهم المرء فيها غير نفسه، يدل على أنه عنده بمنزلة نفسه أو أعز منها، وهذا دليل على صدق المحبة.

والذاكرون هم أهل السبق كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبال يقال له جمدان فقال: (سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات).

والمفردون إما الموحدون، وإما الآحاد الفرادى.

وفي المسند مرفوعا من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده).

ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله، كما في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ (خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني: أن الله يباهي بكم الملائكة).

وسأل أعرابي رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فقال: (أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله).

وقال له رجل: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أتشبث به فقال: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله).

وفي المسند من حديث جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قلنا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ فقال: مجالس الذكر).

وقال ﷺ: (اغدوا وروحوا واذكروا، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه).

وروى النبي ﷺ عن أبيه إبراهيم ﷺ ليلة الإسراء أنه قال له: (أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى ﵁ عن النبي ﷺ: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره: مثل الحي والميت)، ولفظ مسلم (مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت).[1]

ولقد عمر والله محمد المفرح وقته بالذكر حتى فاق أهل عصره، وحتى قيل عنه: لا يعرف في زمانه مثله في هذا الباب! كما قال عنه أبو الفاروق: (وإذا أردنا أن نتكلم عن زهده وعبادته، فأنا لم أر مثله، حريص على التنفل بكل أنواعه، من صيام، وقيام، وقراءة قرآن، وذكر)!

ولو لم يكن لذكر الله فضل وشرف إلا أنه سبب لذكر الله عبده في الملأ الأعلى، لكفاه شرفا وفضلا، كما في الحديث القدسي الصحيح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ بشبر، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).[2]

## الثالث عشر: مقام العلم والاتباع:

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾، وقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾.

وهو مقام أخذ منه الشيخ محمد المفرح بحظ وافر، فأخذ من العلم زبدته وثمرته، والغاية منه وهو العمل الذي يوصله إلى الله وكفى، ولم يشتغل بما وراء ذلك من العلوم التي لا يزداد بالانشغال بها العبد قربا لربه، وقد كانت له عناية في طلب العلم في صغره، وكان قد درس المذهب الشافعي، كما سيأتي في سيرة حياته، ثم درس في المساجد، ثم درس في الكلية المذهب الحنبلي، وكانت له عناية بالحديث واتباعه، على الطريقة الأثرية، مع لزوم العقيدة السنية السلفية، بلا تنطع ولا غلو، وكان يحرص على دروس الشيخ سفر الحوالي في الطحاوية، كما استضاف الشيخ الألباني والشيخ ابن جبرين في بيته، وقد آتاه الله نفسا فقهيا فطريا، فقلما ناقش أحدا في مسألة فقهية عملية مما تعم بها البلوى أو اختار رأيا، إلا كان هو القول الراجح فيها، وله عناية في فقه السياسة الشرعية، وقد قرأ كتاب (الحرية) وكتاب (التحرير) مرارا، وقرأ كل ما كتبته في هذا الباب، وكان ينبهني على القضايا التي تحتاج إلى بيان وتوضيح أكثر، وكثيرا مما كتبته من مقالات كانت أجوبة لأسئلة طرحها هو علي، أو حثني على بيانها، وتفصيل القول فيها، ككتاب (الإعلام بنوازل أحكام الجهاد في الشام)، وكان آخر ما حثني

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٢٣)

(٢) صحيح البخاري ح رقم ٧٤٠٥، وصحيح مسلم ح رقم ٢٦٧٥.

على الاستعجال به كتاب (الحكومة الراشدة)، وكان ينتظر فراغي منه على أحر من الجمر، وكان يقول الأمة اليوم تحتاج أن تعرف كيف تقيم (دول وحكومات راشدة) في كل بلد، إلى أن تتحقق وحدة الأمة ودولها وتقيم (خلافة راشدة).



مع د. حاكم والشيخ سيف الهاجري ود. الجنابي وحفيد أبو الحسن الندوي في مجلس العلامة المحدث محمد أمين سراج ١٧/ ١٠/ ٢٠١٣م

وكان يحرص حين نجتمع في السكن على قراءة كتب السنة، وربما جلسنا معه في الشقة الشهر والشهرين والثلاثة، نقرأ في اليوم أحيانا الساعتين والثلاث ساعات متواصلة، تارة بعد الفجر، وتارة الضحى أو العصر، فقرأنا في صحيح البخاري، وسنن أبي داود، والترمذي، كثيرا من كتبها وأبوابها، قال الشيخ محمد الهاجري عنه: (وكان رحمه الله في هذه الفترة يسرد الصوم، إلا أنه كان حريصا على القراءة على شيخنا د. حاكم، وطلب العلم عليه، فكنا في الشقة نقرأ من صحيح البخاري في أغلب الأوقات، وكان الشيخ المفرح يبادر بقوله: (نقرأ يا شيخ)، ومع حسن استماعه لطول الدرس، كان يطرح الفوائد والإشكالات، ويثري القراءة).

وكان في سوريا يتواصل معي بشكل دائم للإجابة عن المسائل والنوازل الفقهية التي كانت تقع لهم، كما كان يحث طلبة العلم على القدوم لتعليم الناس أمور دينهم، قال أبو مالك الأزدي وهو ممن كان معه في الشام: (وكنت أحبذ البقاء معه لتمريضه، وأعلم حاجته لي، ولكنه كان يرفض أن أبقى معه، ويقول لي: الإخوة المجاهدين في حاجتك يا أبو مالك، بحكم أنهم وضعوني في اللجنة الشرعية في اللواء، فكنت أطوف على بعض السرايا والفصائل أعلم بعضهم بعض ما جهله من أمور دينهم، لأنهم غيبوا عن السنة الصحيحة، وشاعت البدع في دينهم بسبب تسلط النظام).

وكان قد عزم على إقامة معاهد شرعية للدعاة والقضاة حين كان في الشام، وكان على وشك تنفيذ هذا المشروع، لولا الحريق الذي اضطره للخروج إلى تركيا، قال عنه الشيخ أبو الفداء رشاد الوارفي كان (محبا للعلم، موقرا لأهله، كانت أمنيته إقامة معهد لإعداد الدعاة والقضاة، لتغطية الحاجة الملحة في الساحة السورية وحاول كثيرا).

وكان يكره الاختلاف والافتراق والغلو بفطرته وفقهه، ويدعو إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله جميعا، كما أكد ذلك الأستاذ إياد العطية بقوله: (كان حريصا رحمه الله على التواصل مع الجميع بخاصة في العراق وسوريا، ويحثنا على التواصل والاجتماع مع الآخرين، وإن اختلفنا معهم في بعض الجزئيات).

## ضرورة مقام العلم:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة العلم: وهذه المنزلة إن لم تصحب السالك من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه: فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، مسدود عليه سبل الهدى والفلاح، مغلقة عنه أبوابها، وهذا إجماع من الشيوخ العارفين...

قال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد بن محمد رحمه الله: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار الرسول.

وقال: من لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة.

وقال أبو حفص رحمه الله: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا يعد في ديوان الرجال.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء، طاعة كان أو معصية، فهو عيش النفس، وكل فعل يفعله العبد بالاقتداء: فهو عذاب على النفس.

وقال السري: التصوف اسم لثلاثة معان: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

وقال أبو يزيد: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد...).[1]

(وقال أبو إسحاق الرقي من أقران الجنيد: علامة محبة الله: إيثار طاعته ومتابعة رسوله.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: أفضل الأحوال: ما قارن العلم.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤)

وقال أبو القاسم النصراباذي شيخ خراسان في وقته: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم كرامات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

وقال أبو بكر الطمستاني من كبار شيوخ الطائفة: الطريق واضح، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم، فمن صحب الكتاب والسنة، وتغرب عن نفسه وعن الخلق، وهاجر بقلبه إلى الله: فهو الصادق المصيب).[1]

وقال ابن القيم عن وجوب تقييد السائر إلى الله نفسه وعمله وحاله بالكتاب والسنة والعلم الصحيح: (جنوح الحال إلى العلم نوعان: ممدوح ومذموم، فالممدوح: التفاته إليه، وإصغاؤه إلى – العلم – ما يأمر به، وتحكيمه عليه، فمتى لم يجنح إليه هذا الجنوح كان حالا مذموما ناقصا مبعدا عن الله، فإن كل حال لا يصحبه علم: يخاف عليه أن يكون من خدع الشيطان، وهذا القدر هو الذي أفسد على أرباب الأحوال أحوالهم، وعلى أهل الثغور ثغورهم.. حيث لم يحكموا عليه العلم، وأعرضوا عنه صفحا، حتى قادهم إلى الانسلاخ من حقائق الإيمان وشرائع الإسلام!

وهم الذين قال فيهم سيد الطائفة الجنيد بن محمد لما قيل له: أهل المعرفة يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله؟

فقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول.

وقال: من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث: لا يقتدى به في طريقنا هذا، لأن طريقنا وعلمنا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ...

واعلم أن المعرفة الصحيحة: هي روح العلم، والحال الصحيح: هو روح العمل المستقيم، فكل حال لا يكون نتيجة العمل المستقيم مطابقا للعلم: فهو بمنزلة الروح الخبيثة الفاجرة، ولا ينكر أن يكون لهذه الروح أحوال، لكن الشأن في مرتبة تلك الأحوال ومنازلها، فمتى عارض الحال حكم من أحكام العلم فذلك الحال إما فاسد وإما ناقص ولا يكون مستقيما أبدا.

فالعلم الصحيح والعمل المستقيم: هما ميزان المعرفة الصحيحة والحال الصحيح، وهما كالبدنين لروحيهما).[2]

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٦٧)

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٩٩)

## أهمية العلم لمعرفة مراتب الطاعات:

وطالب العلم السائر إلى الله، أحوج ما يكون إلى معرفة درجات الطاعات ومراتبها عند الله، فلا ينشغل بالمفضول منها عن الفاضل، كما قال ابن القيم: (فإن نجا من هذه العقبة – وهي عقبة الانشغال بالمباحات عن الطاعات – ببصيرة تامة، ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، وقلة المقام على الميناء، وخطر التجارة، وكرم المشتري، وقدر ما يعوض به التجار، فبخل بأوقاته، وضن بأنفاسه أن تذهب في غير ربح، طلبه العدو – الشيطان – على العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبا وربحا، لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضى له، ولكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد في العالم، والأكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأول، فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها وسافلها، ومفضولها وفاضلها، ورئيسها ومرؤسها، وسيدها ومسودها، فإن في الأعمال والأقوال سيدا ومسودا، ورئيسا ومرؤسا، وذروة وما دونها، كما في الحديث الصحيح: (سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت)، وفي الحديث الآخر: (الجهاد ذروة سنام الأمر)، وفي الأثر الآخر: (إن الأعمال تفاخرت فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله وكان للصدقة مزية في الفخر عليهن)، ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولى العلم، السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه).[1]

## الرابع عشر: مقام النصيحة:

والنصيحة من مقامات المؤمنين الأولياء، والعلماء الأتقياء، كما جاء في الحديث الصحيح عن تميم الداري (الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)[2]، وفي حديث جرير بن عبد الله في الصحيحين: (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، النصح لكل مسلم)، وفي لفظ: (على الإسلام والنصح لكل مسلم).[3]

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٢٥)

(٢) صحيح مسلم ح رقم ٩٥.

(٣) صحيح البخاري ح رقم ٥٧ و٥٨، ومسلم ٩٦.

وإنما النصح والنصيحة هو الإخلاص، وبذل الوسع والطاقة، والجهد في القيام بالأمر كما أراد الله، وأداء الحقوق على أكمل وجه يحبه الله، بلا تفريط، ولا تقصير، ولا غش، كما في قول أخت موسى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾، بالقيام على رعاية موسى وهو طفل، والاجتهاد فيها على أكمل وجه.

فليست النصيحة هنا هي الموعظة التي يعظ بها المؤمن أخاه، بل هي القيام بالدين وأحكامه في كل باب، كما أمر الله، وهذا معنى حديث معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: (ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة).[1]

وهو مما وفق الله له عبده محمد المفرح، فقد كان دينه وديدنه النصيحة في أمره كله، قال عنه الشيخ فؤاد بن صالح - من قيادات جبهة الإصلاح التونسية -: (إذا تكلم وفق إلى القول الحسن، قليل الكلام، صاحب رأي ونصيحة للمؤمنين).



وقال الشيخ المهندس محمود فتحي: (في تلك الأثناء يسر الله عز وجل لي الظهور الإعلامي المتكرر على عدد من القنوات الفضائية، فكان يجتهد في الجملة في نصحي ومشورتي هو وإخواني، وفي تحليل ورؤية الوضع الكلي للأمة، لا الخاص بمصر فقط).

وقال الشيخ محمد الهاجري: (رحم الله الشيخ المفرح، وأكرم نزله، رحل بعد أن أدى الذي عليه، ونصح الأمة).

## الخامس عشر: مقام الصبر:

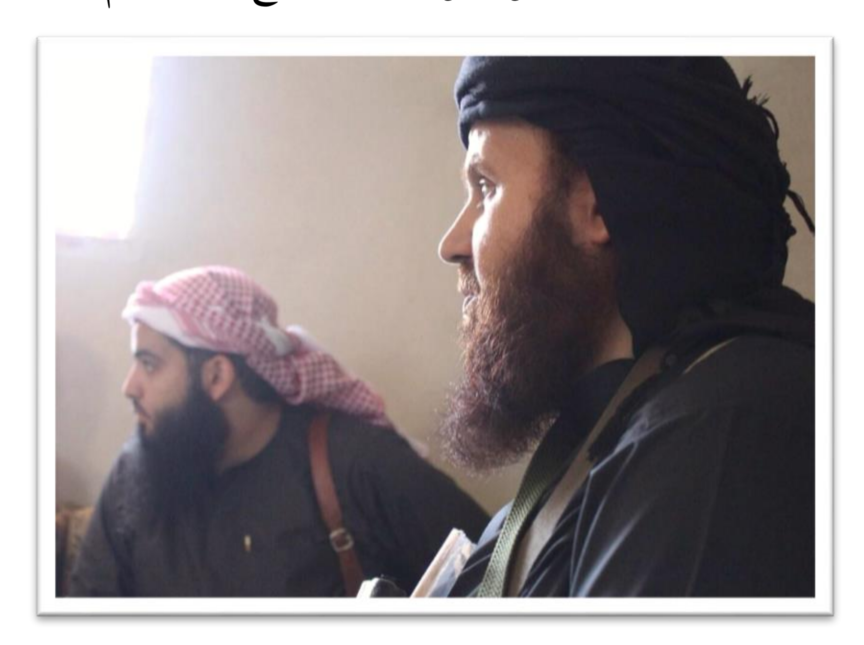
وقد حبا الله الشيخ محمد رحمه الله حلما، وسعة صدر، وصبرا واسعا، حتى في أشد المحن، وأحلك الفتن، حتى صار قدوة حسنة في هذا المقام، الذي يغبطه عليه الصالحون، كما شهد له به الأستاذ إياد العطية بقوله: (كلما جالسته غبطته على سعة صدره، وحلمه، وصبره على ما لاقاه في سبيل الله من مصاعب، ومتاعب، حتى صار قدوة، ومثلا أعلى نقتدي به، كلما مرت بنا ضائقة وشدائد).

وقال الشيخ سيف الهاجري عن صبره: (عندما كان الشيخ محمد في سوريا سنة ٢٠١٣م، وفي عصر أحد الأيام، وكنت أكلم الشيخ محمد المفرح بالسكايب، وفجأة سمعت صوت تكبير، وارتفعت الأصوات حوله، والجهاز شغال أسمع ما يدور، فإذا الشيخ محمد يهلل ويكبر، ويستعيذ بالله من النار، ومن عذاب الله، ويدعو

(١) صحيح مسلم ح رقم ٢٢٩.

للأمة بالنصر، ويردد (يا حبيبي يا الله يا حبيبي يا الله)، فظننت أنهم تعرضوا لهجوم أو قصف، وانقطع الاتصال، واتصلت بالشيخ حامد العتيبي – وكان في زيارة له مع وفد من الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري – فبلغني تعرض الشيخ محمد للحريق، فتعجبت من صبره، وتذكره لله، ودعوته للأمة، وهو في هذه الحالة، هذا ما سمعته بالهاتف من حاله، ولكنني رأيته منه رأي العين وهو في مرض موته، فبعد أن أجريت له عملية لوضع أنبوب تصريف للصفراء يخرج من جنبه، عثر بسلك الأنبوب وآلمه ألما شديدا، مضافا على ألم المرض، فكان ما سمعته منه عند تعرضه للحريق في سوريا، سمعته منه مرة أخرى ورأيته رأي العين في مرض موته، وكان يكثر من قول يا حبيبي يا الله).

وقال عنه الشيخ حجاج: (كنا في منطقة بريف إدلب اسمها (تل منس)، ومن كرمه المعتاد أراد أن يشرف على طبخ أكلة جنوبية، فقدر الله عليه أن يحترق حرقا شديدا في بطنه ورجليه، ومع شدة ألمه ما زاد على الذكر والتسبيح والدعاء للأمة بالفرج، وأن يهلك الله الطغاة المُستبدين، ومن دعائه أثناء علاج الحرق اللهم احفظ الشيخ حاكم، اللهم احفظ عبدك حجاج، وظل أياما في شدة وكرب، ومع ذلك كان في كل يوم يجتمع عنده أعيان الثورة السورية، ويستمع إليهم، ويعطيهم مشورته ورأيه، وقد قضى خمسة أشهر في أرض الشام خرج منها حريقا مريضا، لا يستطيع المشي، ودخل تركيا



متخفيا، ورأيت والله بعيني كيف بكى الناس على خروجه، ففقدوا مجاهدا مباركا نفع الله به البلاد والعباد).

وكل قصة حياته صبر ومصابرة في سبيل الله، كما سيأتي في الفصل الثاني، من هذا الكتاب.

### تعريف الصبر وحقيقته:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الصبر.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعا:

الأول: الأمر به نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾، وقوله: ﴿اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾، وقوله: ﴿اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾.

الثاني: النهي عن ضده، كقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾، وقوله: ﴿فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾، فإن تولية الأدبار: ترك للصبر والمصابرة، وقوله: ﴿وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، فإن إبطالها ترك الصبر على إتمامها، وقوله: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾، فإن الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء على أهله، كقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾، وقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وهو كثير في القرآن.

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم، كقوله: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم والإحاطة، كقوله: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه، كقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾، وقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾، ومنه قول النبي ﷺ: (واعلم أن النصر مع الصبر).

الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

الثاني عشر: الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾، وقوله ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر، كقوله تعالى لموسى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، وقوله في أهل سبأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، وقوله في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ. إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى: ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ. سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين، وبالإيمان، وبالتقوى، والتوكل، وبالشكر، والعمل الصالح، والرحمة، ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، وقال عمر بن الخطاب ﵁: خير عيش أدركناه بالصبر، وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أنه (ضياء)، وقال: (من يتصبر يصبره الله)، وفي الحديث الصحيح: (عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له).

وقال للمرأة السوداء التي كانت تصرع فسألته أن يدعو لها: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها.

وأمر الأنصار رضي الله تعالى عنهم بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض، وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر، وأمر بالصبر عند المصيبة، وأخبر أنه إنما يكون (عند الصدمة الأولى)، وأمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب، فإن ذلك يخفف مصيبته، ويوفر أجره، والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصيبة ويذهب الأجر، وأخبر أن الصبر خير كله فقال: (ما أعطي أحد عطاء خيرا له وأوسع من الصبر).

والصبر في اللغة: الحبس والكف، ومنه: قتل فلان صبرا، إذا أمسك وحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله.

فالأولان: صبر على ما يتعلق بالكسب.

والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية : فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس، ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة، فإنه كان شابا وداعية الشباب إليها قوية، وعزبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريبا والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ومملوكا والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارا وإيثارا لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه.

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.

والصبر على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله:

فالأول: أول الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾، يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابرا نفسه معها، سائرا بسيرها، مقيما بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهذا معنى كونه صابرا مع الله، أي قد جعل نفسه وقفا على أوامره ومحابه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين).[1]

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٥٢)

## السادس عشر: مقام الزهد:

وهو من أشهر مقامات الشيخ محمد رحمه الله، وهو زهد الأولياء الأغنياء، لا زهد الفقراء البؤساء، فقد كانت الدنيا في يده، وكان قلبه غنيا بالله وحده، كما في الحديث الصحيح: (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس)[1]، فكان يلبس أجمل ما يجد، ويأكل أطيب الطعام إذا تيسر له، ويحب أفخر أنواع الطيب، فإذا رأيته رأيت أجمل الناس صورة ولباسا وطيبا وخلقا، ومع هذا كله فليس في قلبه إلا الله، فالدنيا في يده لا في قلبه، وهي وسيلة يتبلغ بها للوصول إلى غايته وربه!



قال الشيخ حسن الدقي عنه: (فقد ترك الدنيا وراءه، ولم يبال بكل ما حاول الطغاة أن يغروه به من الدنيا، فلم يغير، ولم يبدل، حتى وافاه الأجل).

وقال الشيخ رشاد: (كان رحمه الله صاحب زهد وعبادة، رغم أنه ذا يسر ومشغلة، كثير التدبر والتفكر والذكر).

وقال عن أبو صالح القحطاني: (محمد بن سعد آل مفرح الأموي القرشي ما إن يتردد ذكره في أذني إلا ويطير خيالي إلى ذلك الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه وعن صاحبنا أبي عبد الله ورحمه وتقبله في الشهداء... ومن تتبع سيرة الصحابي الجليل مصعب بن عمير ﵁ - وما كان فيه من العز ورغد العيش والرفاهية، فلما عرف الحق ترك كل ذلك خلف ظهره ليتجه إلى ربه، وترك متاع الدنيا والأبهة التي كان يعيشها، لأنه عرف مراد ربه جل جلاله منه، ومراد نبيه ﷺ - رأى محمد المفرح رحمه الله).

## تعريف الزهد وحقيقته:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الزهد، قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ﴾، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ

---

(١) صحيح البخاري ح رقم ٦٤٤٦، ومسلم ح رقم ١٠٥١.

وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا. الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، وقال: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾... والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبد خيرا أقام في قلبه شاهدا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار، وقد أكثر الناس من الكلام في الزهد، وكل أشار إلى ذوقه، ونطق عن حاله وشاهده، فإن غالب عبارات القوم عن أذواقهم وأحوالهم، والكلام بلسان العلم أوسع من الكلام بلسان الذوق، وأقرب إلى الحجة والبرهان!

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة!

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها.

وقال سفيان الثورى: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء.

وقال الجنيد: سمعت سريا يقول: إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده، لأنه لم يرضها لهم، وقال: الزهد في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا ءاتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود...

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام.

والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين.

وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته، وهو من أجمع الكلام، وهو يدل على أنه ﷺ من هذا العلم بالمحل الأعلى، وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد.

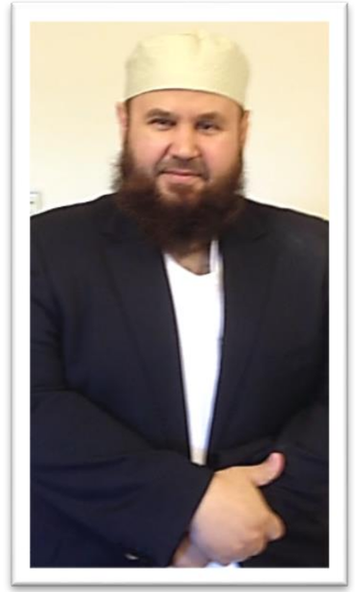
والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة، وعلى هذا صنف المتقدمون كتب الزهد كالزهد لعبد الله ابن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهناد بن السري، ولغيرهم.

ومتعلقه ستة أشياء: لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله...

ومن أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن أو غيره: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك، فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه وقد روي مرفوعا).[1]

## السابع عشر: مقام الرجاء والفرح والاستبشار:

وهذا مقام شريف في منازل السير إلى الله، فصاحبه في الدنيا في جنة الله، وفرح بالله، وسرور مع الله، وكل ذلك قبل جنة الآخر، ففي الدنيا لله جنة - كما قال ابن تيمية - من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ. قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.



وهو من المقامات التي رأي الشيخ محمد رحمه الله فيها، حتى اشتهر عنه ذلك، كما قال الشيخ حسن الدقي: (كان مطمئنا إلى أثر الجهاد وامتداده، وحاجة الأمة إليه، وقد رأيته مستبشرا بالنصر، مطمئنا إلى وعد الله عز وجل).

وقال عنه الشيخ حسن سلمان: (من خلال معرفتي بالشيخ فقد عرفته من أكثر الناس وضوحا وثباتا وأكثرهم ثقة في الله... كان ينظر في كل حدث للوجه المشرق تفاؤلاً، وثقة، وأملاً، مصحوبًا عند النقاش بابتسامة تزرع كل تلك المعاني)!

وقال عنه د. محمد الجبوري: (التقيته بعد محاولة الاغتيال الأخيرة التي تعرض لها في إسطنبول ١/ ٥/ ٢٠١٤م فكان على عادته في ثقته بالله، واستبشاره بنصره، وابتسامته المعهودة، ونشاطه المعتاد، لم يظهر عليه أي علامة من علامات الوهن أو الضعف بل كأن شيئا لم يكن..)!

وقال عنه الشيخ أبو الفداء: كان يتألم لما يجري للأمة، ومع ذلك كانت (البشرى والتفاؤل تملآن فاه وأساريره).

وقال الأستاذ العطية: (لم أره يوما إلا مستبشرا فرحا، متفائلا بنصر الله للأمة في مواطن جهادها).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨)

وقال العرجاني: (كانت الابتسامة لا تفارقه، وفي كلماته اللين والتخفيف على من حوله... وتبشيرهم بالنصر في كل وقت، وتذكيرهم بما وعده الله عز وجل للمجاهدين في سبيله).

## حقيقة الرجاء وتعريفه:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الرجاء، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب والخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ﴾، وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ﴾، وفي صحيح مسلم عن جابر ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)، وفي الصحيح عنه يقول الله عز وجل: (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)!

الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير، وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه، وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى.

والفرق بينه وبين التمني: أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها، والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها، ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

قال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء: حسن الطاعة.

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

وللسالك نظران: نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف، ونظر إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره يفتح عليه باب الرجاء، ولهذا قيل في حد الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله.

وقال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير، وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت).[1]

## الثامن عشر: مقام التواضع والإخبات:

وهما من أبرز صفات المؤمنين المتقين، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان من عباده: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾، فلا كبر مع الخلق، ولا بطر للحق، بل تواضع لله، وإخبات لله ومع عباد الله، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وقد فسر الإخبات بالتواضع، وجاء في الحديث الصحيح عن عياض المجاشعي أن النبي ﷺ خطبهم فقال: (إن الله أوحى إلى أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد).[2]

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس).[3]

وبطر الحق هو رفضه ورده تكبرا، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم تجبرا.

وإنما يحول بين العبد وربه والوصول إليه: النفس وكبرها، وبطرها وغرورها، فإذا خشعت لله، وأخبتت إليه، وتواضعت للخلق، استعدت لولوج جنة الله والدخول إلى دار رضوانه!

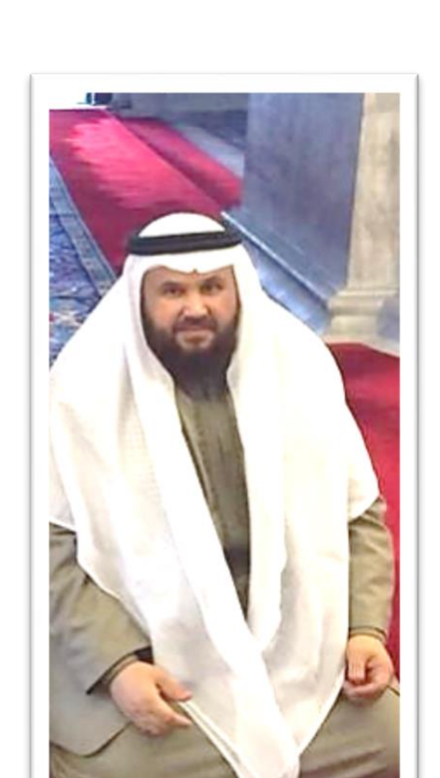
وقد وفق الله الشيخ محمد رحمه الله لهذا المقام الشريف، والمنزل المنيف، من مقامات الأولياء، ومنازل الأصفياء، حتى شخصت إليه فيه الأبصار، فلا تخطئ رؤيته فيه، ولا رسوخ قدميه عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، إذ الفضل منه وحده وإليه!

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥)

(٢) صحيح مسلم ح رقم ٢٨٦٥.

(٣) صحيح مسلم ح رقم ١٤٧.



قال عنه الشيخ أبو الفداء الوارفي كان (ودودا متوددا، سهلا طيعا متواضعا، يحب خدمة نفسه بنفسه، رغم ثقل وزنه ومرضه، تواضعا وإكراما لإخوانه).

قال عنه العطية: (الشهم الكريم المتواضع، ما جالسناه على طعام إلا أخجلنا بتواضعه وبساطته وإصراره على تقديم الطعام بيده).

وقال عنه الشيخ حامد العتيبي: (لاحظت تواضعه الجم للمجاهدين وحبه لهم، وبذل كل ما يصل ليده في نصرة ثورة الشعب السوري).

وقال الشيخ ارشيد الهاجري: (كان جميع من حوله من المساكين والفقراء والأغنياء يحبونه، وبعضهم يقبل يده، فوالله إنه لمحبوب مقبول عند الجميع).

## حقيقة الإخبات وأنواعه:

قال ابن القيم شارحا كلام الهروي في منازل الأولياء: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الإخبات قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾، ثم كشف عن معنى الإخبات وحقيقته فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الخبت في أصل اللغة: المكان المنخفض من الأرض، وبه فسر ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة لفظ المخبتين وقالا: هم المتواضعون، وقال مجاهد: المخبت المطمئن إلى الله عز وجل، قال: والخبت: المكان المطمئن من الأرض، وقال الأخفش: الخاشعون، وقال إبراهيم النخعي: المصلون المخلصون، وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم، وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا!

وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع والسكون إلى الله عز وجل، ولذلك عدي بإلى تضمينا لمعنى الطمأنينة والإنابة والسكون إلى الله تعالى.

قال صاحب المنازل: هو من أول مقامات الطمأنينة، يعني بمقامات الطمأنينة كالسكينة واليقين والثقة بالله ونحوها، فالإخبات: مقدمتها ومبدؤها).[1]

وقال ابن القيم أيضا: (فإذا تمكن من منزل الإخبات اندفعت عنه هذه الآفات، لأن إرادته إذا قويت وجدّ به السير: لم ينقضها سبب من أسباب التخلف، والنقض هو الرجوع عن إرادته، والعدول عن جهة سفره، ولا يوحش أنسه بالله في طريقه عارض من العوارض الشواغل للقلب، والجواذب له عمن هو متوجه إليه، والعارض هو المخالف كالشيء الذي يعترضك في طريقك فيجيء في عرضها، ومن أقوى هذه العوارض: عارض وحشة التفرد، فلا يلتفت إليه، كما قال بعض الصادقين: انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب، وقال آخر: لا تستوحش في طريقك من قلة السالكين، ولا تغتر بكثرة الهالكين! وأما الفتنة التي تقطع عليه الطريق: فهي الواردات التي ترد على القلوب تمنعها من مطالعة الحق وقصده، فإذا تمكن من منزل الإخبات وصحة الإرادة والطلب: لم يطمع فيه عارض الفتنة).[2]

وقال: (اعلم أنه متى استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكن فيها: ارتفعت همته، وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم، فلا يفرح بمدح الناس، ولا يحزن لذمهم، وهذا وصف من خرج عن حظ نفسه وتأهل للفناء في عبودية ربه، وصار قلبه مطرحا لأشعة أنوار الأسماء والصفات، وباشر حلاوة الإيمان واليقين قلبه، والوقوف عند مدح الناس وذمهم: علامة انقطاع القلب وخلوه من الله، وأنه لم تباشره روح محبته ومعرفته، ولم يذق حلاوة التعلق به والطمأنينة إليه...

والقصد: أن من بذل نفسه لله بصدق كره بقاءه معها، لأنه يريد أن يتقبلها من بذلت له، ولأنه قد قربها له قربانا، ومن قرب قربانا فتقبل منه ليس كمن رد عليه قربانه، فبقاء نفسه معه دليل على أنه لم يتقبل قربانه!

وأيضا فإنه من قواعد القوم المجمع عليها بينهم التي اتفقت كلمة أولهم وآخرهم ومحققهم ومبطلهم عليها: أن النفس حجاب بين العبد وبين الله، وأنه لا يصل إلى الله حتى يقطع هذا الحجاب، كما قال أبو يزيد: رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب كيف الطريق إليك فقال: خل نفسك وتعال!

فالنفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز وجل، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلا بد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، وفي ذلك الجبل أودية وشعوب، وعقبات ووهود، وشوك، ولصوص يقتطعون الطريق على السائرين، ولا سيما أهل الليل المدلجين، فإذا لم يكن معهم عُدد الإيمان، ومصابيح اليقين تتقد بزيت الإخبات، وإلا تعلقت بهم

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣)

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٥)

تلك الموانع، وتشبثت بهم تلك القواطع، وحالت بينهم وبين السير، فإن أكثر السائرين فيه رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته، والشيطان على قُلة[1] ذلك الجبل، يحذر الناس من صعوده وارتفاعه، ويخوفهم منه، فيتفق مشقة الصعود، وقعود ذلك المخوف على قُلته، وضعف عزيمة السائر ونيته، فيتولد من ذلك: الانقطاع والرجوع والمعصوم من عصمه الله!

وكلما رقى السائر في ذلك الجبل اشتد به صياح القاطع وتحذيره وتخويفه، فإذا قطعه وبلغ قلته: انقلبت تلك المخاوف كلهن أمانا، وحينئذ يسهل السير، وتزول عنه عوارض الطريق ومشقة عقباتها، ويرى طريقا واسعا آمنا، يفضي به إلى المنازل والمناهل، وعليه الأعلام، وفيه الاقامات، وفيه الجنات أعدت لركب الرحمن، فبين العبد وبين السعادة والفلاح: قوة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).[2]

## حقيقة التواضع وهضم النفس:

والتواضع في حقيقته وضع النفس في موضعها اللائق بها، ومعرفة حقيقتها، ونهايتها، فلا غرور، ولا حب للظهور، ولا احتجاب عن الناس، فالإنسان من الأرض خلق، وإلى الأرض يعود، وقد عرف الشيخ محمد حقيقة التواضع علما وخلقا وسلوكا، فخالط الناس محبة، وخدمهم كرما وتواضعا، فيبتدئهم بالبشاشة والبشر، ويعاشرهم بالسماحة واليسر، ويفارقهم بالذكرى الجميلة والستر، كما وصفه أبو الفاروق بقوله :(كان مزيجا نادرا من اللطف والطيبة والكرم واللين وقوة الشخصية وحدة الذكاء).

وقال عنه الشيخ نواف الضيط وقد زاره وهو في الشام: (له ابتسامة يراها كل من نظر إليه لا تتغير، وتراه يسبح كلما ترك الحديث مع أحد، حتى وهو في مجلس يدور فيه الحديث والنقاش، ورأيت السوريين وقد التفوا حوله وأحبوه).

وقال عنه أبو صالح القحطاني: (وصلت لإسطنبول برفقة بعض أصحابي فإذا بالشيخ محمد المفرح في استقبالنا بترحيب الكريم، وبابتسامة الحنين، تعلوه مهابة الحليم، وطوال وقت سيرنا بالسيارة إلى مقر الضيافة لا تسمع منه غير شيئين إما الذكر بـ (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)، يتقرب بها لربه، أو تلك التراحيب التي لا تنقطع بصحبه، ليكسب قلوبنا التي دخلها من أول وهلة! فما إن وصلنا إلى مقر الضيافة، فإذا به ينهض

---

(١) قلة الجبل رأسه وأعلاه.

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٦)

في خدمتنا ليكرمنا أكرمه الله بما أكرم به أولياءه، مع علمي بالضيق الذي كان يمر به، وأنه لا يبقى في يديه شيء، وما تلك إلا إحدى صفات الكرماء، ورأيت العجب في جلستنا معه وخلطتنا إياه).



الشيخ المفرح بلباسه التركي يقوم على رعاية د. حاكم عند تعرضه لوعكة صحية في أغسطس ٢٠١٤م

ولقد كان الشيخ محمد رفع الله قدره في الفردوس الأعلى ربما رآني نائما بلا لحاف، إذا سهرنا وجلسنا نتسامر، فلا أشعر إلا وقد أتى بالوسادة يوسدني إياها، وبالغطاء يضعه علي، بكل رفق وحب، حتى أنك تشعر لحظتها بأنه يدثرك بحنانه وعطفه، قبل لحافه ومعطفه، كما يعطف الوالد على ولده!

وهذا المقام من أكرم مقامات الأولياء، فلا يظهر لمن حولهم من أحوالهم مع الناس إلا الإنسانية على حقيقتها، وبكل حبها وتواضعها، فلا كبر، ولا رياء، ولا حب للظهور، وأما أحوالهم مع الله فسر من أسرارهم مع الله!

وهذا حال الشيخ محمد المفرح، فتراه مع الناس واحدا منهم، بتواضعه وبساطته وتجنبه للظهور، كما قال عنه الشيخ حامد العتيبي وكان قد صحبه في أرض الشام مدة: (كان قائدا لا تشعر بوجوده لعدم حبه للظهور، وما علمنا عنه إلا أنه من أولياء الله جل جلاله، كما شهدنا من حاله وجهاده).

## التاسع عشر: مقام الإسرار بالطاعة وإخفائها:

وهي من المقامات العظيمة التي أمر الله المؤمنين بها، كما قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة في السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه).[1]

وقد عرفنا من أحوال الشيخ محمد في هذا المقام – في حياته وبعد وفاته واستشهاده – وما أظهره الله منها ليرفع ذكره بها، ما أخفى من أعمال السر خاصة الصدقات، فأظهرها الله كرامة له، حتى بعد وفاته، كما أخبر عنه أبو الفاروق بقوله: (أحبه جيرانه – في الشام – حبا شديدا، وكان خبر وفاته عليهم أليما، وكأنه أحد أقربائهم، وعلمت وقتها منهم أنه كان دائم التفقد لأحوالهم، وتقديم كل أنواع المساعدة لهم).

(١) صحيح البخاري ح رقم ١٤٢٣، ومسلم ح رقم ١٣٠١.

ومن كرامات الله له رحمه الله، أن هذا الكتاب كان على وشك الانتهاء، وكانت شهادة أبي الفاروق هذه قد تأخرت، ولم أكن قد أشرت إلى هذا المقام في الكتاب حين بدأت تأليفه، لعدم إشارة أحد إليه، مع شهرته عنه، وعلمي به، إلا أني اشترطت ألا أذكر من مقاماته إلا ما ورد في الشهادات، وما ثبت في الروايات، وليس كل ما أعرفه عنه، فإذا أبو الفاروق يرسل إلي بشهادته هذه، ويؤكد فيها شهادة جيرانه بإدلب للشيخ محمد بأنه يتفقدهم ويساعدهم دون معرفة أبي الفاروق نفسه، مع أنه قائد لواء الأمة الذي كان مع الشيخ طوال تلك المدة!

ولقد أوصى وهو في المستشفى الشيخ سيف بإكرام كل من وعدهم قبل ذلك بشيء ولم يتيسر له الوفاء لهم بوعده، فوصلهم بإحسانه وفضله حيا وميتا.

والإسرار في الإحسان إلى الخلق، أو الإسرار في معاملة الحق، كلاهما دليل على ما في قلوب أهلهما من إخلاص السر لله، وقصد رضاه، وعدم الالتفات إلى من سواه، فلا إله إلا الله!

## حقيقة عبودية السر وحال السر مع الله:

فلله أسرار في الخلق لا يعلمها إلا هو، ومن أسراره اصطفاؤه لأنبيائه، واختياره لأوليائه، كما قال ابن جرير الطبري: (وقوله: ﴿اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾، يقول: الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحب).[1]

وكما قال تعالى عن نوح وهو يجادل الملأ من قومه الذين أرادوا منه طرد ضعفائهم الذين آمنوا :﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال ابن جرير الطبري: (ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحدوه الذين تستحقرهم أعينكم، وقلتم : إنهم أراذلكم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا﴾، وذلك الإيمان بالله ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾، يقول: الله أعلم بضمائر صدورهم، واعتقاد قلوبهم، وهو ولي أمرهم في ذلك، وإنما لي منهم ما ظهر وبدا، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوني، فلا أطردهم ولا أستحل ذلك ﴿إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يقول: إني إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقي ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا﴾، وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي على غير علم مني بما في نفوسهم، وطردتهم بفعلي ذلك، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله، المعتدين ما أمرهم الله به، وذلك هو الظلم).[2]

(١) جامع البيان (٢١ / ٥١٤)

(٢) جامع البيان (١٥ / ٣٠٢)

وهذا معنى حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).[1]

قال ابن القيم: (فصل ومنها منزلة السر، قال صاحب المنازل الهروي: باب السر قال الله تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾، أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر، أما استشهاده بالآية فوجهه أن أتباع الرسل الذين صدقوهم وآثروا الله والدار الآخرة على قومهم وأصحابهم قد أودع الله قلوبهم سرا من أسرار معرفته، ومحبته، والإيمان به، خفي على أعداء الرسل فنظروا إلى ظواهرهم وعموا عن بواطنهم.. والذي يظهر من الآية أن الله يعلم ما في أنفسهم إذ أهلهم لقبول دينه وتوحيده، وتصديق رسله، والله سبحانه وتعالى عليم حكيم، يضع العطاء في مواضعه، وتكون هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، فإنهم أنكروا أن يكون الله سبحانه أهلهم للهدى والحق، وحرمه رؤساء الكفار وأهل العزة والثروة منهم، كأنهم استدلوا بعطاء الدنيا على عطاء الآخرة، فأخبر الله سبحانه أنه أعلم بمن يؤهله لذلك لسر عنده، من معرفة قدر النعمة ورؤيتها، من مجرد فضل المنعم ومحبته وشكره عليها، وليس كل أحد عنده هذا السر فلا يؤهل كل أحد لهذا العطاء!

قوله: أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر، قد يريد به حديث سعد بن أبي وقاص حيث قال له ابنه: أنت ههنا والناس يتنازعون في الإمارة، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)...).[2]

## طبقات أهل السر:

قال ابن القيم شارحا كلام الهروي، عن طبقات أهل السر، من أهل الله وخاصته (فصل قال: وهم على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: طائفة علت هممهم، وصفت قصودهم، وصح سلوكهم، ولم يوقف لهم على رسم، ولم ينسبوا إلى اسم، ولم يشر إليهم بالأصابع، أولئك ذخائر الله حيث كانوا!

وذكر لهم ثلاث صفات ثبوتية وثلاثا سلبية:

الأولى: علو هممهم، وعلو الهمة أن لا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلا منه، ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية،

---

(١) صحيح مسلم ح رقم ٢٥٦٤.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٧٠)

فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها... فعلو همة المرء عنوان فلاحه، وسفول همته عنوان حرمانه!

العلامة الثانية: صفاء القصد، وهو خلاصه من الشوائب التي تعوقه عن مقصوده، فصفاء القصد تجريده لطلب المقصود له لا لغيره، فهاتان آفتان في القصد إحداهما: أن لا يتجرد لمطلوبه، الثانية: أن يطلبه لغيره لا لذاته، وصفاء القصد يراد به العزم الجازم... وخلوص القصد من كل إرادة تزاحم مراد الرب تعالى، بل يصير القصد مجردا لمراده الديني الأمري... وعلامته اندراج حظ العبد في حق الرب تعالى، بحيث يصير حظه هو نفس حق ربه عليه، ولا يخفى على البصير الصادق علو هذه المنزلة وفضلها على منزلة الفناء.

العلامة الثالثة: صحة السلوك، وهو سلامته من الآفات والعوائق والقواطع، وهو إنما يصح بثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون على الدرب الأعظم وهو الدرب النبوي المحمدي، لا على الجواد الوضعية والرسوم الاصطلاحية، وإن زخرفوا لها القول، ودققوا لها الإشارة، وحسنوا لها العبارة، فتلك من بقايا النفوس عليهم وهم لا يشعرون.

الثاني: أن لا يجيب على الطريق داعي البطالة والوقوف والدعة.

الثالث: أن يكون في سلوكه ناظرا إلى المقصود.

فبهذه الثلاثة يصح السلوك، والعبارة الجامعة لها: أن يكون واحدا لواحد، في طريق واحد، فلا ينقسم طلبه، ولا مطلوبه، ولا يتلون مطلوبه...

قوله: ولم ينسبوا إلى اسم، أي لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق، وأيضا فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة ولا اسم ولا بزي ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه قال الرسول، وعن طريقه قال الاتباع، وعن خرقته قال لباس التقوى، وعن مذهبه قال تحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلبه قال يريدون وجهه، وعن رباطه قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾، وعن نسبه قال: أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تيم).[1]

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧٤)

ووالله ما زاد الهروي فيما ذكره، وما زاد ابن القيم فيما شرحه وحرره، على أن وصفوا أحوال الشيخ محمد المفرح في مقاماته وأحواله، في علو همته، وخلوص قصده، وصحة منهجه، وقارن هذه العبارة الأخيرة من كلام ابن القيم وقول الشيخ فؤاد بن صالح عن الشيخ المفرح: (هاجر من أحب البلاد إليه، راجيا رضا الرحمن، وقد شارك في ساحات الجهاد، فزاده الله بذلك رفعة مقام، وعلو منزلة، شارك الأمة في رفع همتها، والتخلص من غثائيتها، مضحيا بالغالي والنفيس في سبيل الله، من أجل استعادة دورها، وسلوك سبيل نهضتها، مؤمن بوجوب وحدة الأمة، شعاره :

أبي الإسلام لا أب لي سواه ❋❋❋ إذا افتخروا بقيس أو تميم).

وقال ابن القيم شارحا كلام الهروي عن أهل هذه الطبقة من الأولياء: (قوله: (أولئك ذخائر الله حيث كانوا)، ذخائر الملك ما يخبأ عنده ويذخره لمهماته، ولا يبذله لكل أحد، وكذلك ذخيرة الرجل ما يذخره لحوائجه ومهماته، وهؤلاء لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، غير مشار إليهم ولا متميزين برسم دون الناس، ولا منتسبين إلى اسم طريق أو مذهب أو شيخ أو زي، كانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة، وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات، فإن الآفات كلها تحت الرسوم، والتقيد بها، ولزوم الطرق الاصطلاحية والأوضاع المتداولة الحادثة، هذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله وهم لا يشعرون، والعجب أن أهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة والسير إلى الله، وهم إلا الواحد بعد الواحد المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود، وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال ما لا اسم له سوى السنة!

قال ابن القيم: يعني أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها، فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه، فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب، الألى مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب ويعد العلم قاطعا له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاة في الله والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، عد ذلك فضولا وشرا، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم، وعدوه غيرا عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة.. فالأولون الذين لا يبالون بلوم اللوم في

ذات الله، والقيام بأمره، والدعوة إليه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ فأحب الناس إلى الله من لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان عمر بن الخطاب ﷺ لا تأخذه في الله لومة لائم).[1]

## ستر الله أولياءه وأحوالهم عن الخلق:

وقال ابن القيم أيضا: (إذا كانت أحوال القلب ومواهب الرب التي وضعها فيه سرا عن صاحبه بحيث لا يشعر هو بها شغلا عنها بالعزيز الوهاب سبحانه، فلا يتسع قلبه لاشتغاله به وبغيره، بل يشتغل بمجريها ومنشئها وواهبها عنها، فهذا أقوى وجوه السر، بل ذلك أخفى من السر، ومن أعظم الستر والإخفاء أن يستر الله سبحانه وتعالى حال عبده ويخفيه عنه رحمة به، ولطفا لئلا يساكنه وينقطع به عن ربه، فإن ذلك خلعة من خلع الحق تعالى، فإذا سترها صاحبها وملبسها عن عبده، فقد أراد به أن لا يقف مع شيء دونه، وقد يكون ذلك الستر مما يشتغل به العبد عن مشاهدة جلال الرب تعالى وكماله وجماله، أعني مشاهدة القلب لمعاني تلك الصفات واستغراقه فيها، وعلامة هذا الشهود الصحيح أن يكون باطنه معمورا بالإحسان، وظاهره مغمورا بالإسلام، فيكون ظاهره عنوانا لباطنه، مصدقا لما اتصف به، وباطنه مصححا لظاهره، هذا هو الأكمل عند أصحاب الفناء، وأكمل منه أن يشهد ما وهبه الله له ويلاحظه، ويراه من محض المنة وعين الجود، فلا يفنى بالمعطي عن رؤية عطيته، ولا يشتغل بالعطية عن معطيها، وقد أمر الله سبحانه بالفرح بفضله ورحمته، وذلك لا يكون إلا برؤية الفضل والرحمة وملاحظتهما، وأمر بذكر نعمه وآلائه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾..).[2]

## العشرون: مقام الأدب وحسن الخلق:

وهو مما اشتهر به الشيخ محمد، وتواتر عنه، فقد كان الشيخ محمد على خلق عظيم، وأدب كريم، مع والدته وأهله، وأصحابه، وإخوانه، والمؤمنين والمجاهدين خاصة، والناس عامة، لا يكاد يذكر عنه سوء خلق، أو سوء أدب.

وقد كان بارا بوالدته كما قال عنه الشيخ أبو حسن علي العرجاني: (ومما لا بد من ذكره في شخصيته: هو بره بوالدته، وحديثه معها بالاتصال شبه اليومي، ولطفه بالكلام معها وحبّه لها).

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧٥)

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٨٢)

وقال الشيخ حسن سلمان فيه: (كان كريماً مع إخوانه وزواره، ومن يقابلهم في الأسفار، فبالرغم من صعوبة الأحوال في أرض الرباط والجهاد في سوريا؛ إلا أن الرجل لم يشغله ذلك عن القيام بواجب الضيافة والالتزام بأصول العرب في ذلك، وكثيرًا ما كان يقوم بالتجهيز والإعداد والترتيب بنفسه، ولم يكن ممن يترفع عن خدمة نفسه وإخوانه أبدًا، ورغم أنه كان مهاجرًا في سوريا؛ إلا أن طريقته في التعامل مع الناس توحي بأنه من أهل الديار كرمًا وعطاًء، وخدمة وترحيبًا بالناس، وحسن استقبال لهم).

وقال عنه أبو الفاروق: (من أخلاقه أنك إذا جلست في مجلسه أحسست أنك أقرب الجالسين إليه كريم معطاء... يحب أن يكون للمجاهدين أفضل اللباس، وأفضل الطعام، وأفضل الآليات، وعندما نقول له: إن أقل من هذا المستوى مقبول، يرد: من يقدم روحه ما من شيء كثير عليه)!



## حقيقة الخلق وارتباطه بالدين:

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الخلق: قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: لعلى دين عظيم، لا دين أحب إلي، ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام.

وقال الحسن رضي الله عنه: هو آداب القرآن.

وقال قتادة: هو ما كان يأمر به من أمر الله، وينهى عنه من نهى الله.

والمعنى: إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن.

وفي الصحيحين أن هشام بن حكيم سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن)، فقال: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئا.

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

وقد ذكر: أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: (ما هذا؟ فقال: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك).

ولا ريب أن للمطاع مع الناس ثلاثة أحوال:

أحدها: أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

الثاني: أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

الثالث: أن الناس معه قسمان: موافق له موال، ومعاد له معارض، وعليه في كل واحد من هذه واجب، فواجبه في أمرهم ونهيهم: أن يأمر بالمعروف وهو المعروف الذي به صلاحهم وصلاح شأنهم، وينهاهم عن ضده، وواجبه فيما يبذلونه له من الطاعة: أن يأخذ منهم ما سهل عليهم وطوعت له به أنفسهم سماحة واختيارا، ولا يحملهم على العنت والمشقة فيفسدهم، وواجبه عند جهل الجاهلين عليه: الإعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالمثل والانتقام منهم لنفسه، فقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وقال مجاهد: يعني خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تخسيس، مثل قبول الأعذار، والعفو والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش عن حقائق بواطنهم.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خذ ما عفا لك من أموالهم، وهو الفاضل عن العيال، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾، وهو كل معروف وأعرفه: التوحيد ثم حقوق العبودية وحقوق العبيد، ثم قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، يعني إذا سفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾.

وعلى هذا فليست بمنسوخة، بل يعرض عنه مع إقامة حق الله عليه، ولا ينتقم لنفسه وهكذا كان خلقه، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :(كان رسول الله أحسن الناس خلقا)، وقال: (ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله، ولقد خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا). متفق عليهما

وأخبر رسول الله ﷺ أن البر هو (حسن الخلق).

وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: (البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس).

فقابل البر بالإثم، وأخبر: أن البر حسن الخلق، والإثم: حواز الصدور، وهذا يدل على أن حسن الخلق: هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، ولهذا قابله بالإثم، وفي حديث آخر: (البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في الصدر)، وقد فسر حسن الخلق بأنه البر، فدل على أن حسن الخلق: طمأنينة النفس والقلب، والإثم حواز الصدور وما حاك فيها واسترابت به، وهذا غير حسن الخلق وسوئه في عرف كثير من الناس، كما سيأتي في الصحيحين عن رسول الله ﷺ :(خياركم أحاسنكم أخلاقا).

وفي الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفيه أيضا وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: (تقوى الله وحسن الخلق)، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: (الفم والفرج).

وفيه أيضا عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ وصححه: (إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم).

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)، رواه أبو داود.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عنه ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)، رواه الطبراني، وإسناده صحيح.

فجعل البيت العلوي جزاء لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة، وإن كان معه حق، ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله.

وفي الترمذي عن جابر رضي الله عنه عنه ﷺ: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون). الثرثار: هو كثير الكلام بغير فائده دينية، والمتشدق: المتكلم بملء فيه تفاصحا وتعاظما وتطاولا، وإظهارا لفضله على غيره، والمتفيهق: أصله: من الفهق وهو الامتلاء.

فصل: الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

وكذلك التصوف قال الكتاني: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف.

وقد قيل: إن حسن الخلق بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى.

وقيل: حسن الخلق بذل الجميل، وكف القبيح.

وقيل: التخلي من الرذائل، والتحلي بالفضائل.

وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل: فالصبر: يحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وعدم الطيش والعجلة. والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم، فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش، كما قال: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه، فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة، ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب!

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصا، والنقص كمالا. والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع. والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءات كلها. والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه، ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق أخلاق مذمومة.).[1]

ولقد كان للشيخ محمد المفرح في هذا المقام قدم راسخة، كما أجمع على ذلك من وصفوه، ممن عاشروه وعرفوه، فأجمعوا على أدبه وحسن خلقه وكرمه.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٩)

قال عنه الشيخ المجاهد المفكر الإسلامي حسن الدقي: (فقد يسر الله لي عز وجل التعرف على أخي الحبيب أبي عبد الله عام ٢٠١٠م في موسم الحج... وقد رزقه الله عز وجل حسن الخلق في تصرفاته وعلاقته بمن حوله، وحتى بسطاء الناس، كما تميز بسعة الصدر، وهدوء البال، ولعلي أستذكر عنايته بإخوانه من الحجيج، وتفقد أحوالهم).

وقال عنه الشيخ التونسي فؤاد بن صالح: (قابلت الشيخ المفرح رحمه الله لأول مرة وكأني أعرفه منذ زمن بعيد، وقلت لعل الأرواح قد تآلفت حين تعارفت، فوجدتني وقد أحببته، كان رحمه الله صبوح الوجه، دائم الابتسامة، حريصا على تأليف القلوب، ما سمعت أنه وصل أحدا بأذى من قول أو فعل، رجل وقور، له من الله جلال وجمال، ذو أخلاق عالية، وصفات للحسن مجتمعة، لا تشعر بالغربة حين تلاقيه، ولا تمل من مجالسته، إذا تكلم وفق إلى القول الحسن، قليل الكلام، صاحب رأي ونصيحة للمؤمنين، ألف مألوف، حريص على إدخال السرور على إخوانه، وقد خرجنا معه في فسحة فكان رحمه الله صاحب طرفة ودعابة ومزح وكرم، وقال لنا: دعونا اليوم من الرسميات، وقد أدخل السرور على الجميع أقر الله عينه بحسن الجزاء).

وقال عنه الشيخ المجاهد أبو الفداء رشاد الحسيني: (تجلس معه يأسرك بأخلاقه، وأطايب فعاله، وسهولة سجيته، وكرم نفسه، كان ودودا متوددا، سهلا طيعا متواضعا، يختصر لك مسافات الزمن بابتسامة هادئة، وكلمة بسيطة، فتحس أنك تعرفه من زمن، فسرعان ما تألفه، وتشتاق لقياه، وتحن إليه، محبا للعلم موقرا لأهله... وكان غفر الله له إن تكلم جد وابتسم، مشاركته محدودة، لكنها ثاقبة وموفقة، وبأسلوب في غاية اليسر والتأثير،كريم النفس، سهل العريكة والطباع، ألوف لمن رآه، كثير السماع والسؤال عن أحوال المسلمين، متألما لحالهم، والبشرى والتفاؤل تملئ فاه وأساريره، كان رفع الله درجته محبا للجهاد والمجاهدين، متوكلا، مقداما، يحب خدمة نفسه بنفسه، رغم ثقل وزنه ومرضه تواضعا وإكراما لإخوانه، ففي إدلب العز وتلمنس ومعرة الحضارة وغيرها كثير له في كل زاوية من بقاعها بصمة خير، شهد لها الإنسان والجماد، حيثما وجهت وجهة، أو وقفت موقفا تجد له أثرا وذكرا حسنا في الأنفس والألسن والبقاع، نصرة للمستضعفين، وعونا



للمحرومين، سلوا العشرين، ووادي الضيف، وسراقب، واللاذقية، وإسلام الفاتح، تنبئكم عن أثاره ومآثره، ولأجهشت بالبكاء لفراقه، حليما طويل البال، إن سكت فكر، وإن اختلى خطط، وإن تكلم توفق وتسدد وأحسن، صمته دعوة، ونطقه توجيه وإرشاد، ونظرته رحمة ومواساة وإحسان، وحركته خير وبركة، كان صاحب فكاهة وندرة، يسلي إخوانه، ويخفف عنهم آلام الهجرة، ومصاب اللجوء، وجراح المآسي، وقلة الحال، وندرة الحيلة، ذا نظر ثاقب في قضايا الأمة، وله منامات مبشرة تأتي كفلق الصبح رحمة الله تغشاك شيخنا، تعرض لمحاولات اغتيال متعددة، وبوسائل دنيئة وجبانة، فما كسرته ولا خنعته، ومات شهيدا متأثرا بسم من إحدى المحاولات الآثمة... إنه الأب والأخ والصديق الشيخ المجاهد الصابر الكريم المربي محمد بن سعيد المفرح الأموي القرشي...).

وقال عنه الأستاذ أبو سعيد حسن أصلان: (فيه فترى الشهامة والمروءة والعزة والشجاعة والأنفة من التواضع والكرم فكيف إذا تزين هذا كله بالحلم والعلم والبشاشة والطهر...)

وقال عنه أيضا: (من التقاه يعرف أنه بهي المحيا، يستقبلك بابتسامته التي تكاد أن تحتويك، وبذراعيه الحانيتين التي يضمك بهما إليه، فكأنك وحدك أنت الحبيب، وأنت الأخ والصديق!

يحب الشام حبًا شديدًا، بل ينسب نفسه إليها، وأوضح ما تتجلى هذه الصورة عندما يذهب لزيارة جده عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس – في قبره بمنطقة وادي الضيف!

وهنا لا أدري فهل هناك سر في تسمية الوادي بوادي الضيف الذي ضم الخليفة عمر بن عبد العزيز، وأتى بأبي عبد الله زائرًا ومدافعًا عن الوادي الذي سمي باسم يدل على الكرم – ولتجتمع عنده أكمل صفات الرجال من الشجاعة والكرم!

ولا أظن أن هذه السماحة وهذا الانفتاح على حب الخير ينفصل عن الخلفية الفكرية والثقافية المستقاة من صميم الوعي بحقيقة الدين الذي يدين به لله، فهو ينظر إلى الناس جميعًا، وإلى المسلمين خصوصًا، وإلى أهل الشام تحديدًا بنظرة المحب الذي يريد الخير لهم، منطلقًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، بعيدًا عن النظرة القاصرة المشوهة التي تفرز المسلمين والشاميين بين مؤمن وكافر، يحاربون ويهادنون وفق هذا التطبيق المشوه لحقيقة الإسلام... بل كان يشدد أنه واجبًا علينا إرسال رسائل الاطمئنان لكل فرد لم يرفع بوجه الأمة السلاح، ولم يحاربنا فيه ليعيش بيننا بالأمن وينعم بالسلام، كعهد آبائنا وأجدادنا المسلمين الذين سخروا أنفسهم لحماية المستضعفين ولتقديم الخير لهم).

وقال عنه د: محمد الجبوري عرفته (فوجدت لديه من دماثة الخلق، مع الغيرة على دين الله، وإنكاره على الظالمين الطغاة، وسعيه في شئون الأمة، ودعم ثورتها ضد الظلم والاستبداد، ما شدني إليه وزاد من إعجابي به... كان رحمه الله على شدته على أعداء الدين والملة تراه سهلا متوددا لإخوانه، ما رأيته ذكر أحدا من المسلمين بسوء على اختلاف مشاربهم، ولا نبزهم بما يشينهم وإن اختلف معهم في الرأي، كان يجمع ولا يفرق، يحب إصلاح ذات البين).

وقال عنه إياد العطية: (الشيخ المجاهد المهاجر محمد المفرح رحمه الله صاحب الوجه البهي، والطلة الوقورة، لم أره يوما إلا مستبشرا فرحا، متفائلا بنصر الله للأمة في مواطن جهادها، كلما جالسته غبطته على سعة صدره، وحلمه، وصبره على ما لاقاه في سبيل الله من مصاعب، ومتاعب حتى صار قدوة، ومثلا أعلى نقتدي به كلما مرت بنا ضائقة وشدائد).



أ. إياد العطية ومستشار الرئيس الليبي د. محمد عمر بعيو والشيخ حسن الدقي والشيخ محمود فتحي مع الشيخ المفرح ١٥/ ١١/ ٢٠١٤م في آخر لقاء ببيته قبل دخوله المستشفى.

وقال أيضا عن كرمه وتواضعه: (الشهم الكريم المتواضع ما جالسناه على طعام إلا أخجلنا بتواضعه وبساطته وإصراره على تقديم الطعام بيده، وآخرها قبل استشهاده رحمه الله بفترة قريبة، وقد دعانا مع الإخوة الدكتور محمد عمر بعيو مستشار الرئيس الليبي للثورة الليبية، والشيخ حسن الدقي أمين عام حزب الأمة الإماراتي، والأخ المهندس محمود فتحي رئيس حزب الفضيلة المصري، إلى بيته وقد أعد لنا الطعام، وأصر أن يقدمه

بيده لكل الحاضرين، ويطعمهم بنفسه، وقد بان عليه التعب والمرض الشديد، ولكنه رحمه الله أخفى عنا وجعه وشدة ألمه إكراما لضيوفه وحبا بإدخال السرور لقلوبنا.

إلى أن تفاجأنا بتدهور سريع في حالته الصحية ودخوله مرحلة الغيبوبة، ففاضت روحه إلى بارئها الذي فطرها تشكو إليه ظلم الطغاة وإجرام المجرمين).

وقال عنه أبو مالك الأزدي: (ذات مرة جاءتني رسالة من أحد الأحبة من الجزيرة يشكو هم الإيجار، وأنه قد حان عليه لا بد من دفعه للإيجار، ولا يملك من حطام الدنيا شيئا، وهذا هو حال كثير من شعب الجزيرة! فأصابني الهم لحال الرجل فهو عزيز علي، فكأن الشيخ محمد رأى تغيرا في ملامح وجهي وسألني: مالك يا أبا مالك؟

قلت: لا شيء سوى أن أخا لي يمر بضائقة مالية بسبب الإيجار، ولا أستطيع مساعدته بحكم بعدي عنه ولكن له الله!

فسألني: كم يحتاج؟

فذكرت المبلغ.

فقال لي: بسيطة فأمسك بهاتفه الجوال، وقام بإرسال رسالة لصاحب له في تلك المنطقة التي يسكن فيها صاحبي، وقال يأتيك رجل اسمه كذا وكذا، أعطه ما يريد!

فكنت مسرورا والله بهذا الأمر سرورا ملأ صدري، لأنه سيفرج عن أخي وصاحبي الفقير المعدم، فقلت لهذا المسكين المعدم: اذهب للمكان الفلاني، وستجد رجلا اسمه كذا، فقل له: أنا رسول لك من فلان، ففرح صاحبي هذا أيما فرح، ثم ذهب حيث أمرته، ووجد من أرسلناه له ورحب وسهل، وقال: أنت من طرف أخ عزيز، وأبشر بما يسرك، والحمد لله، فلقد انقضت محنة هذا الفقير المعدم، بفضل الله ثم بفضل مساعدة الشيخ محمد)!

وقال أيضا عنه: (وكنت أراه هادئا أثناء نقاش بعض الأحبة، يستمع لهؤلاء وهؤلاء، فكنت أثرب على بعضهم في أمور لسنا بحاجة إليها، فكان يقول لي: يا أبو مالك هم مساكين للتو بدأوا يجدون حريتهم في النقاش، أما نحن فلقد تجاوزنا هذا منذ زمن فاجعلهم بواسع العذر).

## حقيقة الأدب وحسن الخلق:

قال ابن القيم شارحا كلام الهروي في صفات الأولياء، وأهل الله الأتقياء: (قوله: وأدب فيهم يصونهم بهذا يتم أمرهم، وهو أن يقوم بهم أدب يصونهم عن ظن السوء بهم، ويصونهم عن دناءة الأخلاق والأعمال، فأدبهم صوان على أحوالهم، فهمته العلية ترتفع به – إلى السحاب –، وأدبه يرسو به إلى التراب، كما قيل :

أبلج سهل الأخلاق ممتنع *** يبرزه الدهر وهو يحتجب

إذا ترقت به عزائمه *** إلى الثريا رسا به الأدب

فأدب المريد والسالك صوان له وتاج على رأسه!

قوله: وظرف يهذبهم، التهذيب هو التأديب والتصفية، والظرف في هذه الطائفة أحلى من كل حلو، وأزين من كل زين، فما قرن شيء إلى شيء أحسن من ظرف إلى صدق وإخلاص، وسر مع الله وجمعية عليه، فإن أكثر من عني بهذا الشأن تضيق نفسه وأخلاقه عن سوى ما هو بصدده، فتثقل وطأته على أهله، وجليسه، ويضن عليه ببشره والتبسط إليه ولين الجانب له، ولعمر الله إنه لمعذور، وإن لم يكن في ذلك بمشكور، فإن الخلق كلهم أغيار، إلا من أعانك على شأنك وساعدك على مطلوبك!

فإذا تمكن العبد في حاله وصار له إقبال على الله وجمعية عليه ملكة ومقاما راسخا أنس بالخلق وأنسوا به، وانبسط إليهم، وحملهم على ضلعهم وبطء سيرهم، فعكفت القلوب على محبته للطفه وظرفه، فإن الناس ينفرون من الكثيف، ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب، ويدفع عن صاحبه من الشر، ويسهل له ما توعر على غيره، فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفا، فترى الصادق فيها من أحلى الناس وألطفهم وأظرفهم، قد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع، وصار روحانيا سمائيا، بعد أن كان حيوانيا أرضيا فتراه أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة وألطفهم قلبا وروحا، وهذه خاصة المحبة فإنها تلطف وتظرف وتنظف، ومن ظرف أهل هذه الطبقة أن لا يظهر أحدهم على جليسه بحال ولا مقام، ولا يواجهه إذا لقيه بالحال، بل بلين الجانب وخفض الجناح وطلاقة الوجه، فيفرش له بساط الأنس، ويجلسه عليه، فهو أحب إليه من الفرش الوثيرة، وسئل محمد بن علي القصاب أستاذ الجنيد عن التصوف فقال: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام!

وبالجملة فهذه الطريق لا تنافي اللطف والظرف والصلف، بل هي أصلف شيء، لكن ههنا دقيقة قاطعة وهي الاسترسال مع هذه الأمور، فإنها أقطع شيء للمريد والسالك، فمن استرسل معها قطعته، ومن عاداها بالكلية وعرت عليه طريق سلوكه، ومن استعان بها أراحته في طريقه أو أراحت غيره به).[1]

وقد آتى الله الشيخ محمد المفرح مع ما آتاه – من وافر الأدب والصيانة، وكمال العقل والرزانة – خفة النفس وظرفها، كما شهد له به كل من عرفه، قال أبو الفاروق عن خلطة الشيخ محمد بأهل الشام: (فتراه يجالس كبيرهم وصغيرهم، يناصح هذا، ويمازح هذا، ويضفي على الجلسة جوا من الروحانية والسكينة، الممزوجة بالراحة والسعادة).

وقال عنه الشيخ محمود فتحي: (جمعني الله عز وجل به أياما في سكن واحد مع الشيخ الدكتور حاكم المطيري، والشيخ حسن الدقي، والشيخ سيف الهاجري، والدكتور حسن سلمان الأرتيري، فكانت من أنفع الأيام لي، فقد كانت لنا فيها مناقشات، ومسامرات نافعة ماتعة، تزيدني حزنًا على حزن فقدي له أن لم أستزد منها أو أقيدها بالكتابة).

وقال عنه الشيخ أبو الفداء رشاد محمد سعيد: (كان صاحب فكاهة وندرة، يسلي إخوانه، ويخفف عنهم آلام الهجرة، ومصاب اللجوء، وجراح المآسي، وقلة الحال، وندرة الحيلة).

وقال عنه الشيخ فؤاد بن صالح: (حريص على إدخال السرور على إخوانه، وقد خرجنا معه في فسحة فكان رحمه الله صاحب طرفة ودعابة ومزح وكرم، وقال لنا: دعونا اليوم من الرسميات، وقد أدخل السرور على الجميع أقر الله عينه بحسن الجزاء).

ومما يكان يمزح به معي دائما خاصة إذا رآني مريضا – كما حين دخلت المستشفى في يناير ٢٠١٤م – قوله: (شيخنا شد حيلك معنا شوي، نحتاجك فقط سبع سنين بس، وبعدها اتوكل على الله ونحن نجهز لك قبرك)!



في جلسة استراحة مع الشيخ حسن الدقي ود.حاكم بعد زيارة جامع أبي أيوب الأنصاري

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٨٠)

وكان دائما يذكر طرفة عن أحد أفراد قبيلته وكان مشهورا بالمزح، فلما مرض مرض الوفاة، وجاءوه قومه يعودونه ويوصونه بالشهادة قال لهم: (لا لا يا جماعة اشتهي أعيش شوي)، ظن أنه إذا تشهد مات!

ومما يؤثر من مزحه أنه سمع الإخوة مرة يذكرون المحدثات في عهد يزيد بن معاوية، وما وقع في عصره من فتن ومحن، فقال لي على البداهة لقطع حديثهم: شيخنا هل حديث: (أول جيش من أمتي يغزون البحر ويغزون مدينة قيصر، مغفور لهم) صحيح؟

قلت: نعم، هو في الصحيح!

فقال: ومن أول من غزا القسطنطينية؟ ومن أمير ذلك الغزو؟

فقلت: معاوية رضي الله عنه في خلافته، وأميرهم ولده يزيد!

فضحك وقال: قل لهم!

وكان رحمه الله يتابع مقالاتي عن (عودة الخلافة) بشغف، ويستحثني على استكمالها، وأرسل لي بتاريخ ٢٧/ ٩/ ٢٠١٤م بعد الحلقة الثانية يقول: (أسأل الله أن يحفظك بحفظه ويحيطك برعايته)، وأرسل بعد الحلقة الرابعة يقول: (فتح الله عليك شيخنا هذه كتاب لوحدها).

ثم أرسل لي بعد الحلقة الرابعة رسالة بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٤م يقول فيها: (فتح الله عليك شيخنا وغفر الله لبني أمية)! فأرسلت إليه (آمين وأضحك الله سنك وكفاهم شرفا عثمان ومعاوية رضي الله عنهما)!

وقال لي مرة: كم عدد الخلفاء الراشدين؟

فقلت له: أربعة!

فقال لي: وعمر بن عبد العزيز؟

قلت: يعده بعض الأئمة خامسهم وهو بلا شك خليفة راشد!

فقال: إذا نحن منا خليفتان راشدان، إيش تريدون أكثر!

وقد أرسل لي بتاريخ ١١/ ١١/ ٢٠١٤م صورة ملف حسابه بالتويتر - بعد أن استأنف نشاطه كناطق رسمي لمؤتمر الأمة، حيث بدأ وضعه القانوني والأمني يتحسن في هذه الفترة - وقد كتب في التعريف (محمد بن سعد آل مفرح القرشي الأموي الناطق الرسمي لمؤتمر الأمة)!



فأرسلت إليه: (الله يفتح عليك بس الأموي هذه ورطة كبرى)!

فرد فورا: (وفتح الله عليكم شيخنا، أنتم متورطين متورطين)!

وكان يردد الشعر الشعبي فقد أرسل لي بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠١٤م

(يا عم أنا وجدي على بنت حره *** بعيدة المرواح يوم اثني الورك)!

وكان رحمه الله يحب المزح حتى وهو على فراش مرض الموت!

فقد أرسل لي بعد دخوله المستشفى المرة الأولى، رسالة بتاريخ ٢١/ ١١/ ٢٠١٤ م – قبل وفاته بأقل من شهر – يقول فيها: (يريدون أبدأ جرعات العلاج من يوم الاثنين كل أسبوع جرعة عبر الوريد فما الرأي)؟

وكان يريد رحمه الله العلاج بألبان الإبل أخذا بالسنة والعلاج بالطب الشعبي!

فأرسلت له: (توكل على الله والطب الشعبي لا يتعارض مع العلاج بالإبر).

فقال لي مازحا: (ما شاء الله عليك شيخنا محدث وفقيه وطبيب)!

فرددت عليه: (وشاعر أيضا)! فضحك!

## الحادي والعشرون: مقام الإحسان إلى الناس وخدمتهم:

وهو من أشرف مقامات الشيخ محمد رحمه الله التي أقامه الله فيها، ووفقه إليها، وأعانه عليها، فقد بذل نفسه للناس وخدمتهم، وهو مقام لا يكاد يقوم به عادة العباد ولا الزهاد ولا المجاهدون، إذ يشغلهم عما هم فيه من عبادة وانقطاع إلى الله، أو جهاد لأعداء الله، إلا إن محمدا رحمه الله كان أمة وحده في هذا الباب، فهو لا يكل ولا يمل من القيام بحقوق أهل الحقوق عليه، والإحسان إلى من لا حق له عليه!

قال عنه الشيخ حسن الدقي: (كان منفقا في سبيل الله، متصلا بالمجاهدين والفصائل، دون تفريق بين فصيل وآخر).

وقال عنه الشيخ ارشيد الهاجري: (كان مجلسه في الشام يجتمع فيه كل الفصائل المجاهدة، بدون استثناء، وكان كريم الخلق واليد معهم جميعا، لا يبقي في يديه أي مبلغ إلا وزعه عليهم جميعا).

وقال عنه الشيخ محمد عبد الجبار: (كان ودودا، يحبه الجميع، وكان يساهم في حل المشكلات الخاصة للإخوة، وكان سخيا، جوادا في بذل المال... وفي لقائنا الأخير به، تقربنا منه جدا، وسبحان الله كأنه لقاء الوداع، وبالفعل كان لقاء الوداع ونحن لاندري).



قال الشيخ نواف الضيط عنه: (رحم الله المجاهد الشيخ محمد آل مفرح مما شاهدت برفقته في سوريا إبان الثورة السورية وقد استضافه السوريون، وقدموه وأحبوه، وعرفوا له قدره ومنزلته، دون أن يعلموا مكانته الاجتماعية في بلده، فهو سيد في قومه، وحكيم حليم، صاحب رأي سديد، وتصادف وجودنا معه عندما أعلن مؤتمر علماء الأمة من مصر الجهاد في سوريا ونصرة أهلها، فتهلل فرحا وكبر واستبشر، وامتدح أمة الإسلام ودعا لها لعلمه بضائقة أهل سوريا).

وقال عنه الشيخ أبو الحسن العرجاني: (وكان يحمل هم الأمة والعمل على تحريرها من العبودية لغير الله عز وجل ومما قاله:(أجسادنا في الشام وأنظارنا على جزيرة العرب)، كان يحب المجاهدين عموما ويحب زيارتهم في مقراتهم، والتواصل مع عموم العاملين في الساحة الشامية، وكان يوصيني بهذا كثيرا... وقد كان رحمه الله دائمًا يذكر العلماء والمجاهدين في سجون السعودية، ويحزن لما أصابهم، ويدعو لهم بالفرج والنصر).

وقال عنه الشيخ محمد الهاجري: (وقد رأيته بعد ذلك في إسطنبول يعمل ليل نهار، باذلا كل ما يملك لنصرة قضايا الأمة، ولا سيما الثورة السورية، وذلك لإيمانه الراسخ أن الثورة ثورة أمة واحدة، ضد عدو واحد).

وقال عنه المهندس محمود فتحي: (حرصه على أمته وقضاياها: منذ اللقاء الأول لا تكاد تخطئ الرجل، فبعد سؤاله عن حالي سريعا، سألني عن الوضع في مصر، مستشرفا بلهفه حال نبض الأمة الذي ينوء تحت الاحتلال العسكري، مؤثرا وناصحا فيما ينبغي العمل عليه سواء على الصعيد السياسي في تركيا، أو الصعيد الميداني في مصر).

وقال عنه الشيخ حسن سلمان: (كان كثير الاهتمام بقضايا السوريين في جانب الخدمات، حيث كان يتفقد الأهالي في مواقعهم، ويسألهم عن حاجاتهم، ويسعى في توفير ما يمكن توفيره، وقد حضرت معه عدد من الزيارات الميدانية، وأذكر منها زيارته للمجلس المحلي لمنطقة (الرفة)، وقد استمع لمطالبهم وحاجاتهم العاجلة، وقام بتوجيه النصح المطلوب للقيام بتطوير الخدمات ونجاح المنطقة، لتكون مثالًا يحتذى، ومن المواقف المؤثرة التي شاهدتها وهو يتفقد السوريين في منطقة الناجية بريف اللاذقية، وكان ذلك يوم الخميس الموافق ٢٥/ ٤/ ٢٠١٣م، حيث تحدث إليه رجل ستيني، وقال بأنه والد لأحد الشهداء بمنطقة سلمى (إني

أحس بأني مسلم منذ سنتين، فقد ضاع منا الإيمان منذ أربعين سنة، ونأمل أن تعيدوا لنا الإيمان والحرية والكرامة)، ثم دعا الرجل بدعاء طويل، والشيخ ومن معه يؤمّنون من وراءه).

## الثاني والعشرون: مقام التمحيص والتهذيب:

وهو من أشد المقامات خاصة في أول طريق السالك إلى الله، إذ لا بد من تمحيص دعوى الإيمان، وتمييز صفوف المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وإنما يكون التمحيص بالفتن والمحن، والسراء والضراء، كما قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءامَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

قال ابن القيم: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة التهذيب والتصفية، وهو سبك العبودية في كير الامتحان، طلبا لإخراج ما فيها من الخبث والغش، قال صاحب المنازل: التهذيب: محنة أرباب البدايات، وهو شريعة من شرائع الرياضة، يريد: أنه صعب على المبتدئ، فهو له كالمحنة، وطريقة للمرتاض الذي قد مرن نفسه حتى اعتادت قبوله وانقادت إليه).[1]

وقد تعرض الشيخ محمد رحمه الله للمحن بعد المحن، والفتن تتلو الفتن، ما زاده الله إلا ثباتا وتوفيقا، كما قال عنه الشيخ حسن سلمان: (من خلال معرفتي بالشيخ فقد عرفته من أكثر الناس وضوحًا وثباتـًا على المبادئ التي آمن بها، وأكثرهم ثقة في الله بأن هذا الدين بالغ منتهاه في السيادة والريادة للبشرية، وكلما مرت هزات، وموجات ابتلاء؛ كان دومـًا يذكرنا بضرورة الثبات، والثقة بالله، وليس ممن تهزه تلك العواصف، بل كان ينظر في كل حدث للوجه المشرق تفاؤلًا وثقة وأملًا مصحوبـًا عند النقاش بابتسامة تزرع كل تلك المعاني).

وسيأتي في الفصل الثاني تفصيل لما تعرض له الشيخ محمد من محن وفتن، كلما خرج أشد ثباتا من محنة، دخل في أخرى أشد فتنة، حتى اختاره الله إليه مطمئنا راضيا شهيدا سعيدا بإذن الله تعالى، كما في الحديث

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٧)

الصحيح: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة).[1]

## الثالث والعشرون: مقام الغربة والهجرة إلى الله:





وقد كتب الله للشيخ محمد المفرح غربتين شريفتين: غربة الوطن، وغربة الدين، وهجرتين عظيمتين: هجرة إيمان، وهجرة جهاد، حيث خرج من بلده مكة غريبا مهاجرا إلى الله، فارا في سبيل الله، حين دعا قومه إلى الحكم بالكتاب والسنة، والعمل بما أمر الله به ورسوله، كما جاء في الحديث: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضو عليها بالنواجذ)، ثم لما استقر في تركيا، أخرجوه منها، فهاجر غريبا إلى أرض الشام، خيرة الله من أرضه المباركة، يجتبي إليها خيرة عباده الغرباء، كما في الحديث بإسناد صحيح: (ستجدون أجنادا فعليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليستق من غدره، فان الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله)!

وفي رواية: (عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده… فإن الله توكل لي بالشام وأهله).[2]

وفي الحديث: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها).[3]

وفي حديث آخر عن عبد الله السعدي، أن النبي ﷺ، قال: (لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل)، فقال معاوية، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص: (إن النبي ﷺ، قال: (إن الهجرة خصلتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل).[4]

---

(١) صحيح ابن حبان ح رقم ٢٩٠٠.

(٢) أبو داود في السنن ح رقم ٢٤٨٥، وأحمد ٥/ ٢٨٨، وصححه ابن حبان ح رقم ٧٣٠٦، والحاكم ٤/ ٥٥٥ وقال صحيح ووافقه الذهبي.

(٣) أبو داود ح رقم ٢٤٨١ وصححه الألباني.

(٤) مسند أحمد ١/ ١٩٢، واللفظ له مطولا، وصحيح ابن حبان ح رقم ٤٨٦٦ مختصرا.

وعن جنادة بن أبي أمية أن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ قال بعضهم: إن الهجرة قد انقطعت، فاختلفوا في ذلك، قال: فانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن أناسا يقولون إن الهجرة قد انقطعت، فقال رسول الله ﷺ: (إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد).[1]

فأكمل الله للشيخ المفرح الهجرتين: هجرة الإيمان، ثم هجرة الجهاد، وأتم له الغربتين: غربة الدين وغربة الوطن، قال ابن القيم: (قال شيخ الإسلام الهروي: باب الغربة: قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾!

استشهاده بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن، فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال الذي يصلحون إذا فسد الناس).

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون، المغبوطون، ولقلتهم في الناس جدا سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين...

فالغربة ثلاثة أنواع: غربة أهل الله، وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق، وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها، وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه بدأ غريبا وأنه سيعود غريبا كما بدأ، وأن أهله يصيرون غرباء، وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقا، فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه!

ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي ﷺ التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله، لا شيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا، وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم).[2]

---

(١) مسند أحمد (٤ / ٦٢) بإسناد صحيح.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٩٥)

وقد عاش الشيخ محمد الغربة في دعوته، وهجرته، وجهاده، حتى منع عن أهله وأولاده الصغار الذين كانوا معه في المهجر، حيث أمرت السلطات التركية بعد الإفراج عنهم بإقامتهم في مدينة سامسون التي تبعد عن إسطنبول نحو سبعمائة كيلو، وبقي هو في إسطنبول وحده لا يخرج من سكنه مع مرضه!

قال الشيخ محمد الهاجري: (وفي شهر يونيو ٢٠١٤م رافقت شيخنا د. حاكم المطيري لإسطنبول، وقد مكثنا في شقة الشيخ محمد الذي يسكن فيها وحده، ولم يخرج منها منذ شهر لدواع أمنية، وكان رحمه الله في هذه الفترة يسرد الصوم، وكان رحمه الله يباشرنا بيده، وكنت أحاول أن أكفيه، وعلمت أن زوجته وأطفاله أبعدوا منه إلى منطقة تبعد أكثر من ٥٠٠ كيلو عن إسطنبول، فقد كان رحمه الله مهاجرا ومحاصرا، ومهددا بالاغتيال والخطف، بعيدا عن أولاده في السعودية، وأطفاله في إسطنبول إلا أني ما رأيته مطمئنا منشرح الصدر، كما رأيته في هذا اللقاء، وفي هذا الوقت العصيب كان ثابتا، مبشرا بنصر الأمة، وزوال الظلمة ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، فكان رحمه الله هو من يطمئننا ويبشرنا بالنصر وتمكين الأمة القريب، فلم يجد اليأس ولا القنوط لنفس أبي عبد الله مدخلا).



الشيخ المفرح مع الشيخين د. حاكم ومحمد الهاجري

## أنواع الغرباء ودرجاتهم:

قال ابن القيم: (قال صاحب المنازل: الاغتراب أمر يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء، يريد أن كل من انفرد بوصف شريف دون أبناء جنسه فإنه غريب بينهم لعدم مشاركه أو لقلته، قال: وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الغربة عن الأوطان، وهذا الغريب موته شهادة...

قال الدرجة الثانية: غربة الحال، وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم... يريد بالحال ههنا الوصف الذي قام به من الدين والتمسك بالسنة، ولا يريد به الحال الاصطلاحي عند القوم، والمراد به العالم بالحق العامل به الداعي إليه...

الدرجة الثالثة: غربة الهمة، وهي غربة طلب الحق، وهي غربة العارف، لأن العارف في شاهده غريب... قوله: لأن العارف في شاهده غريب، شاهد العارف هو الذي يشهد عنده وله بصحة ما وجد، وأنه كما وجد، وبثبوت ما عرف وأنه كما عرف، وهذا الشاهد أمر يجده من قلبه، وهو قربه من الله، وأنسه به، وشدة شوقه إلى لقائه، وفرحه به، فهذا شاهده في سره وقلبه، وله شاهد في حاله وعمله يصدق هذا الشاهد الذي في قلبه، وله شاهد في قلوب الصادقين يصدق هذين الشاهدين، فإن قلوب الصادقين لا تشهد بالزور البتة، فإذا خفي عليك شأنك وحالك، فاسأل عنك قلوب الصادقين، فإنها تخبر عن حالك).[1]

وتأمل كلام ابن القيم هنا، وكأنما يتحدث عن الشيخ محمد فقد جمع الله له بين:

١- الغربة عن الوطن وقد توفاه الله مهاجرا غريبا.

٢- وغربة الحال بتمسكه بالسنة ودعوته لإحيائها والخطاب الراشدي في الحكم وسياسة شئون الأمة.

٣- وغربة الهمة وطلب الحق والانفراد عن الخلق، وما أراه الله في قلبه وسره من أنوار قدسه، وما وجده في نفسه من نفحات أنسه!

وقد شُهد للشيخ محمد المفرح بالانفراد عن الأكفاء، حتى غدا غريبا في أهل عصره، بل وبين إخوانه، وأصحابه وخلانه، فضلا عمن سواهم، كما قال عنه الشيخ المهندس محمود فتحي حيث يقول: (وفي الجملة لم يكن أبو عبد الله معصوما، لكن عز أن تجد له سميا ونظيرا).

وتأمل هذه الشهادة فيه (لم يكن أبو عبد الله معصوما، لكن عز أن تجد له نظيرا)، وكأن من عرفوه وصحبوه كادوا يدعون له العصمة، لما رأوا من مقاماته وأحواله وكراماته!

وقارن هذه الشهادة بشهادة الشيخ العرجاني حيث يقول: (لم أشهد عليه عيبا ولا سوءا)!

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٠١)

فسبحان الله كيف أنطق الله هؤلاء المجاهدين الأخيار، والمهاجرين الأبرار، على اختلاف بلدانهم، وجماعاتهم، وهم لا يعرف بعضهم بعضا، بمثل هذه الشهادة، وإثبات هذه الصفة، التي لا يجرؤ أحد على إدعائها في أحد، لولا مقام الولاية، وإرادة الله بإظهار فضله على عبده!

وقد كنت أعرف هذا الكمال البشري في الشيخ محمد إلا إني لم أذكره لأحد، ولا أجرؤ على ذكره خشية أن يقال (حسن في كل عين من تود)! حتى جاء الله بهذه الشهادات عفوا صفوا، كتبها أصحابها شهادة لله ثم للتاريخ، بلا اتفاق منهم، ولا تواطؤ بينهم، بل وقد لا يعرف بعضهم بعضا، وعلى اختلاف توجهاتهم، في رجل عاصروه وخبروه، وبلغ شأنه أن يقال فيه: (لا نظير له وليس هو بمعصوم)، و(لم أشهد عليه عيبا ولا سوءا) وكفى بها شهادة!

ولقد والله حاولت أن أجد عيبا في الشيخ محمد فأعياني! فهو والله ممن يصدق فيهم الحديث الصحيح (كمل من الرجال كثير)!

أو كما قال الأندلسي:

هو الشهم الذي لا عيب فيه *** سوى العرض النقي من العيوب

أو كما قال الآخر:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم *** بهن فلول من قراع الكتائب

فإما أنه لا عيب فيه حقا، وهذا من مقامات الأولياء الذين كملت خلالهم، وصفت خصالهم، بتهذيب القرآن لهم، فأكملوا قصورهم ونقصهم البشري، وتداركوه بالتخلق بخلق القرآن وبأدب النبوة!

وإما أن فيه عيبا ستره الله، وهو سبحانه ستير يحب الستر، فلم يعد الناس يرون من الشيخ محمد رحمه الله إلا كل حسن جميل، وهذه أيضا حال لا يوفق الله إليها إلا أولياءه، ولا يخص بها إلا أصفياءه!

ولا يقتضي كمال المؤمن في خلاله، واستكماله لخصاله، ومعالجة نقصه البشري باتباع هدايات القرآن والسنة والتخلق بآدابهما، ألا تقع منه خطيئة، فإن وقوعها من لوازم بشريته (كل ابن آدم خطاء)، فإذا تاب منها، كانت زيادة له في درجاته، ورفعا لمقاماته، وإنما المراد بالكمال هنا كمال الخلق وحسنه!

وقد وصف الشيخ محمد الهاجري الشيخ محمد المفرح بالملهم، للدلالة على انفراده عن الأكفاء حتى صار ملهما لغيره، حيث أخبر عنه فقال: (فقد يسر الله لي أول لقاء بفضيلة الشيخ المجاهد محمد بن سعد آل مفرح القرشي الأموي رحمه الله وأعلى درجته في مجالس شيخنا الدكتور حاكم المطيري حفظه الله في الكويت في سنة ٢٠٠٩م، وقد رأيت ذلك الشيخ الوقور المبتسم، الذي تحبه من أول لقاء، وكان رحمه الله كثير الصمت،

مدمن التسبيح والتهليل، حتى خرج علينا بعد الثورة التونسية مباشرة ببيانات مصورة يعلن فيها عن إقامة (حزب الأمة الإسلامي) في السعودية، يدعو فيها للعدل ورفع الظلم، بإقامة الحكم الراشد، وتحرير شعوب المنطقة وأراضيهم من الاستبداد الداخلي، والاحتلال الخارجي، فازددنا له حبا على حب، وأصبح كالملهم لشعوب المنطقة في الخليج والجزيرة العربية في هذه المرحلة العصيبة مع رياح التغيير التي عمت العالم العربي في ربيعها المبارك، فانبرى أبو عبد الله الشيخ محمد المفرح لهذا الأمر العظيم، على طريقة الأنبياء والمرسلين وعباد الله المجاهدين المصلحين، صادعا بالحق، مضحيا بكل ما يملك، نصرة لله ورسوله ولعباد الله المؤمنين، محتسبا الأجر من الله).

وقد كان السوريون المجاهدون يعجبون من حال الشيخ المفرح، حتى كانوا يقولون بأنه كان يذكّرنا بالصحابة ﭫ، كما أخبر بذلك الشيخ محمد الهاجري حيث قال: (في فترة وفاته رحمه الله كنت في إسطنبول، وقد صلينا عليه هناك، ورأيت حزن المهاجرين والمجاهدين والثوار عليه، فقد كان الشيخ محمد المفرح مصباح الأمل لهم بعد الله، وقد حضر عندنا أحد المجاهدين السورين ممن كان مع الشيخ المفرح في سوريا إلى مقر (منظمة الأمة للتعاون العربي التركي) التي كان يجلس فيه الشيخ المفرح، وكان حضوره بعد وفاة الشيخ بأربعة أيام، فقال وهو يتألم: والله يا أخوة ما حضرت إلا أنكم تذكروني بالشيخ المفرح، وأقسم بالله أنهم كانوا في سوريا يعدون الشيخ المفرح من الصحابة لما رأوا من صفاته)!

وقال عنه أبو الفاروق قائد لواء الأمة في سوريا: (كنت دائما ما أقول لإخواني إذا أراد أحدكم أن يعرف كيف كان الصحابة فليجالس الشيخ أبا عبد الله)!

### الرابع والعشرون: مقام الجهاد في سبيل الله:

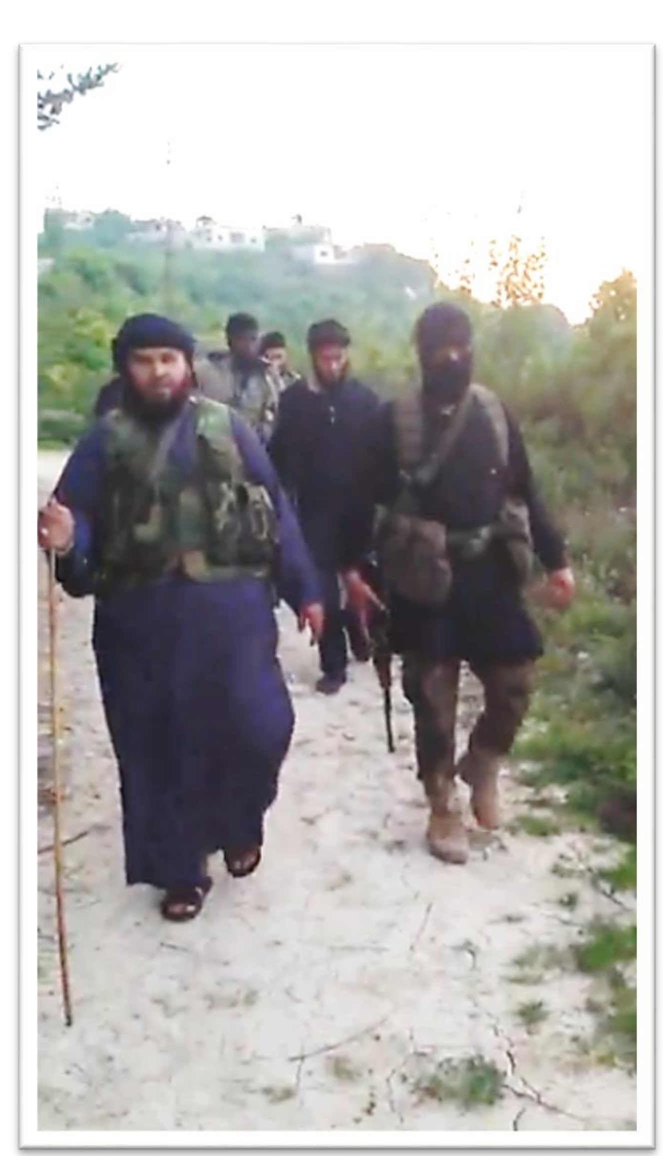
قال تعالى في شأن أوليائه: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

وهذا مقام الشيخ محمد الأشهر، ومنزله الخطر، فلم يقم أحد كمثل قيامه فيه دعوة وعلما وعملا وجهادا، كما قال عنه الشيخ المهندس محمود فتحي: (وكان الجامع لعموم نصائحه جملتان:

الأولى: (اكفر بالطاغوت يا محمود)، وكانت والله نصيحة غالية دفعتني لبيان البراءة والعداوة من طاغوت مصر ومن طاغوت كل مصر.

الثانية: (ولع الثورة وتولع)، أو كما كان يقول أحياناً (عليكم بالظفر)، وهي ترجمة للمثل الشائع (أقصد البحر وخل القنوات)، وكانت هذه نصيحة دائمة منه لي أن أعتمد التصعيد والمقاومة والجهاد طريقًا وسبيلًا في مواجهة الظلمة والمجرمين، فلا بد للحق من قوة تحميه، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بمثلها).

وحكى السيد علي القاضي الحسني عن شجاعته - وكان قد زار الشيخ محمد وهو في الشام - فقال: (جاءنا الشيخ المفرح من اللاذقية إلى إدلب، وقال بأن هناك هجوما على محور جبل دورين في ريف اللاذقية، والمجاهدين يطلبون مؤازرة لهم من إدلب لصد الهجوم، فأطلق رتلًا من إدلب إلى ريف اللاذقية، فوصلنا إلى اللاذقية ليلًا، فجلسنا في مقر الشيخ المفرح، وأخبرنا الإخوة بأن المجاهدين صدوا الهجوم، وتراجعت العصابات بعدما تلقوا خسائر على أيدي المجاهدين، فارتحنا إلى صباح اليوم الثاني، فطلب الشيخ المفرح من العسكريين أن يشنوا هجوما مباغتا على العصابات الأسدية في جبل دورين والتقدم باتجاه اللاذقية، فطلب الإخوة إرسال عسكريين لاستطلاع المنطقة لوضع خطة للاقتحام، فأرسل الشيخ المفرح رسولا إلى الكتائب المرابطة على المحور للتنسيق معهم لاستطلاع أماكن العدو لاقتحامها، فاعتذرت الكتائب المرابطة هناك، وقالوا: الوضع لا يسمح، فسكت الشيخ المفرح، وجلسنا قليلًا، وبعدها جاءنا الشيخ أبو حسن العرجاني الكويتي، وكان يقضي أغلب الأوقات في مقر الشيخ المفرح في إدلب واللاذقية، فطلب الشيخ من العسكريين أن يجهزوا أنفسهم للذهاب لاستطلاع المنطقة دون علم الكتائب، وتوكلنا على الله وذهبنا إلى المحور الأمامي مع الشيخ المفرح، وكان معنا أبو حسن الكويتي وحسان أبو حسين وحسن الحص



في الطريق إلى دورين بريف اللاذقية... وعلق الشيخ محمد المفرح على الفيديو في حسابه على التويتر بقوله: لقطات أثناء زيارتي للمجاهدين المرابطين على الجبهة وأحمد الله أن منّ عليّ وغبّرت قدمي في سبيله.

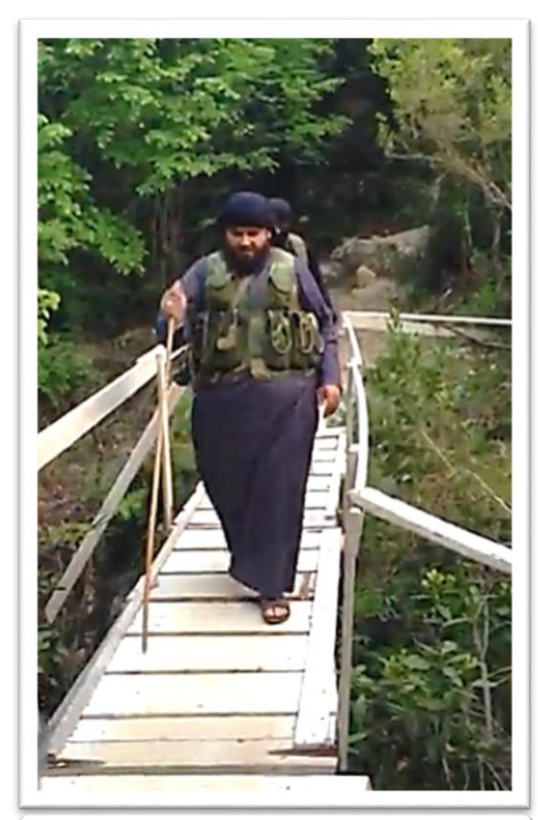
لاستطلاع المنقطة، وكان يوصينا طول الطريق بذكر الله، فكان هو دليلنا بعد الله عز وجل، لا أحد يعرف المنطقة سواه، وقبل وصولنا إلى قمة الجبل ركن الشيخ السيارة وطلب منا أن نجهز أسلحتنا، ونتوقع في أي لحظة أن يكون العدو أمامنا، فنزلنا من السيارة وسرنا مشيا على الأقدام، ووصلنا إلى النقاط الأمامية، فتوزعنا إلى مجموعتين، مجموعة للاستطلاع، ومجموعة لحماية المجموعة المستطلعة، فكنت مع الشيخ المفرح في مجموعة لاستطلاع، وبعدها جاء إلينا مجموعة من المجاهدين المرابطين على الخطوط الأمامية يسلمون على الشيخ المفرح، ووقفوا معنا وكلمونا عما حصل معهم قبل أيام من تقدم للعصابات الأسدية، فجلسنا ساعة اكتشفنا فيها المنطقة، وأثناء الانسحاب طلب مني الشيخ أن أعرف كم شخص مرابطين على الثغور؟، فأحصيت العدد للشيخ، فاستخرج مبلغا من المال، وقال لي: وزعه على المجاهدين المرابطين، وأبلغهم سلامي وهذه هدية بسيطة من أخيهم وأوصهم بالدعاء والثبات).

قال ابن القيم في بيان العقبات التي تحول بين السائر إلى الله والوصول إلى غايته في العقبة السابعة: (فإذا نجا منها - أي: السادسة وهي إشغاله بالطاعات المفضولة عن الفاضلة - لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لا بد منها، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه وأكرم الخلق عليه، وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه وأهله، بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها، فإنه كلما جد في الاستقامة، والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره، جد العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله، فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين، وهي تسمى عبودية المراغمة، ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه، وإغاظته له، وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه أحدها قوله: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، سمى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغما يراغم به عدو الله وعدوه، والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال تعالى في مثل رسول الله ﷺ وأتباعه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب، مطلوبة له، فموافقته فيها من كمال العبودية، وشرع النبي ﷺ للمصلي إذا سها في صلاته سجدتين، وقال: (إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان)، وفي رواية: (ترغيما للشيطان)، وسماها المرغمتين، فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون

نصيبه من هذه المراغمة، ولأجل هذه المراغمة حمد التبختر بين الصفين، والخيلاء والتبختر عند صدقة السر، حيث لا يراه إلا الله، لما في ذلك من إرغام العدو وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عز وجل، وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول).[1]

## شجاعة الشيخ محمد ومراغمته الطغاة وأعداء الله:

قال الشيخ د. حسن سلمان: (من الصفات البارزة في الشيخ الشجاعة، وهنا لا أتكلم عن الشجاعة في قول الحق والثبات عليه، أو مقارعة الطغاة والوقوف في وجههم، أو المطالبة بحقوق الشعوب المهضومة، فكل ذلك مما هو مشهور عنه، ومعلوم من مواقفه، ولكن أقصد الشجاعة في مواجهة الأخطار التي يغلب فيها الموت أو القتل، فقد صحبت الرجل في مواقف عديدة، كان طيران النظام السوري وراجماته ترمي علينا، وهو أكثر الناس ثباتًا وشجاعة، وابتسامته لا تفارقه، وخاصة في اللاذقية وريف إدلب، حيث كانت المنطقة يسود فيها الرمي المستمر بالطيران أو الراجمات، كما كانت شجاعته ظاهرة في زيارة المناطق الساخنة والملتهبة، والتي يرى ضرورة الوقوف عليها بنفسه، مثل منطقة معرة النعمان وتلمنس، والتي كان العدو مرابطًا فيها من خلال وجوده في وادي الضيف، فكان الشيخ يصر للوصول لخط الدفاع الأول للمجاهدين، بحيث تكون المسافة أحيانًا مئتي متر، ليقوم بالتعبئة والتشجيع والوقوف المباشر عليهم، كما كانت بعض الطرق مخاطرها كبيرة



في طريقه لتفقد المجاهدين في منطقة دورين

جدًا، كالطريق بين منطقة العيدو في جبل الأكراد، ومنطقة سلمى، وكان الطريق المسلوك فيها في مرمى العدو، وكل يوم يحصل فيه تدمير عدد من السيارات، ولكن الشيخ يصر على الذهاب رغم المخاطر، وذلك ليتفقد المجاهدين في منطقة الرباط في (دورين)، وأذكر مرة قد تم تدمير السيارة التي سبقته في الطريق، ولكن ذلك لم يغير في حرصه وإصراره على سلوك ذات الطريق، لأنه كان الطريق الوحيد للمجاهدين، ومما شاهدته عن شجاعته أننا كنا في سفر وفي ذات اليوم، وكان ذلك يوم الأربعاء ٢٤/ ٤/ ٢٠١٣م، حدثت معركة في (جبل النبي

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٢٥)

يونس)، وهي من أعلى القمم في سوريا، وهي في ريف اللاذقية، وكانت الفصائل المشاركة فيها (أحرار الشام- والنصرة - وصقور العز)، فلما علم الشيخ بالمعركة ونحن في الطريق قرر مباشرة اللحاق والمشاركة، وجمع عدد من الشباب في سيارته ممن وجدهم في الطريق نحو المعركة، حتى وصل لأرض المعركة، ووجد مجموعة من أحرار الشام في شكل حاجز وكمين، وقالوا بأنه لا سبيل للمشاركة، لأن الفصائل المشاركة محددة مسبقـًا، وقد جادلهم كثيرًا، ولكن دون جدوى).

وقال عنه الشيخ حجاج وكان في زيارة له في الشام: (كنا معه أنا والشيخ ارشيد الهاجري في ضيافته بريف اللاذقية في منطقة اسمها (العيدو)، فقام ليلا وأمرنا بتغيير المكان من ناحية أمنية، فخرجنا وما أشرقت الشمس إلا ويُقصف البيت الذي كنا فيه، وبالتحديد غرفته التي في البيت، وهذه من كراماته تقبله الله).

وقال عنه الشيخ حسن الدقي في شهادته له: (ومن أعجب ما رأيت من شيخي رحمه الله أحواله وهو في أرض الشام مجاهدا ومرابطا، فقد سكنت معه بعض الوقت، وتنقلت معه إلى أكثر من مكان... وآخر وأعجب أحواله في أرض الشام شجاعته، وطمأنينة نفسه، والقصف فوق رأسه، وفوق بيته، حيث استقر في بيت مطل على إحدى أخطر الجبهات، وهي جبهة وادي الضيف، ولا يمر يوم أو يومان إلا وتصيب بيته قذيفة أو مقذوف، كما أصر ليلة على زيارة بعض الإخوة المرابطين في جبهة دورين بالساحل السوري، فأخبرونا أهل المنطقة بأن الطريق في غاية الخطورة فقلت له: نحن غير مستعدين لمثل هذا الظرف، فأصر على الوصول إليهم، وكان يرى الأمر بسيطا وسهلا، فتقدمنا وأضواء السيارة مطفأة، حيث كان شبيحة الأسد يقنصون السيارات ليلا بالقذائف الخطيرة المدمرة، فلما توسطنا الطريق إذا بسيارة قد أصيبت قبلنا، فراجعته في التوقف والرجوع، فأصر على المضي، وفعلا عبرنا المنطقة وزرنا المرابطين تلك الليلة وعدنا وهو رابط الجأش ثابت القلب والنفس).



الشيخان حسن الدقي ومحمد المفرح يتوسطان المجاهدين المرابطين

وقال عنه الأستاذ إياد العطية: (الشجاع المقدام الذي حرص أن يشارك إخوانه المجاهدين في ميادينهم العسكرية في سوريا حتى كان في مواقع تماس مع العدو، يشارك المجاهدين بالرأي والمشورة، ويشرف بنفسه على بعض الجوانب المهمة للواء الأمة في إدلب، ثم باشر رحمه الله بإصدار البيانات التي تندد بإجرام حكومات الخليج ضد شعوبها من قلب المعركة، ومن أمام خطوط القتال الأولى، في رسالة منه رحمه الله إلى الطغاة والظالمين في حكومات الخليج وباقي حكومات المنطقة: أن الأمة اليوم تعيش حالة جهاد عامة، وثورات شعوب مسلمة، لا تمنعهم حدود سايكس بيكو من الالتحام والدفاع عن دينهم وكرامتهم وكرامة إخوانهم في أي بلد آخر).



من أرض الشام يلقي بيان مؤتمر الأمة إلى عموم الأمة ٣١/ ٥/ ٢٠١٣م

وقال عنه الشيخ حامد العتيبي: (وكان في حينها ضيّق نظام بشار الخناق والحصار على مدينة حمص، ومن شدة حرصه استضاف أغلب ممثلي الفصائل في حمص عنده في المقر بإدلب لبحث كيفية التوصل لطريق إمداد دعم إغاثي وعسكري لمن هم بداخل حمص من أطفال ونساء وثوار؛ وقد خرج على أثرها هو والشيخ حجاج، ومعهم الدعم لأهل حمص من الضحى قرابة التاسعة صباحا وانقطعت بيننا وبينهم الاتصالات والأخبار، وعند انتهاء النهار وحلول الليل اشتد بنا القلق، وأخذنا نسأل الإخوة من حولنا عن حل وطريقة لنطمئن عليهم، فأخبرونا أنه ليس بالإمكان في ظل هذه الحرب والأوضاع الخطرة إلا انتظارهم، أو من يأتي من عندهم بأخبارهم، واستمر الوضع إلى بعد منتصف الليل نترقبهم، حتى دخلوا علينا الباب شعثا غبرا، وعند سؤالنا عن



الشيخان محمد المفرح وحجاج العجمي في إدلب

سبب التأخير وقبل العتاب، أخبرونا أنهم كانوا طيلة هذا الوقت في محاولات متواصلة لإدخال الدعم، ففرحنا بجهادهم ونسينا العتب).

وقال عنه رفيق هجرته وجهاده الشيخ حسن الدقي: (وأما إذا أردت أن تقف على التزامه الدعوي والمبدئي ووقوفه في وجوه طواغيت العرب، وخاصة طواغيت الجزيرة فحدث ولا حرج، فقد كان جبلا شامخا لا يرف له جفن، بل غالب أمره أنه لم يكن يذكرهم إلا وهو يبتسم، وكانت نظرته لمستقبلهم تعتمد على قراءة سنن التغيير، وعلى وعي كامل بمنهج الحكم في الإسلام، الذي ينبغي أن تسعى الأمة لإحيائه وتطبيقه وهو نظام الحكم الراشدي، وكانت له نظرة ثاقبة حول أهمية التغيير في جزيرة العرب، وأنه ما لم يحدث هذا التغيير فلن يستقر للأمة تطبيق دينها، ورجوع سيادتها وحريتها، وأحسب أن الشيخ محمد بن سعد آل مفرح قد تمثل فيه قول الرسول ﷺ: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) فقد اجتمع فيه وفي إخوانه مؤسسي (حزب الأمة الإسلامي) تغيير المنكر باللسان، وباليد، عبر إعطاء الأمة نموذجا عمليا في العمل السياسي، والمطالبة بالحقوق، ورفع سقف المطالبة إلى حد وضع برنامج سياسي متكامل واقتراحه على الأمة، بل والخروج من حالة الوهم والتردد التي تسود في أرض جزيرة العرب، وذلك بما لبّس الطغاة وعلماء السوء المساندين لهم على المسلمين، فقد كشف الله بالشيخ محمد وإخوانه الغمة عن الأمة، كما ضرب الشيخ محمد المثل المبارك في إرغام أنوف طواغيت الجزيرة بالهجرة والخروج من تحت سطوتهم، كما أخبر الله عز وجل ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، فقد ترك الدنيا وراءه، ولم يبال بكل ما حاول الطغاة أن يغروه به من الدنيا فلم يغير ولم يبدل، حتى وافاه الأجل، وأعجب حال الشيخ رحمه الله هو هدوء باله واستقرار نفسه، مع خطورة المهمة التي تصدى لها، وما يكتنف ذلك من إمكانية قيام عملاء الطواغيت بكل ما يتصور من محاولة إخراج الشيخ من طريقه الذي سار فيه والذي تحقق بأكثر من صورة، ومع ذلك فقد كان الشيخ يتحرك ويتفاعل في الحياة وهو أسعد الناس وأكثرهم اطمئنانا...).

وقال عنه الشيخ أبو الحسن العرجاني: (وأذكر أني قد كنت خرجت معه لزيارة الثغور أكثر من مرة، وكان أحد هذه الثغور في الجبال، ولا بد من المشي بين جبلين في طريق وعر مدة ساعة تقريبا، وكان من أكثرنا فرحـًا



وأكثرنا همه، علما أنه كان يرتدي الثوب والنعلين وفيهما صعوبة في التنقل والحركة، ومع هذا لم تعق حركته أو تنقص همته أو يتذمر بلسانه، وقد سكنت معه في منزل لفترة، حيث كنت وقتها أتنقل في الساحة وبين المعسكرات والكتائب والمناطق أعطي الدروس والكلمات، فطلب مني الشيخ محمد المفرح رحمه الله أن أجلس معه ليكرمني كعادته مع ضيوفه ومن يحبهم.

وقد قام الشيخ بتجهيز هذا المنزل وترتيبه من نفقته، وبعد أن سكنا أنا وهو في هذا المنزل تم رصده من قبل أعوان النظام النصيري، ثم قاموا بقصف المنزل بقذيفتين باتجاه الغرفة التي نجلس وننام بها فاخترقت النوافذ وأثرت الشظايا داخل الغرف بشكل مخيف، وقدر الله تعالى لنا أننا كنا خارج المنزل هذه الساعة والحمد لله، ولو كنا في هذا الوقت داخل المنزل ما كنا ندري ماذا حل بنا).

وقال عنه أبو مالك الأزدي -وكان قد صحبه في الشام مدة-: (بعد أن نفرت للشام كان الشيخ محمد المفرح في الانتظار، وكان على أحر من الجمر عندما علم أنه تم القبض علي من حرس الحدود التركية أثناء تجاوزي للحدود السورية التركية، فلقد تم القبض علي وسعى من سعى لإطلاق سراحي، وكان هو على رأسهم حتى تم إطلاقي، بطريقة أو بأخرى، دخلت إلى تلك الديار المباركة التي بسطت الملائكة عليه أجنحتها، وما إن وصلت إلى ذلك المكان حتى استقبلني بعض الأحبة رضي الله عنهم رضا لا يسخط عليهم بعده أبدا، وايم الله إني أشتقت إليهم شوقا لا يعلمه إلا فاطر السموات والأرض، حتى إني لفقدهم وشوقي إليهم وحسرتي بفراقهم نحل جسمي، وجف دمعي، وتفطر قلبي، حتى لم أعد أأنس بالجلوس مع أحد، ولا أجد أنسي إلا بتذكر تلك الأيام التي لا أنساها ما حييت!

سألت عن الشيخ محمد المفرح الذي أعده أخي الأكبر الذي لم تلده أمي، قالوا ذهب في جولة لدعم الفصائل وزيارة بعض الأحبة المجاهدين الأفذاذ، وكان يقوم بشراء كل ما يحتاجه المجاهدون من ذخائر ومعدات، فلقد كان يسعى في حاجة إخوانه المجاهدين، كان يكسب معدومهم، وكان يحمل همهم، وليس همهم فقط، بل كان يحمل هم الأمة جمعاء، ووالله ما رأيت أحدا مثله في حرقته على الأمة، وأحسب أنه من الرواحل القلائل في هذا الزمن، فلقد قال المصطفى ﷺ: (الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة)).

## الخامس والعشرون: مقام الشهادة:

وهو أشرف مقامات الأولياء بعد مقام الصديقية، كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

وهو مقام الاصطفاء الرباني كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾، فهو الذي يتخذ سبحانه الشهداء له على الخلق بأنه الله الذي لا إله إلا هو، ليس بأقوالهم، كمن يشهدون له بذلك بألسنتهم، وإنما بتقديم أرواحهم له وفي سبيله، ولا أصدق من هذه الشهادة، ولهذا كانت أمة محمد ﷺ هي الشهيدة على الأمم لله بالحق والقسط وأنه ﴿قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾، إلى يوم القيامة، فلا رسول بعد محمد ﷺ، ولا كتاب بعد القرآن، بل تقوم أمته مقامه في البلاغ عن الله، والشهادة على الخلق، والجهاد في سبيل الله!

ولما كانت شهادة الشهداء لله بأرواحهم وأنفسهم ليقولوا للعالمين كلهم – حين يقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله – بأن الله حق، والموت حق، والبعث حق، والجنة حق، ونحن الشهود على ذلك، ولهذا قدمنا أنفسنا له: كان جزاؤهم الحياة والخلود الأبدي، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

ومنزلة الشهادة هي مقام كسبي بنية العبد وقصده وجهاده طلبا لها، وهي أيضا حال وهبي باتخاذ الله من صدقه معه شهيدا، وكتابتها له واصطفائه إياه.

وقد كتب الله الشهادة الدنيوية للشيخ محمد رحمه الله من وجوه عدة هي:

١ – أنه قتل في سبيل الله، على يد أعداء الله، بعد أن حاولوا اغتياله بالقتل المباشر مرارا، كما سيأتي في الفصل الثاني، وفي الحديث الصحيح: (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)[1]، وسواء قتله السلطان الجائر بشكل مباشر، أو غيلة بسبب غير مباشر، فهو شهيد في كلا الحالين، ولا خلاف في كون المقتول على يد الجائر – لأنه أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر – شهيد، واختلفوا هل هو شهيد في أحكام الدنيا والآخرة، كشهيد المعركة مع الكفار فلا يغسل ولا يصلى عليه، كما يقول فقهاء العراق، أم شهيد في أحكام الآخرة فقط، فيغسل ويصلى عليه، كما يقول فقهاء الحجاز.

وقد قال الذهبي ويحيى بن معين عن الإمام أحمد بن نصر الخزاعي – الذي بايعه أهل بغداد على الأمر بالمعروف، وقتله المأمون – (الإمام الكبير، الشهيد، أبو عبد الله أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي،

---

(١) رواه الحاكم وصححه في المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٩٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ٣٧٤ بطرقه، وهو كما قال.

**المروزي، ثم البغدادي، وكان أحمد أمارا بالمعروف، قوالا بالحق.. قال ابن الجنيد: سمعت يحيى بن معين يترحم عليه، وقال: ختم الله له بالشهادة).[1]**

**وأما تبويب البخاري باب (لا يقال فلان شهيد) فالمراد لا يقال عنه ذلك على سبيل القطع، أما على سبيل الرجاء له بالشهادة، فلا حرج، كما قال الحافظ ابن حجر: (قوله (باب لا يقال فلان شهيد) أي على سبيل القطع بذلك).[2]**

**وقال عمن شهد الصحابة له بالظاهر، ثم تبين أنه لم يقاتل في سبيل الله، حيث قتل نفسه في آخر المعركة: (شهدوا رجحانه في أمر الجهاد، فلو كان قتل لم يمتنع أن يشهدوا له بالشهادة، وقد ظهر منه أنه لم يقاتل لله، وإنما قاتل غضبا لقومه، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد، لاحتمال أن يكون مثل هذا، وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب).[3]**

**وكذا قال العيني في شرحه: (مطابقته للترجمة من حيث إن الصحابة لما شهدوا برجحان هذا الرجل في أمر الجهاد، كانوا يقولون إنه شهيد لو قتل، ثم لما ظهر منه أنه لم يقاتل لله، وأنه قتل نفسه علم أنه لا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد قطعا، لاحتمال أن يكون مثل هذا، وإن كان يعطى له حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة).[4]**

**وقد تواترت الرؤى قبيل وفاته وبعدها بأنه شهيد بإذن الله، وأنه حي لم يمت، كما ذكرت بعضها في مقدمة الكتاب، وكما سيأتي في آخره، وقد وصفه بالشهادة الشيخ أبو صالح القحطاني فقال: (وأي ولاية نالها وحازها ذلك الهمام الشجاع الشهيد بإذن الله تعالى)، وكذا وصفه بها الشيخ نواف الضيط فقال: (شهادة لله في الشيخ المهاجر المجاهد الشهيد بإذن الله أبي عبد الله محمد بن سعد المفرح).**

**٢- أنه مات وهو خارج مجاهد في سبيل الله، فيصدق فيه قوله ﷺ: (ومن مات في سبيل الله فهو شهيد)، قال النووي: (بأي صفة مات)[5]، قال الشيخ ابن عثيمين: (هناك شهداء غير المقتولين في سبيل الله، ومن ذلك أيضا من مات في سبيل الله، وإن لم يقتل فهو شهيد، لكنه شهيد في الآخرة، كرجل خرج مع المجاهدين ومات في**

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ١٦٦)

(٢) فتح الباري (٦ / ٩٠)

(٣) فتح الباري (٦ / ٩٠)

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١ / ٣٨٧)

(٥) شرح النووي على مسلم (٦ / ٣٩٧)

الطريق موتة طبيعية، فهذا أيضا من الشهداء، لكن شهيد الآخرة، أما في الدنيا فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن مع الناس).[1]

٣- أنه قد مات مبطونا، والمبطون - وهو كل من يموت بعلة بالبطن - شهيد كما جاء في الحديث الصحيح: (من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد).[2]

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر نحو عشرين سببا لوصف الشهادة وردت في أحاديث صحيحة وحسنة: (الشهداء قسمان: شهيد الدنيا، وشهيد الآخرة، وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلا غير مدبر، مخلصا، وشهيد الآخرة وهو من ذكر بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء، ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا... وإذا تقرر ذلك فيكون إطلاق الشهداء على غير المقتول في سبيل الله مجازا، فيحتج به من يجيز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه).[3]

٤- كما إنه مات مهاجرا في سبيل الله غريبا عن أهله ووطنه، وقد روى ابن عمر حديث: (موت الغريب شهادة)، قال الحافظ ابن حجر: (وصحح الدارقطني من حديث بن عمر: (موت الغريب شهادة)..).[4]

وأولى الغرباء بهذا الوصف المهاجرون الذين تركوا ديارهم فرارا بدينهم، أو تغربوا يريدون عفاف أنفسهم وعيالهم.

٥- وقد طلب الشيخ محمد الشهادة في مظانها، وسألها في مواطنها، ورابط في أرض الجهاد وتعرض لها، كما في الحديث الصحيح: (من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه)، قال النووي: (المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم، وقد سبق في كتاب الإيمان بيان هذا، وأن الشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم هؤلاء المذكورون هنا، وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبرا).[5]

---

(١) شرح رياض الصالحين - (١ / ١٥٥٠)

(٢) صحيح البخاري ح رقم ٧٢٠ مختصرا، وصحيح مسلم ح رقم ١٩١٥ واللفظ له.

(٣) فتح الباري (٦ / ٤٤)

(٤) فتح الباري (٦ / ٤٣)

(٥) شرح النووي على مسلم (٦ / ٣٩٧)

## مقام الولاية والرؤى الصادقة:

وبكل المقامات التي سبق ذكرها تحقق للشيخ محمد مقام الولاية وأحوالها من الرؤيا الصادقة والإلهام والفراسة، فقد كان الشيخ محمد المفرح رحمه الله – كما نحسبه ونرجوه – من أولياء الله الصادقين، فهو صادق الإيمان، صادق اللسان، صادق الفراسة، صادق الرؤيا، صادق الرأي، صادق العهد!



قال عنه الشيخ ارشيد الهاجري: (إني لأحسبه والله حسيبه أنه ولي من أولياء الله).

والرؤى الصادقة حال وهبي يفيض على من رسخت أقدامهم في مقام الصدق، فأصدق الناس رؤيا، أصدقهم حديثا، كما في الحديث الصحيح، فالصدق مقام كسبي، والرؤيا الصادقة حال وهبي، كأثر من آثار الصدق.

وقد اشتهر الشيخ محمد رحمه الله بالأمرين جميعا: بالمقام وبالحال!

قال عنه الشيخ المهندس محمود فتحي رئيس حزب الفضيلة المصري: (قص علي حينها كيف كانت رحلة تأسيسه العمل السياسي وإعلان (حزب الأمة الإسلامي)، ثم رحلة هجرته إلى تركيا، وما وجد فيها، وأنه خرج من بيته على إثر رؤيا رآها تحثه علي الخروج من بلاده، كما كان رحمه الله تعالى كثيرا ما يقص علينا رؤاه والتي كنت لا أنتبه لها في البداية، وكنت أقول إن الشيخ يوليهما اهتماما زائدا حتى حدثني رحمه الله في جمع من إخواني برؤيا رآها لي أولها بعضهم، فوقعت كما رآها، ثم تكرر هذا الأمر معي في عدد من الرؤى، تكاد تقع مثل فلق الصبح ولعلي أقص بعضها يومـًا).

وقال عنه الشيخ د. حسن سلمان: (ولعل الشيخ ممن حباه الله خاصية الرؤى المنامية، والتي تعد من المبشرات العاجلة للعبد المؤمن، وهي مما يثبت الله به عبده المؤمن في مسيرته، فكان الشيخ كثير الرؤى، وكانت رؤاه تتحقق غالبـًا، وكان يستأنس بالرؤى سواء كانت خاصة به، أم كانت لإخوانه وأصحابه).

وقال عنه أبو فاروق قائد لواء الأمة: (وكان رحمه الله من أصحاب الرؤى، ومن أكثر الرؤى التي لا زالت عالقة في ذاكرتي أنه وبعد أن عرّفته على أحد الإخوة لدينا، وكانت لديه بعض الأفكار التي يختلف فيها مع الشيخ بشدة، بعدها ببضع أيام قال لي: لقد رأيت صاحبك في رؤيا أنني جلست معه، ومن ثم تناولت مقص وهذبت به بعض من شعر رأسه، وأولت ذلك أنه يصلحه الله على يدي، ويغير تلك الأفكار، ويلتزم معنا، فضحكت في

حينها، وتذكرت مقولة: (لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب)، كوني أعرف صاحبي! ولكن فعلا وبعد مدة وجدت الشيخ وقد أصبح من أقرب الناس لصاحبي، وأصبح هو المسئول عن تنقلاته وأمنه).

وقد اشتهر الشيخ محمد رحمه الله في هذه الحال، وفي الرؤى وكثرتها، حتى أني سألت بعض أهل العلم في التعبير، هل رأيت مثل الشيخ محمد في الرؤى؟

فقال لي: والله يا دكتور حاكم لقد قرأت في علم الرؤى، وأخبار المشاهير الذين اشتهروا بالرؤى، وكان عمر بن الخطاب من أشهرهم وأكثرهم رؤى، ولي سنوات أعبر الرؤى للناس من كل الأجناس، فوالله ما رأيت كالشيخ محمد المفرح، ولا ذكر مثله فيما وقفت عليه في كتب الرؤى!

فقلت له: كم تتوقع وجدنا في فهرس رؤاه الذي كان سجل فيه رؤوس عناوين الرؤى منذ رجع من سوريا في نحو عام واحد؟ مع أنها بعض رؤاه وليست كلها؟

فقال: كم؟

فقلت: وجدنا أكثر من مائتي رؤيا!

فقال: أشهر أصحاب الرؤى لا تتجاوز رؤاهم في حياتهم كلها مائة رؤيا!

## حقيقة الرؤى:

والرؤى لها تعلق بالروح وعالم الغيب الأرحب فضاء من عالم الحس والشهادة، ولولا ما جاء عن الله ورسله في بيان حقيقة الرؤى، وكيف يخترق الإنسان بها حجب الغيب المستقبلي، ويرى الأشياء قبل حدوثها، ربما بسنوات، لما استطاع العلم المادي تفسيرها!

وقد بوب البخاري باب (الرؤيا من الله) وأخرج فيه حديث أبي قتادة، عن النبي ﷺ قال: (الرؤيا من الله).[1]

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة).[2]

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).[3]

---

(١) البخاري ح رقم ٦٩٨٤.

(٢) البخاري ح رقم ٦٩٩٠.

(٣) البخاري ح رقم ٦٩٨٣.

وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).[١]

وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).[٢]

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).[٣]

وفي لفظ: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا).[٤]

وقد سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾، ففسر البشرى في هذه الآية بالرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له.[٥]

وقال إمام أهل التفسير ابن جرير الطبري بعد أن ذكر اختلاف أهل التأويل في معنى ﴿الْبُشْرَى﴾ في الآية :(وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا:

ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له.

ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، كما روي عن النبي ﷺ: "أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه".

ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾.

وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه أن ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا﴾، وأما في الآخرة فالجنة.

وأما قوله: ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾، فإن معناه: إن الله لا خلف لوعده، ولا تغيير لقوله عما قال، ولكنه يمضي لخلقه مواعيده وينجزها لهم).[٦]

---

(١) البخاري ح رقم ٦٩٨٩.

(٢) البخاري ح رقم ٦٩٨٧.

(٣) البخاري ح رقم ٧٠١٧.

(٤) مسلم ح رقم ٢٢٦٣.

(٥) رواه مالك في الموطأ مرسلا رقم ١٧١٧، والترمذي موصلا من حديث أبي الدرداء وعبادة بن الصامت عن النبي ﷺ ح رقم ٢٢٧٣ و٢٢٧٥، وصححهما الشيخ الألباني،

(٦) جامع البيان (١٥ / ١٤٠)

ولهذا كان النبي ﷺ - مع أنه رسول يوحى إليه بخبر السماء الجلي - يستشرف المستقبل بتعبير الرؤى والوحي الخفي لأصحابه، ويستخبر أصحابه خبر السماء بعد كل صلاة فجر، ويعلم أصحابه كيف يعبرون الرؤى، فهي من الوحي الخفي، وجزء من النبوءة، لا يعرف قدرها إلا المؤمنون بالنبوة وعالم الغيب!

فقد جاء في الصحيح عن سمرة بن جندب قال: (كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة، أقبل علينا بوجهه، فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله...).(1)

وعن ابن عمر قال: كنت غلاما شابا عزبا في عهد النبي ﷺ، وكنت أبيت في المسجد، وكان من رأى مناما قصه على النبي ﷺ، فقلت: اللهم إن كان لي عندك خير فأرني مناما يعبره لي رسول الله ﷺ، فنمت فرأيت ملكين أتياني فانطلقا بي، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تراع إنك رجل صالح، فانطلقا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها ناس قد عرفت بعضهم، فأخذا بي ذات اليمين، فلما أصبحت ذكرت ذلك لحفصة، فزعمت حفصة أنها قصتها على النبي ﷺ فقال: (إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل)، قال: الزهري وكان عبد الله بعد ذلك يكثر الصلاة من الليل).(2)

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان مما يقول لأصحابه: (من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له)، وأن (رجلا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني أرى الليلة ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به من بعدك فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به، ثم وصل له فعلا، قال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فلأعبرنها، قال رسول الله ﷺ: أعبرها!

قال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام، وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه، وأما ما يتكفف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ قال رسول الله ﷺ: أصبت بعضا، وأخطأت بعضا، قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ قال: لا تقسم!).(3)

---

(1) البخاري ح رقم ١٣٨٦.

(2) صحيح البخاري ح رقم ٧٠٣٠.

(3) صحيح مسلم ح رقم ٢٢٦٩.

وكان النبي ﷺ يقول لهم: (من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتخيل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).[1]

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي). قال البخاري، قال: ابن سيرين (إذا رآه في صورته).[2]

فمن رأى النبي على هيئته المعروفة الموصوفة في منامه فقد رآه حقا، فكما أن الله عصمه ﷺ في حياته أن يتمثل به الشيطان – لكونه ﷺ مظهر لهداية الله للعالمين باسمه الهادي سبحانه – كذلك بعد وفاته ﷺ لعموم رسالته، واتصال هدايته!

وعن أبي قتادة قال النبي ﷺ: (من رآني فقد رأى الحق).[3]

قال الباقلاني: (معناه أن رؤياه صحيحة، ليست بأضغاث، ولا من تشبيهات الشيطان).

وقد كان الشيخ محمد المفرح رحمه الله كثيرا ما يخبرنا عن رؤاه في النبي ﷺ، يأمره أو يوصيه!

وله مع الرؤى شأن عظيم، وما كنت أظن أن أحدا يفتح الله عليه فيها على هذا النحو، ولولا أني صحبته ورأيته ما كنت أصدق شأنه فيها، وتأتي رؤاه على أقسام:

الأول: ما يراه منها قصيرا، لا يحتاج إلى تعبير، وليس فيها إلا أنه سيحدث كذا، وسيأتي فلان، وغالبها يتحقق في يومه وغده، ورأينا منه أنا والشيخ سيف ما لا يحصى، حتى كنا كل يوم ننتظر رؤاه!

الثاني: ما يراه منها طويلة جدا، وهي رؤى ملحمية ربما أخذ يقصها علينا ربع ساعة أو نصف ساعة، وهي عادة ما تكون في شأن الأمة ودولها والعالم وما يقع فيه من أحداث كبرى، وربما تحققت هذه الرؤى خلال أشهر أو سنوات، وقد رأى رؤيا قبل ثلاث سنوات في بداية الثورة كشفت لنا طبيعة الصراع الأمريكي التركي، وموقفهما من الثورة العربية، فوالله ما تجاوز الواقع حتى الآن ما قصه علينا قبل ثلاث سنوات!

الثالث: ما يراه من رؤى خاصة به، أو في أهله، أو أحد من أصحابه، أو ممن يعرفهم، فيخبرهم بها وتتحقق، وتأتي عادة متوسطة، وقد رأى في المهندس محمود فتحي عدة رؤى حين قدم من مصر، وعن الجهات التي ستتصل به للتعاون والتنسيق ومدى جديتها، وقد أخبرنا بها والشيخ محمود معنا، فلم يأخذها مأخذ الجد، فجاءت بعد أيام كفلق الصبح!

---

(١) صحيح البخاري ح رقم ٦٩٩٤.

(٢) صحيح البخاري ح رقم ٦٩٩٣.

(٣) صحيح البخاري ح رقم ٦٩٩٦

فجاءنا بعدها الشيخ محمود فقال باللهجة المصرية: (يا جماعة الحكاية بقت جد بالفعل! دا الشيخ محمد كنز معلومات، ومركز استشراف للمستقل)!

فقلت له: ما زلت ماديا يا شيخ محمود!

وكان الشيخ محمد إذا ابتدأ حديثه بالرؤيا قال: (صلوا على رسول الله ﷺ)، ثم يقص رؤاه عادة بلغة عربية فصحى جميلة ممتعة، فلا يحب أحدا يقطع عليه حديثه، أو يشوش عليه، وربما أعاد قص الرؤيا بعد سنتين أو ثلاث، فيأتي بها بالنص، كما قصها أول مرة، ويتحدث وكأنه يراها رأي العين!

ولم يكن يحدث كل أحد برؤاه، بل لا يكاد يذكرها إلا للخاصة من أصحابه!

## حقيقة رؤى اليقظة:

وأعجب رؤاه تلك التي رآها بقلبه يقظة!

ففي مرة – وكنت معه في شقته في العمرانية أول قدومه تركيا في مارس أو إبريل سنة ٢٠١١م – وكان يصلي في غرفته ويقرأ القرآن، وكان الوقت ضحى قبل الظهر، فلما قضى ورده من القرآن والأذكار، جاءني فأخبرني أمرا عظيما – وكأنه ذكر لي النبي ﷺ – فظننت أنه يقص علي رؤيا منامية، فتردد وسكت!

فقلت: متى رأيتها؟ البارحة؟

فقال: لا رأيتها الآن قبل أن آتيك!

فقلت له: هل كنت نائما؟

وكنت أنا طوال الوقت أسمع صوته وهو يصلي ويقرأ القرآن، وأعلم أنه يقظان!

فقال: لا لم أنم رأيتها الآن وأنا يقظان!

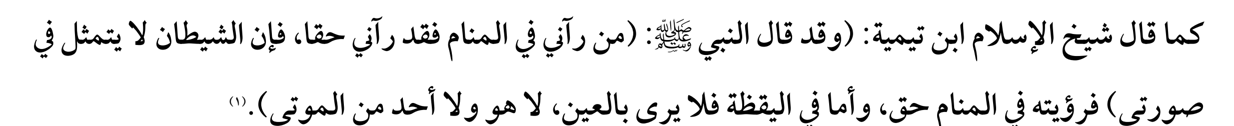
فلم أزد على أن سبحت الله! وقلت له: رؤيا حق بإذن الله!

ثم لم يعد يذكر لي شيئا من رؤى اليقظة، خشية أن تكون أوهاما، مع أنها فيما أظن قد تكررت معه!

وقد جاء في حديث أبي هريرة في صحيح البخاري: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة).[1]

وقد ذكر الحافظ ابن حجر الخلاف بين الشراح في معنى هذه اللفظة، واستشكل قول من حمله على ظاهره، وأنه قد يُرى ﷺ حقيقة في اليقظة، ولم يحرر المسألة، والصحيح أنه لا يوجد ما يمنع من رؤيته ﷺ على الحقيقة يقظة لا رؤيا عين، بل رؤيا قلب داخلية، لا رؤيا بصر خارجية!

(١) فتح الباري – ابن حجر – (١٢/ ٣٨٣)




كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد قال النبي ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) فرؤيته في المنام حق، وأما في اليقظة فلا يرى بالعين، لا هو ولا أحد من الموتى).[1]

فقد نفى رؤيته ﷺ بعد وفاته رؤيا يقظة بالعين، وأما رؤيا يقظة بالقلب فلم ينفها، فالصحيح أنها ممكنة وظاهر الحديث في صحيح البخاري يرجحها، ولا يقتضي الحديث أنه كل من رآه ﷺ في المنام سيراه قطعا يقظة رؤيا قلب، وإنما يفيد إمكان حدوث ذلك، وأنه لا يتحقق للمؤمن رؤية النبي ﷺ يقظة بقلبه، ما لم يكن قد رآه قبل ذلك رؤيا نوم، فكأن الرؤيا المنامية توطئة للقلبية!

وقال شيخ الإسلام أيضا: (والمقصود أن القائل إذا قال: رأيت الشمس أو القمر أو الهلال أو غير ذلك في الماء والمرآة، فالعقلاء متفقون على الفرق بين هذه الرؤية وبين رؤية ذلك بلا واسطة، وإذا قال قائل: ما رأى ذلك؛ بل رأى مثاله أو خياله أو رأى الشعاع المنعكس أو نحو ذلك، لم يكن هذا مانعا، لما يعلمه الناس ويقولونه من أنه رآه في الماء أو المرآة، وهذه الرؤية في الماء أو المرآة حقيقة مقيدة، وكذلك قول النبي ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي)، هو كما قال ﷺ رآه في المنام حقا، فمن قال: ما رآه في المنام حقا، فقد أخطأ، ومن قال: إن رؤيته في اليقظة بلا واسطة كالرؤية بالواسطة المقيدة بالنوم فقد أخطأ).[2]

وقال ابن مفلح الحنبلي: (وفي الصحيحين من حديث أبي قتادة (من رآني فقد رأى الحق) وقد تكلم العلماء فيما إذا رأى النبي ﷺ فأمره في منامه أو نهاه، وتلخيصه أنه لا يغير ما تقرر في اليقظة شرعا إجماعا، نظرا إلى ترجيح الدليلين، وأما ما ليس فيه أمر ولا نهي عنه عليه الصلاة والسلام في اليقظة، فهل يلزم العمل به؟ قال القاضي عياض: هذا ومثله استئناس واستظهار لا أنه يقطع بأمر المنام، ولا أنه يبطل بسببه سنة ثبتت، ولا يثبت به سنة لم تثبت، وهذا بإجماع العلماء. انتهى كلامه.

قال أبو زكريا النواوي: وكذا قال غيره: من أصحابنا وغيرهم، فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع، ولا يخالف هذا قوله ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني)، فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة، وليست من أضغاث الأحلام، وتلبس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به... أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكما بمجرد المنام، بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء. انتهى كلامه.

وهذا كله معنى كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية.

وقال ابن حزم: أيضا لا يلزم العمل به.

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٣٤٨)

(٢) مجموع الفتاوى - (١٢ / ٢٧٨)

وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في قوله ﷺ: (أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر)، إنه هل يلزم العمل به؟ فيه خلاف).[1]

وقال ابن علان الشافعي: (وقال قوم: هو على ظاهره فيمن رآه مناماً، فلا بد أن يراه يقظة بعيني رأسه، وقيل: بعيني قلبه، حكاهما ابن العربي، وقد نقل عن جمع من الصالحين رؤياه مناماً، ثم رأوه بعد ذلك يقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى النجاة من ذلك، وجاء الأمر كذلك، وهذا نوع من كرامات الأولياء، وهم أكثر من يقع له ذلك، وقد صرح بوقوع هذه الكرامة جمع منهم الغزالي وابن العربي وابن عبد السلام، وفي كون المرئي جسمه أو مثاله خلاف، قال بالثاني الغزالي، وقال ابن العربي: إن رآه بصفته المعلومة فإدراك حقيقته، وإلا فإدراك لمثاله، وقال المصنف النووي: الصحيح أنه يراه حقيقة، سواء رآه على صفته المعروفة أو غيرها، وأيد الحافظ ابن حجر قول من فرق بين كون المرئي بصفته أو بغيرها، فيكون الأول حقيقة، والثاني للمثال).[2]

وقال الملا علي القاري في شرحه للشمائل: (حكي أن أبا جمرة والمازري واليافعي وغيرهم عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي ﷺ يقظة، وذكر ابن أبي جمرة عن جمع أنهم حملوا على ذلك رواية: (فسيراني في اليقظة)، وأنهم رأوه نوما فرأوه يقظة بعد ذلك، وسألوه عن تشويشهم في الأشياء، فأخبرهم بوجوه تفريجها، فكان ذلك بلا زيادة، ولا نقصان، وقد أشرنا إليه سابقا قال: ومنكر ذلك إن كان ممن يكذب بكرامات الأولياء فلا بحث معه؛ لأنه مكذب بما أثبتته السنة، وإلا فهذه منها، إذ يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالم العلوي والسفلي، وحكيت رؤيته ﷺ كذلك عن الأماثل كالإمام عبد القادر الجيلي... وجرى على ذلك الغزالي، فقال في كتابه المنقذ من الضلال: وهم يعني أرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد).

## تحقيق القول في رؤى اليقظة:

أقول والله أعلم: الصحيح من ذلك كله أن من رآه ﷺ على صورته وهيئته، التي هي صورته الموصوفة، وهيئته المعروفة، كما ثبتت بالتواتر القطعي، فقد رآه حقا، سواء رآه في نوم، أو رآه يقظة بعين القلب، فإن الشيطان لا يتمثل به، فهو ﷺ الهادي إلى صراط مستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم. صِرَاطِ اللهِ﴾، وهو مظهر من مظاهر الهداية الربانية، تجلى فيه أثر اسم من أسماء الله تعالى (الهادي)، فلا يتمثل فيه الشيطان أبدا الذي هو

---

(١) الآداب الشرعية – (٤ / ١٣٩)

(٢) دليل الفالحين (٦ / ١٣٣)

مظهر الغواية، أما رؤيته بعين البصر فهي ممتنعة شرعا وحسا، فقد توفاه الله إليه، وهو في قبره الشريف، في عالم برزخي إلى يوم البعث.

وهو ﷺ لا يأمر، ولا ينهى، ولا يوصي من رآه بعد وفاته، إلا بما أمر به ونهى عنه في حياته، ومن ادعى عليه خلاف ذلك، فقد كذب عليه، كحال من قد كذب عليه في حياته!

وأما رؤية الملائكة فقد تقع للمؤمنين المتقين، دون أمر من الملائكة أو نهي لمن رآهم، وإنما يُرون كتثبيت للمؤمنين، وربط على قلوبهم، كما كان شأنهم مع المؤمنين في حياة النبي ﷺ، وبعد وفاته، كما ثبت عن عمران بن حصين في صحيح مسلم عنه قال: (كان يُسلّم عليّ – أي: تسلم عليه الملائكة – حتى اكتويت، فتركت، ثم تركت الكي فعاد).[1]

وفي لفظ البيهقي: (وإنه قد كان يسلم علي، فلما اكتويت انقطع عني، فلما تركت عاد إلي، يعنى الملائكة).[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا: مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين؛ وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة، أو سبح ما فيها، وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما، رواه البخاري وغيره).[3]

وعلى كل حال فأمر الشيخ محمد المفرح رحمه الله في أمر الرؤى لا يكاد يصدقه إلا من صحبه وعرفه!

وقد كنا في حج عام ١٤٣١هـ وكنا عدد من الإخوة في مزدلفة، فجلس الشيخ عبد العزيز الوهيبي – فك الله أسره – ومحمد المفرح – رحمه الله ورفع قدره – يتحدثان طوال الليل إلى قريب الفجر عن مشروع الأمة، والخطاب الراشدي، ووجوب التصدي للظلم، ووجوب الإصلاح، وكنت أستمع لهما وأنا مضجع جنبهما، ثم تعاهدا وتبايعا على الدعوة إلى الله، والقيام بهذا الأمر، وأخذ محمد يقص على الشيخ الوهيبي رؤاه ومنها رؤيا رأى فيها أحد الشيوخ المشهورين في التعبير يناوله صحيفة فيها الآيات والأحاديث الواردة في معية الله، فقال الشيخ الوهيبي مباشرة: ما شاء الله هنيئا لك فأنت تثبّت بالرؤى!

---

(١) صحيح مسلم ح رقم ١٢٢٦.

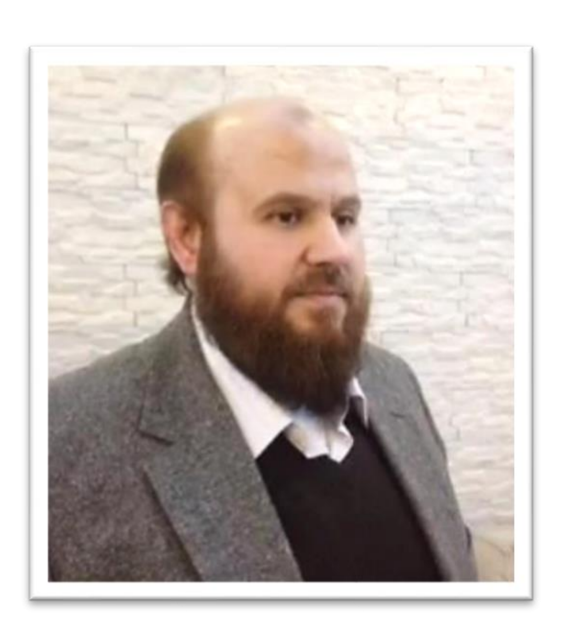
(٢) السنن الكبرى (٥ / ١٤)

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١ / ٢٨٧)

وهذا ما كان من أحواله فعلا، فقد كان مسددا في الرؤى، سواء فيما كان من كشف حجب الغيب ومستقبل الأيام، فلا يرى الرؤيا إلا وتأتي كفلق الصبح، ولا يمر عليه يوم إلا ويرى رؤيا أو اثنتين أو ثلاث، أو فيما يأتي ويذر من الأفعال إذا لم يظهر له الحكم الشرعي بدليله، فكان يرى ما هو أرضى لله، لشدة تحريه لحكم الله!

قال عنه الشيخ أبو الفداء رشاد الوارفي: (وله منامات مبشرة تأتي كفلق الصبح)!

وقال عنه أبو صالح القحطاني: (وكم سمعت من كرامات هذا الولي في جهاده، وما يأتيه وما يدفع عنه، ولقد سمعت من بعض الأفاضل أنه رؤي له رؤيا - و(لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا يراها المؤمن أو ترى له) كما صح بذلك عن نبينا وحبيبنا محمد ﷺ - فعبرها أحد المعبرين أن الشيخ محمد مؤيد بالرؤى! فوالذي برأ النسمة، وفلق الحبة، إنه لربما رأى الرؤيا فجاءت كفلق الصبح، وأي كرامة إن لم تكن هي تلك؟ وأي ولاية نالها وحازها ذلك الهمام الشجاع الشهيد بإذن الله تعالى؟).



بعض رؤى الشيخ محمد:

وسأذكر منها ما يحضرني، كما حدثنا، وتحققت، منذ بداية أمره، وهي رؤى مشهورة حدثنا بها والإخوة في قيادات مؤتمر الأمة جميعا، وكما سيأتي في فهرس رؤاه الذي كتبه بنفسه في حافظة هاتفه!

رؤاه في الثورة العربية وهجرته إلى تركيا والشام:

فقد سألته أنا والشيخ سيف يوما متى بدأت معك هذه الرؤى؟

فقال: كنت أرى الرؤيا بين الفينة والأخرى، ومن مدة إلى مدة، حتى وقعنا النظام الأساسي لتأسيس (مؤتمر الأمة)، فرأيت أول رؤيا في بيتك، فتتابعت علي الرؤى!

- وكان توقيع النظام الأساسي في مقر حزب الأمة في الكويت بين ثلاثة تنظيمات آنذاك، في آخر ساعة من ليلة الجمعة ٢٦ محرم سنة ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٣ يناير سنة ٢٠٠٩م، وكان الشيخ محمد المفرح في ضيافتي، وفي

بيتي، مع بعض قيادات (حزب الأمة الإسلامي)، فلما بات تلك الليلة وأصبح قص علينا إحدى رؤاه في الثورة العربية، وكان قد رأى بأنه على سيارته – وكأنها سيارته الجيب – ومعه قيادات من حزب الأمة الإسلامي، ونحن معهم، وكان يشق طريقا وعرا في منى، حتى وصل إلى مسلخ، فإذا خمس شياه تسلخ ... إلخ.

فسأل عمن يعبرها في الكويت، فاتصل بأحد المعبرين فقال له: هذه رؤيا عظيمة من أنت؟

فقال الشيخ المفرح: عبد من عباد الله!

فقال المعبر: لا أستطيع تعبيرها حتى تخبرني من أنت، فهي رؤيا خطيرة، فهل أنت صاحب مشروع سياسي!

فلم يخبره الشيخ المفرح، ثم لما رجع إلى السعودية سأل عنها من عبرها له ولغيرها من الرؤى، وبأن هناك ثورة ستحدث خلال خمس سنين، تعم المنطقة كلها، وأول من يسقط خمسة أنظمة أو خمسة رؤساء!

ثم تتابعت الرؤى وكان يخبرنا بها أولا بأول، فتقع كما أخبرنا!

- ومن أعجبها أنه قص علينا في رمضان سنة ١٤٣٠ هـ أو ١٤٣١هـ وكنا في مكة نجتمع طوال الشهر هناك للقيام في الحرم، فرأى كأن الأمن قد استدعوه، وأخذوا يحققون معه، فوضعوا على رأسه جهازا متصلا بالكمبيوتر، لمعرفة ما يفكر فيه، فسجل الجهاز كلمة (ثورة)، وسجل التاريخ ٢٥ – ١ – ٢٠١١، وكان ذلك قبل الثورة المصرية بنحو سنة!
- ورأى الثورة اليمنية والسورية قبل حدوثهما، ورأى أنه يتم التآمر على الشعب المصري، وعلى الشعب اليمني وثورتهما، والدول التي تتورط في المؤامرة، وكل ذلك قبل وقوعهما!
- ورأى أنه يهاجر إلى تركيا ويقيم فيها، ويدخل الشام ويكون له فيه شأن، وكل ذلك حدثنا به قبل الثورة العربية، وقبل الإعلان عن (حزب الأمة الإسلامي)!

### رؤاه في مؤتمر الأمة وتنظيماته:

وقد رأى عشرات الرؤى في المؤتمر، ومن ينظم إليه، والبلدان التي تأتي منها التنظيمات، والقبائل التي تنتمي إليها القيادات!

ومن ذلك:

- زارنا في الكويت وفد من قيادات العمل الأرتيري، ولم يكن بيننا وبينهم سابق معرفة ولا موعد، وإنما جاءوا قدرا، وعرضت عليهم مشروع (مؤتمر الأمة) فوعدوا خيرا، وأنهم سيرجعون لتنظيمهم ويدرسون الأمر حين

يرجعون لوطنهم، وفي سفر قادم يخبروننا، فلما خرجوا اتصلنا بالإخوة في (حزب الأمة الإسلامي) نريد إخبارهم بالوفد الأرتيري وما دار بيننا وبينهم، فقالوا: عندنا خبر باللقاء من أمس!

فقلنا لهم: وكيف عرفتم؟

قالوا: رأى الشيخ محمد المفرح رؤيا في جمل مقطوع الرأس... إلخ، فسألوا عنها من يعبرها، فقال لهم المعبر: يأتيكم وفد من بلد عربي، رئيسه نصراني، وفي شعار دولتهم الجمل، يحملون معكم مشروعكم!

فصدقت الرؤيا فجاء الوفد الأرتيري بعدها بليلة، وقد حسموا أمرهم، وشرح الله صدورهم، قبل أن يرجعوا لبلدهم، وقرروا المشاركة في تأسيس المشروع!

وحين دخلوا علي ضحكت، فتعجبوا مما أضحك، فقلت عرفت أنكم حسمتم أمركم وقررتم المشاركة في هذا الأمر!

قالوا: وكيف عرفت؟

فقلت: رؤيا صادقة جاءت كفلق الصبح!

- ورأى رؤيا في بداية تأسيس المؤتمر مطلع سنة ٢٠٠٩م، وعبرها له بعض المعبرين، فقال له: أكثر من يأتي إلى دعوتكم ومشروعكم السياسي هم من قريش وآل البيت النبوي، فصار كلما انضم للمؤتمر تنظيم جديد، فإذا أكثر قياداته أو بعضهم من آل البيت! وكان من آخرها تنظيم من مصر، فسألنا رئيسه وهو شيخ فاضل أين يرجع نسبك؟

فضحك وقال نحن المصريين لا نعرف هذه الأمور ولا نهتم بموضوع الأصول والأنساب!

فقلت له أنا وسيف الهاجري: أما أنت فتبدو عليك ملامح علوية حسينية!

فتفاجأ وقال: كيف عرفتم؟

قلنا له: بالشكل والشبه! وكنا فعلا نجيد هذا الفن من التوسم بالملامح ومعرفة بعض الأصول!

وبعد مدة عثرنا على اسم أسرته في مصر، وإذا هي مذكورة في نقابة للأشراف على اختلاف في الاسم، هل هي الأسرة نفسها أم اسم على اسم!

وذهبت الأيام فرأى الشيخ المصري رؤيا – وكان في ضيافتنا عالم شنقيطي من آل البيت – يجيد تعبير الرؤى، فقص عليه الشيخ المصري رؤيته، فقال له الشنقيطي مباشرة: هل أنت من آل البيت؟ قال : لا أعرف! قال الرؤيا فيها أنك منهم!

- وأخبرنا مرة سنة ٢٠١٢م برؤيا فيها أن أحد من كانوا في (مؤتمر الأمة) سيتخلى عنه!

فقلت له: والله لا تغلب رؤاك رأينا فيه، والله لنجتهدن حتى لا يقع ما ذكرت، فلم ير الرجل منا إلا كل خير!

فأخذ يضحك وقال: كما ترون!

وبعد أيام دعانا ذلك الأخ، وأخذ يحذرنا من خطورة تصنيف أمريكا (مؤتمر الأمة) على قوائم الإرهاب!

وبعد مدة تحقق ما أخبرنا به الشيخ المفرح، فزرته مع الشيخ سيف مرارا للحفاظ على العلاقة به، فما ازداد إلا حذرا ونفورا خوفا من أمريكا!

وقبل وفاة الشيخ المفرح بنحو ثلاثة أشهر مررنا بالسيارة على مكان ذلك الأخ، فضحك الشيخ المفرح وقال لي وللشيخ سيف: بشروا عن فلان؟

فقلت: والله غلبت رؤاك فيه رأينا يا أبا عبد الله!

- ورأى الشيخ محمد في مطلع سنة ٢٠١٢م رؤيا وفيها أنه (يأتينا رجل مجاهد يمشي على قدميه يفتح الله عليه...)، فسأل عنها الشيخ محمد أحد المعبرين، فقال: (يأتيكم رجل مجاهد بطل، من خير أهل الأرض، يمشي على قدميه، وهو من مدينة يأكل أهلها السمك، وأجداده جاءوا من تركيا، ويرجع نسبه إلى آل البيت، ويقيم معسكراته للمجاهدين في شمال سوريا...)!

وبينما نحن في مؤتمر في فندق قونن، في منطقة تقسيم بإسطنبول، يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٤٣٣هـ – الموافق ١٧/ ٤/ ٢٠١٢م، وقد جاء ممثلو فصائل الثورة السورية كلواء الحق من حمص، وأحرار الشام، ولواء الأمة، لدراسة فكرة اتحادها، فإذا يأتي رجل يمشي على قدميه، واضعا حقيبته على كتفيه، قد أرهقه السفر، وكنا ساعتها في مقهى الفندق الخارجي ساعة الإفطار الصباحي، فدعاه الشيخ محمد حين رآه، وتوسم فيه النجابة، وأتى به إلينا أنا والشيخ سيف والشيخ حسن الدقي، ومعنا بعض الإخوة، فأخذنا نتعارف، فقلنا له، ما الذي جاء بك إلى هنا؟

فقال: سمعت بأنه هنا مؤتمر للفصائل السورية وجئت أقدم لهم تجربتي وخبرتي في ليبيا!

فقلنا: ومن أنت؟

فقال: أنا فلان فذكر اسمه فإذا هو أحد أبطال الثورة الليبية نعرف اسمه ولا نعرف شخصه!

فسلمنا عليه مرة أخرى!

فتذكرت الرؤيا التي رآه الشيخ محمد قبل مدة، وتذكرت أنه جاءنا ماشيا على قدميه مرهقا!

فقلت: من أين أتيت؟

قال: من شقة هنا لصديقي!

فقلت: لا لا! أقصد من أين أتيت قبل إسطنبول!

قال: أتيت من سوريا، كنت فيها منذ ستة أشهر تقريبا، لم أترك منطقة إلا زرتها، لمساعدة الشعب السوري، الذي يقتل ليل نهار، ولا يجد من يدافع عنه أحد!

فقلت: ولماذا جئت إلى الفندق ماشيا؟

فقال: لم يبق معي مال منذ مدة وقطعت مسافات طويلة بالمشي!

فقلت: وفي أي مدينة في ليبيا تعيش!

قال: في طرابلس!

قلت: على ساحلها أم داخلها؟

قال: بل على الساحل!

قلت: وما أشهر طعامكم؟

قال: طبعا السمك!

قلت: هل أسرتك من آل البيت؟

قال: بلا جدال نحن من آل البيت!

قلت: وأين كنتم قبل أن تأتوا إلى ليبيا؟

قال: نحن ليبيون أبا عن جد!

قلت: وقبل ذلك؟

قال: قديما كان أحد أجدادي يعيش هنا في تركيا!

فأخذنا نضحك أنا والشيخ محمد المفرح والشيخ سيف فعجب منا ما سبب الضحك!

فقلت له: كنا ننتظر قدومك!

فقال: ماذا؟ كيف؟

فأخبرناه قصة الرؤيا وكاد يبكي!

فقال لنا: السوريون مظلومون مستضعفون تخلى عنهم العالم، ولم يجدوا من يقف معهم، وقد بذلت نفسي لهم، ويحتاجون فقط إلى المهارات والتدريب، فالقوة التي أمامهم والدعم الروسي والإيراني لا يمكن مواجهتها إلا إذا تم تطوير قدرات الثوار، والثورة تحتاج ما بين خمس سنوات إلى سبع سنوات لتحقق النصر!

وقام بالفعل بإعداد المعسكرات في شمال سوريا، ولم يمض وقت إلا وقد تخرج على يده آلاف من أبطال الثورة السورية وقياداتها الفذة، ولم يخرج من سوريا إلا بعد تعرضه لمرض خطير في ظهره، وبعد أن تجاوزت الثورة مرحلة الخطر! وأجرى العملية في إسطنبول بعد أن جلس سنة ونصف في سوريا، وودعناه بعد خروجه من المستشفى، فرجع إلى ليبيا يمشي على قدميه، وحقيبته على كتفيه، كما رأيناه أول مرة حين جاءنا في الفندق، لنصرة إخوانه في سوريا، ليحكي قصة تضحيات الأمة التاريخية، في ملحمة الثورة العربية!

- وقد أخبرني الشيخ محمد برؤيا قبل وفاته، وهو في المستشفى على فراش الموت، وعنده الشيخ سيف الهاجري وبعض الإخوة، فعبرها له أحد الإخوة في ساعتها، فقال له: إن صدقت الرؤيا فسيأتي للشيخ حاكم ولمؤتمر الأمة رسالة من بعض الجماعات المشهورة – وذكر اسمها – يرغبون بالتعاون!

فوالله ما هي إلا أيام حتى جاءني بعد وفاة الشيخ محمد بأربعة أيام من يحمل الرسالة من تلك الجماعة!

رؤاه في حزب الأمة الإسلامي:

وقد كانت كثير من رؤى الشيخ المفرح في (حزب الأمة الإسلامي) ومن ينضم إليه ومن يقف ضده!

- وقد رأى رؤيا قبل حج سنة ١٤٣١هـ بأشهر، وكأن هاتفا يهتف ويقول: عمرو بن ود! فسأل عنها من عبرها فقال له: تلتقون بهذا الحج سنة ١٤٣١هـ برجل همته كهمة أبي مسلم صاحب أبي جعفر المنصور العباسي، ينصر هذا الأمر معكم! وتحقق ما رأى فكان اللقاء بينهم وبين ذلك الرجل في الحج على غير موعد!
- ورأى رؤيا – بعد تقديم الحزب رؤيته الإصلاحية للديوان الملكي في الرياض بيوم – وذلك يوم الجمعة ليلة السبت ٧/ ٣/ ١٤٣٢ هـ – ١١/ ٢/ ٢٠١١م، وفيها (أن زوجته أنجبت له ولدا، فتكلم في المهد، وقال له: اخرج! فقال الشيخ محمد في الرؤيا لزوجته: كيف يتكلم وهو طفل في المهد؟ فقالت له: نعم يتكلم، ولماذا لا يتكلم!).

فلما أصبح أخبر زوجته بالرؤيا، فأشارت عليه أن يخرج من المملكة، فاستخار الله، وعزم أمره، فتوكل على الله، واتجه نحو الحدود الأردنية، ولم يخبر أحدا!

وكان الشيخ المفرح بعد هجرته يقص تلك الرؤيا على إخوانه، كما أخبر عنه الشيخ المهندس محمود فتحي رئيس حزب الفضيلة المصري بقوله: (قص علي حينها كيف كانت رحلة تأسيسه العمل السياسي وإعلان

(حزب الأمة الإسلامي)، ثم رحلة هجرته إلى تركيا، وما وجد فيها، وأنه خرج من بيته على إثر رؤيا رآها تحثه على الخروج من بلاده، كما كان رحمه الله تعالى كثيرا ما يقص علينا رؤاه والتي كنت لا أنتبه لها في البداية، وكنت أقول إن الشيخ يوليهما اهتماما زائدا حتى حدثني رحمه الله في جمع من إخواني برؤيا رآها لي أولها بعضهم، فوقعت كما رآها، ثم تكرر هذا الأمر معي في عدد من الرؤى، تكاد تقع مثل فلق الصبح، ولعلي أقص بعضها يومًا).

## رؤاه في جهاده في سوريا:

- وأرسل لي الشيخ محمد رحمه الله رؤيا يوم الثلاثاء ٢٥/ ١٢/ ٢٠١١م وفيها (رأيت أني أقرأ القرآن الكريم، ولما وصلت الآية الكريمة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾ استيقظت)!

وهي الفترة التي عزم فيها على الذهاب إلى سوريا مع أبي أشرف محمد العثامين، كما سيأتي خبرهما في سيرة حياته وجهاده في سوريا!

- وأخبرني وهو في شقته بمنطقة العمرانية أواخر سنة ٢٠١١م، وكنت معه في تلك الأيام، بأنه رأى (وكأنه في جدة، ودخل مبنى سوق كبير يعرفه، وأتاه صاحب أسواق يدعى الشبلي، وأراد منه محمد أن يبني له الدور الثاني في عمارة...)، وبعد الرؤيا بأيام، فإذا يتصل بي أحدهم عبر الإيميل، ويقول لي بأنه عراقي قادم من سوريا بالبر، ومعه رسالة مهمة خاصة، ويريد اللقاء بي، فذهبت أنا والشيخ محمد للقائه، وتواعدنا في منطقة تقسيم بإسطنبول، فألفناه من أول لقاء وأحببناه، وتناقشنا في شئون الأمة، وكان يعرف نفسه بأبي محمد، فلما أردنا توديعه قلت: لو أعطيتني هاتفك، أفضل من الإيميل، فأعطانيه، فقلت: وما اسمك حتى أحفظ رقمك فقال: الشبلي! ودارت الأيام فإذا هو بعد سنتين يرافق الشيخ محمد في سوريا، ويشترك معه في الإعداد والبناء لطور من أطوار العمل الذي أسسه الشيخ محمد هناك!
- وأرسل لي يوم الأحد ٣/ ٢/ ٢٠١٣م برؤيا قال فيها: (رأيت أني في التوسعة العثمانية - في الحرم المكي - وكانت مكتظة بالرجال العباد، فوجدت بينهم فرجة، ثم أخرجت من جيبي تولة طيب، وبدأت بتطييبهم، فسألوني عن اسم الطيب، فقلت: (الحجر الأسود)، ثم ذهبت إلى مكان خلف التوسعة العثمانية، لأداء الصلاة، ثم إذا بي مرة أخرى في التوسعة العثمانية، وعلى يميني أبناء الشيخ المحيسني، وأحدهم يقول بأنه معجب في لباسي، وكنت لابسا مشلحا، وطاقيتي الخضراء، وبدأت الصلاة، ومشلح أحدهم كان في موضع صلاتي، وكان لونه أسود) وفيها أيضا: (أبناء المحيسني الذين في الرؤيا عبد الله وعزام، والمشلح الذي صليت عليه كان لعزام).

وذلك كله قبل ذهاب الشيخ عبد الله المحيسني إلى الشام بنحو ثمانية أشهر، فلم يذهب عبد الله المحيسني إلا بتاريخ ٢/ ١٠/ ٢٠١٣م!

- وقد رأى - بعد تأسيس الهيئة الاستشارية لدعم الثورة السورية وكان هو رئيسها - وذلك في مطلع سنة ٢٠١٢م - (أنه يتلو قول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾..)، فسأل عنها من عبرها، فقال له بأنكم تأتيكم أموال الأمة من كل مكان، وتضعونها في مواضعها!

وكان قبل ذلك يتحرج من هذا الأمر، فنشط له وتحقق ما رأى، وصارت تأتيه الزكوات والتبرعات من كل بلد لدعم الشعب السوري، وكان يشرف هو على توجيهها!

## رؤاه الخاصة به وبأصحابه وغيرهم:

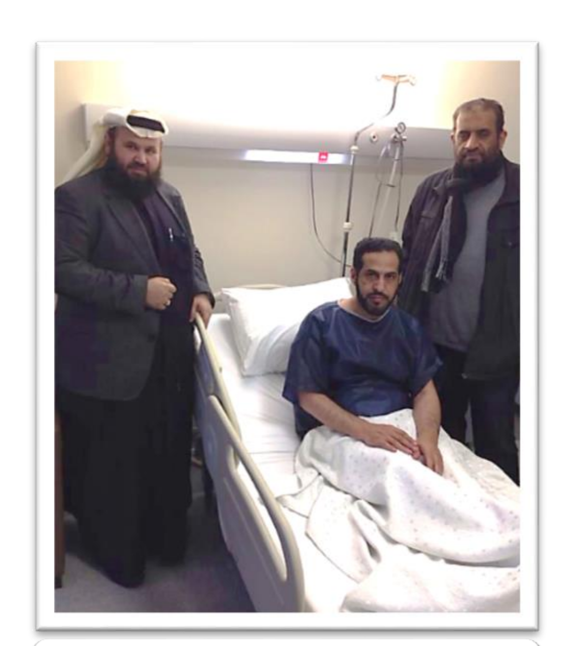
- ومن أعجب ما وقع لي معه في صيف سنة ٢٠١٣م أنه قال لي: ضروري تكون معنا بداية السنة القادمة شهر يناير، وتأخذ إجازة من العمل لمدة سنة أو ستة أشهر، وتتفرغ لمهام المؤتمر هنا، فنحن في حاجتك، وتستأجر شقة، فقلت له: لا أستطيع البقاء في تركيا، فأعمالي في الكويت كثيرة، وأنا آتي لكم باستمرار، كل شهر مرة، أو حسب حاجتكم، ثم أخذ يكرر علي وعلى سيف ضرورة تجهيز شقة لي من بداية السنة القادمة، وكان يقول: الشيخ حاكم سيكون معنا!

فقلت له: هل رأيت رؤيا في ذلك؟

فضحك وهز رأسه بنعم!

فقلت: ما قدر الله سيكون.

ثم ذهبت الأيام ونسيت الموضوع، وفي شهر سبتمبر سنة ٢٠١٣م زرت عيادة لعلاج الأذن في إسطنبول لفحص أذني التي كنت أعاني منها منذ سنوات - وكان الطبيب الاستشاري في مستشفى الصباح في الكويت قد قرر لها عملية منذ ٢٠١١م، ولم يصل لي الدور - فقال لي الطبيب التركي: تحتاج عملية صغيرة لرقع الطبلة التي تآكلت، وتحتاج إلى موعد، فرجعت إلى الكويت، فاتصل الإخوة يريدون تحديد موعد للعملية، فقلت: في بداية شهر يناير سنة ٢٠١٤م حيث يصادف إجازة العمل عندنا، ولدي عشرة أيام أستطيع فيها إجراء العملية وأرجع للكويت، ولما دخلت المستشفى على الموعد قلت للطبيب: كم تستغرق العملية؟ فقال: نصف ساعة، ثم أيام وترجع للكويت!



الشيخ محمد المفرح والشيخ حسن الدقي مع د. حاكم في المستشفى بعد إجرائه العملية يناير ٢٠١٤م

فأجرى العملية فاستغرقت معه نحو ساعتين، وبعدها قال لي الطبيب: العملية كانت صعبة، وعلى خلاف ما توقعنا لها، وتحتاج للجلوس في تركيا على الأقل شهر، لا تستطيع السفر في الطائرة، فأرسلت إلى عملي التقرير الطبي، ثم لما زرته بعد شهر، وفحص الأذن قال لي: تحتاج إلى شهر آخر أو شهرين، لا تستطيع السفر بالطائرة!

فاضطررت لطلب إجازة طبية للفصل كله، ولم أرجع للتدريس إلا في بداية العام الدراسي الذي يليه، وجلست كل المدة تقريبا في تركيا، واستأجرت شقة كما رأى ذلك الشيخ محمد!

- وفي شهر ٣ سنة ٢٠١٤م رأى رؤيا أخبرنا بها جميعا أنا والشيخ سيف والشيخ ارشيد الهاجري، وعبرها أحدهم بأن الشيخ محمد العريفي سيعتقل بعد الحج، فقال لي الشيخ المفرح: شيخنا إذا كنت تعرف الشيخ العريفي فأخبره!

فقلت له: ليس بيني وبينه علاقة ولا تواصل، وماذا أقول له؟ لن يأخذ الأمر على محمل الجد!

ثم اتصلت بأحد المشايخ في الرياض بتاريخ ٨/ ٣ وسألته عن العريفي فقال: بخير!

فقلت: الحمد لله، أحببت الاطمئنان عليه!

فقال: هل هناك شيء وقع أو تريد أن أخبره به!

فقلت: لا لا! وإنما رأى الشيخ محمد المفرح رؤيا وعبرها أحدهم بأن العريفي سيعتقل بعد الحج!

فقال: هل تحب أخبره بها!

فقلت: لا لن تمنع قضاء الله وقدره!

ولم ينته الحج – بعد تلك الرؤيا بخمسة أشهر تقريبا – حتى اعتقل الشيخ العريفي بعده مباشرة!

وقد أرسلت لصاحب العريفي – الذي أخبرته بالرؤيا سابقا – رسالة بتاريخ ١٧/ ١٠/ ٢٠١٤ أقول فيها: (هل تذكر تأويل رؤيا الشيخ محمد المفرح قبل أشهر بأن العريفي سيعتقل بعد الحج؟).

فرد علي: (لا إله إلا الله)!

- وفي ٥/ ٩/ ٢٠١٤م خرجنا من شقة الشيخ محمد أنا والشيخ سيف الهاجري وودعناه نريد الذهاب إلى المطار للرجوع إلى الكويت، فقال لنا: أجلوا سفركم؟

فقلنا: ولماذا؟

فقال: لن تسافروا!

فقلت: لا نستطيع التأخير!

فقال: أنا نصحتكم وأنتم على راحتكم!

فأوصلنا إلى مطار أتاتورك وودعنا كعادته، فلما أردنا أخذ أرقام مقاعد الطائرة، قالوا لنا: عليكم غرامة تأخير، ادفعوا الغرامة أولا، فذهبنا إلى مكتب الغرامات، فإذا المسافرون بالدور على المكتب بالعشرات، وقد بقي على إقلاع الطائرة نحو ثلاث ساعات! فوقفنا معهم، فلم ينتصف الدور حتى طارت الطائرة، فقلنا نكمل الإجراءات على الأقل وندفع الغرامة ونبحث عن طائرة أخرى، فلما وصل دورنا، قال الموظف: لا يمكن لكم دفع الغرامة إلا إذا كان معكم تذكرة المغادرة، وهذه التذكرة التي معكم لم تعد تنفعكم، لأن الطائرة قد طارت! فتحتاجون قطع واحدة جديدة لدفع الغرامة!

فرجعنا بالتاكسي إلى الشيخ محمد الساعة الواحدة ليلا، فلما رآنا أخذ يضحك ويقول: ألم أنصحكم بتأخير السفر!

- وأرسل لي بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ٢٠١٣م رؤيا وفيها (رأيت أنني أدخل بيت مبني من الحجر الأسود، وكان تحت البيت نار عظيمة، كنت أنظر إليها من فتحات دائرية مغطاة بالزجاج، وبعد ذلك فتحت بابا كان موجودا في الطرف وإذا به حمام عربي، فقلت لعل هذا المبنى يصلح أن يكون حمام بلدي)!
- ورأى رؤيا بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٣م نصها: (رأيت أنني أدخل مسجد رسول الله ﷺ، وصليت على منبر رسول الله ستة ركعات مثنى مثنى، وبعدها رأيت حارس المنبر ومعه طفل وكدت أن أنسى عمامتي، وكانت على الأرض فأخذتها وانطلقت باتجاه محراب رسول الله، ووجدت على يمين المحراب رجل من أهل الجزيرة كبير السن، نائما على سرير، وسألني: ماذا تريد؟ قلت: الصلاة، فقال: استعجل قبل أن يأتي الحراس، وصليت ركعتين، وأثناء الصلاة كان رجل أسود أفريقي كفيف البصر في قبلة المحراب، وكان يتحسس أرضية المحراب وأنا أصلي)!
- وأرسل لي رؤيا بتاريخ ١٥/ ١١/ ٢٠١٣م يقول فيها: (رأيت أنني أدخل صحن الكعبة من جهة المروة، وقد تغيرت ملامح بناء الحرم، فطفت بالكعبة وفي الشوط الثالث، وقد بنيت خمسة جدر بمحاذاة الكعبة، بين كل جدار وجدار ممر يتسع لشخص واحد، وعند مدخل أقرب جدار إلى الكعبة رأيت أختي صالحة)!

وهذا هو حال المسجد الحرام، بعد سنة، حيث كانت تجري فيه الإصلاحات عندما توفي الشيخ محمد، وصلي عليه فيه!

- ورأى قبيل هجرته أو بعدها بوقت قصير أنه زار الشيخ محمد قطب وهو على فراش الموت، ليسلم عليه، فلما رآه الشيخ قطب استيقظ فقال له: هل أنت دكتور؟ فقال المفرح: لا! فقال قطب: ستكون الدكتور! ثم قال: هل تزوجت؟ فأجابه المفرح - ونسيت ماذا قال- فقال قطب: سوف أزوجك ابنتي!

وقد عبرها المعبرون في شأن أحوال الجماعات الدعوية وما يحدث لها، وتحققت الرؤيا بعد ثلاث سنوات أيام وفاة الشيخ محمد قطب!

- وأرسل لي بتاريخ ١٢/ ١١/ ٢٠١٣ م رؤيا نصها: (رأيت جمل علي رضي الله عنه، ورأيت جمل عمر رضي الله، وكان من الضخامة والقوة حتى أنه يصبر عن الطعام ٦ أشهر)!
- وأرسل لي بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ٢٠١٣م هذه الرسالة: (بحسبك عساه قد يكون قريبا: (عمر للمعمريين إماما) مقطع من رؤيا رأيتها اليوم)!

وقد قصها علينا مرارا وهي رؤيا ملحمية تبشر بعودة الخلافة الراشدة على سنن عمر ﵁ بعد انتهاء عصر الطغاة!

## رؤاه في الأحكام الشرعية:

وقد كان رأى النبي ﷺ مرارا يأمره أو ينهاه أو ينبهه، وكلها فيما هو مشروع، فيطمئن لها، ويعمل بها في خاص نفسه!

- وقد كان رحمه الله يتكلف الأخذ بالعزيمة في الأحكام الشرعية، حتى رأى رؤيا - وهو مستخف عن الأمن التركي - فيها أنه يستفتيني في مسألة - لا أدري أهي الجمع بين الصلوات في الحضر لمثل حالته، أو الإيماء وترك تكلف السجود بعد تعرضه للحريق - فقيل له في الرؤيا: لا حرج عليك!

ثم لما زرته وكان مستخفيا أخبرني بالرؤيا، فقلت له: هذا هو القول الصحيح، فقال: أعلم إلا إنه لم تطب نفسي لفعله حتى رأيت الرؤيا!

## رؤاه في المستشفى في وفاته:

- وقد أخبرني أيضا قبل وفاته وهو في المستشفى على فراش الموت، وعنده الشيخ سيف الهاجري وبعض الإخوة، بأنه رأى أنه (يدخل السعودية على رنج روفر أسود موديل ٢٠١٤م، بلا جوازات ولا أوراق ولا حدود.. وكان

على الحدود اللواء معجب القحطاني وهو صديق لوالده رحمهما الله)، وأنه يستظل بظلال القبة النبوية الشريفة - كما رأى قبلها رؤيا بأنه في الحرم المكي جالس والناس يصلون، وكذا رأى أنه زار قبر أم المؤمنين خديجة في مكة وسلم عليها، ودعا لها ثم ذهب إلى منى - وأنه يقول في الرؤيا السابقة لقريب له: (نحن بلغنا الخمسين ونحن الآن نتزين للقاء ربنا)، ويقول لقريبه أيضا ثبت لي يقينا (أن زواج المسيار الذي يفعله بعض الناس حرام وهو كالمتعة)، وكأن قريبه طالب علم يرى جوازه، وفهمت من شرحه للرؤيا أنه أراد زواج المسيار الذي يسافر أحدهم لبلد لمدة أيام ويتزوج للاستمتاع وكلا الطرفين يعلم أن العلاقة مؤقتة بمدة السفر!

فسألني عن تأويل رؤيا الرنج روفر - وقد وقع في نفسي أنها قد تكون وفاته قبل نهاية ٢٠١٤م، وكأنه فهم هو ذلك أيضا - فقلت له: الظاهر منها يا أبا عبد الله أنك ستدخل السعودية قبل نهاية هذا العام، بكرامة وبحدث عجيب - من اسم معجب القحطاني - وسيكون للحكومات يد في تسهيل ذلك لك!

فأصابت الرؤيا في كلا الأمرين بالخبر القدري والحكم الشرعي معا!

فلم تمض سنة ٢٠١٤م إلا وقد دخل السعودية بعد وفاته بلا أوراق وبلا حدود، يحمله أعداؤه الذين أرادوا اغتياله، ليصلى عليه في الحرم المكي، ثم يدفن بمكة، وهي البلد الذي فيه قبر خديجة!

ولم يكن رحمه الله قد أوصى بذلك، بل كانت زوجته معه، وكانت ترفض نقله ودفنه خارج تركيا - وهي المخولة قانونيا بالموافقة والرفض - إلى آخر يوم، حيث وافقت على ذلك عن طيب خاطر، بعد أن قال لها الإخوة بأن أولياءه أحق بمباشرة هذا الأمر، فكان الأمر كما رأى الشيخ محمد، لا كما أوصى!

وقد نشرت في حسابي خبر رؤياه تلك يوم وفاته، وقبل نقله من تركيا، ولم يكن أحد يتوقع أن زوجته ستوافق على نقله، ولا توقع أحد بأنه سيصلى عليه في الحرم!

وخشي بعض الإخوة أني استعجلت في نشر الرؤيا، فقد لا تتحقق ولا ينقل إلى مكة، أو ينقل ولا يصلى عليه في الحرم كما رأى، فلم ألتفت إليهم، لما علمته من أحواله وبشارات الله له، وأنه سيصلى عليه في الحرم كما أراد الله، لا كما كان يخطط له أعداؤه!

وكذا أصابت رؤياه تلك في الحكم الشرعي، فلا يشك فقيه أنار الله بصيرته في حرمة زواج المسيار الذي يفعله بعضهم بالسفر قاصدا الزواج والاستمتاع بضعة أيام، ثم يعود لبلده، ويطلق المرأة، وهي تعلم أن العلاقة بينهما مؤقتة بمدة السفر، إذ المعروف عرفا كالمشروط شرطا!

- وأخبرنا برؤيا بعد عملية اغتياله الأخيرة بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠١٤م، وكانت تركيا ترفض منحه إقامة، فرأى أنه يسمح له بالإقامة من خلال منح الإقامة لزوجته، وبينما نحن نتحدث في رؤياه يوم ١٤/ ٦/ ٢٠١٤م، إذا الشيخ حسن الدقي يرسل لنا رسالة (بشرى... وردت رسالة من وزير الداخلية التركية، موافقة على لجوء الشيخ

محمد، وسأبحث التفاصيل مع المحامي)، فرددت عليه مباشرة أنا والشيخ سيف: (الله أكبر كنا ننتظر تأويل الرؤيا قريبا، الآن كنا نأولها، وجاءت رسالتك ونحن في تأويلها).

• وكانت آخر رؤيا قصها علي قبل دخوله العناية المركزة، وكان عنده الشيخ ارشيد الهاجري وأرسلها لي الشيخ ارشيد بهذا النص (حدثني الشيخ محمد المفرح قال: رأيت فيما يرى النائم (أنني ركبت مع أبي في سيارة ومشينا، ثم رأيت امرأة ولدت جنينا، وبعدها اضطرب البحر الأحمر، وأقبل على جزيرة العرب كالطوفان لا يرده شي) ثم استيقظت فزعا.

وعبرها له الشيخ ارشيد الهاجري بأنه سيكون أول أهله لحوقا بأبيه، ثم بعد أقل من أربعين يوما، وهي مدة نفاس المرأة الوالد يحدث أمر عظيم سقوط نظام أو وفاة ملك وحدوث ثورة في مصر!

ثم قلت للشيخ ارشيد – بعد وفاة الشيخ محمد بنحو عشرين يوما – وذلك يوم ٤/ ١/ ٢٠١٤م بأن الملك عبد الله دخل المستشفى، وقد يتوفى وتصدق الرؤيا، فمنذ قصها علينا محمد لها نحو شهر، وباقي عشرة أيام تقريبا!

فقال لي: لا ليس من تاريخ الرؤيا، بل الأربعون يوما هي من وفاة الشيخ محمد يوم ١٧ / ١٢/ ٢٠١٤م إلى ٢٥/ ١/ ٢٠١٥م تاريخ ذكرى الثورة المصرية، ويأتي بعدها الطوفان!

وكنت قد أرسلت الرؤيا والتعبير للشيخين حسن الدقي ومحمود فتحي بتاريخ ٥/ ١/ ٢٠١٥م، وقال لي الشيخ محمود: هل أقصها على الناس!

فقلت: نعم!

ثم تحققت بوادر الرؤيا يوم ٢٣/ ١/ ٢٠١٥م، حيث توفي الملك عبد الله بن عبد العزيز، واستولى الحوثي على قصر الرئاسة وسقط هادي منصور وحكومته، في يوم واحد، بعد أقل من أربعين يوما من وفاة الشيخ محمد، وكانت وفاته رحمه الله يوم ١٧/ ١٢/ ٢٠١٤م، وبقي بعدها الطوفان من البحر الأحمر، حيث تكتمل الأربعون يوما بعد يومين من ذكرى الثورة المصرية!

### فهرس رؤاه كما كتبه بنفسه:

وقد كان رحمه الله بعد رجوعه من سوريا ٢٩/ ٦/ ٢٠١٣م، ولكثرة رؤاه صار يسجل عناوينها في الملاحظات في هاتفه، وهذه بعضها كما دونها هو، ويبدو أن التواريخ هنا هي تواريخ التدوين في حافظة الهاتف، لا تواريخ رؤيته لها، وبعضها مجموعة رؤى في عنوان واحد، كما أنه أطال وفصل في بعضها وهي فيما يبدو التي كان يخشى ألا يحفظها بمجرد العنوان، وعامة هذه الرؤى قصها علينا، وكثير من الرؤى التي قصها ليست موجودة هنا، ويلاحظ أنه توقف عن التدوين بعد دخوله المستشفى بأسبوع:

عناوين الرؤى:

- بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٣ (بحسبك عساه قد يكون قريبا، عمر للمعمريين إماما).[١]
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (الأطفال والحريق ود. حاكم وعبد الله عكاش وأوردوغان).[٢]
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (الحرم والوضوء تحت الأرض ورؤية موج البحر والسعوديون وما سيحصل لهم والعودة للحرم مرة أخرى).[٣]
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (الصلاة في مسجد رسول الله على منبره ٦ ركعات وفي محرابه ركعتين).[٤]
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (العزيزية والنوم فيها والهلكبتر وولد خالد الفيصل).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (الرشاش والجيش).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (خالد عبد الفتاح والفول والمصرية).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (كيف وجدت زبرا أم أقطا وتمرا أم قرشيا وصخرا).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (سيف عمر والشيعة).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (د. حاكم والرحلة مباشر للكويت).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (الطائرة والشنطة والبوفيه والطبق الطائر).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (د. حاكم واجتماعه بناس معروفين).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (سوق الباشا وتجارة الكمبيوتر وشارع خالد بن الوليد والسوق الذي فيه اعتصام وخمر).
- بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ (عبد الغني والمغرب والورد).
- بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠١٣ (البيت الحجر والنار من تحته).[٥]
- بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠١٣ (الصور والإيرانيات ثنتين زوجناهم والثالثة في الطريق).
- بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠١٣ (الزيدي والتاج).[٦]

---

(١) وهي رؤيا ملحمية طويلة قصها علينا مرارا ومختصرها (أنني وإياه ذهبنا إلى مصر، ثم انتهينا إلى السعودية أو إلى الحدود، ووجدنا مسجدا، ووجدنا شباب الصحوة يوزعون مناشير، وصلى محمد عند باب للمسجد، وصليت أنا عند باب آخر له، وسمع محمد من يقول له: بحسبك أن يكون عمر للمعمريين إماما)، وقد عبرها أهل التأويل.

(٢) وهي رؤيا قصها علينا وعبرها أهل التأويل ووقعت.

(٣) قصها علينا وهي رؤيا ملحمية.

(٤) أرسلها لي وقد ذكرت نصها قبل هذا الفهرس.

(٥) أرسلها لي وسبق ذكرها بالتفصيل.

(٦) وقد وقعت بعد سبعة أشهر حيث تقدم الحوثي إلى صنعاء ولبس التاج!

- بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ٢٠١٣ (أجناد مصر).

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (النار في الفرن والحطب وأنابيب الغاز الثلاث).

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (الطائرات الأمريكية والصورة).

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (الإعدام والفصيل وخالد عبد الفتاح والشاشة والشيخ... والمجون).

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (الموكب الأول سيارة مرسيدس ومرافقين والموكب الثاني سيارات عادية).

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (حسن والشباب والإعدام).

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (أبو حفص والحدود مع إسرائيل والفنادق والباص السياحي ومحاولة الدخول لزيارة الأقصى).(١)

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (محاضرة كنت ألقيها عن الحج وكانت منقولة عبر الفضائيات).

- بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠١٤ (دخولي بسيارتي إلى المدينة في الشمال السعودي ورؤيتي للفتاة وأبيها والسحر والجدار الطيني والعملة المعدنية التي أعطيتها فتاة صغيرة والسفر البلاستيكية).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (داعش والطائرتين والفارس).(٢)

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (قبر خالتي والساحة وقبر صديق أبي وأمي توصي عليه).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (الجبعة والساعة ودخول سوريا).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (لا إله إلا الله والصوم والصلاة).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (د. حاكم وباكستان والناس وحجاج والنشيد والقرآن).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (سعيد وفواتير التلفون ونجران ومبلغ المئة ألف والمليونين ومئة وثمانون ألف وبقائي في الدار).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (أنقرة).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (السلاح وسعد).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (بريطانيا).(٣)

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (الخطوط وبطاقة الفرسان).

---

(١) قصها علينا ووقعت بعد سبعة أشهر بأحداث حرب إسرائل على غزة في رمضان!

(٢) قصها علينا قبل الحملة الدولية على تنظيم الدولة بعشرة أشهر وقد وقعت!

(٣) قصها علينا وفيه أن بريطانيا هي وراء الضغط على تركيا في موضوع إقامته وقد عبرها أهل التأويل ثم أخبرنا بعض المسئولين الأتراك بأن بريطانيا فعلا لها يد في الضغط لإخراج محمد من تركيا وعدم منحه إقامة وربما كان بترتيب سعودي!

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (الطوفان والكعبة).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (حاكم والمستشفى).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (حاكم وسيف وطلحة).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (بيت أولاد عمي والأسطبل).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (البنك البريطاني).

- بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠١٤ (الفرقة الموسيقية والعراقي والمقامات).

- بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤ (أحمد ... والسائق الهندي).

- بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤ (حاكم وسيف والمسجد).

- بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤ (عقد الألماس والحلق بثلاث مئة ريال).

- بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤ (أبو الفاروق وحسان والشايب يأخذ الخبز والمرأة تعرض عملة الأردن والسحور).

- بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤ (أبو عاصم والعسيري والمسجد والصلاة على النبي ومحمود وأبو دانيال والتريلة والنظام السوري).

- بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤ (الخروف الأبيض).

- بتاريخ ٨/ ٣/ ٢٠١٤ (السحر وأنني أسحر).

- بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠١٤ (الحرم والصلاة خلف علي وبندر ولد عمي).

- بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠١٤ (المجلس و٦٧ دينار و٥ تكفي وجبة للسعوديين).

- بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠١٤ (العراق والسعودية وما بينهما سيكون أول حكومة تسقط).[١]

- بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠١٤ (القطريين والسيارة والتصوير ود حاكم والجيب وذهابي معهم).

- بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠١٤ (سيف ود. حاكم والشيخ حسن والحرم والقطار).

- بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠١٤ (الرياض وطريق الملك فهد والمنطقة العسكرية والجوال وأخي عبد الرحمن وهو يدخن والأثاث).

بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠١٤ (الضيوف وعبد الرحمن وذبيحة وحدة ما تكفيهم والثلاث ذبايح).

بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ (أئمة الحرم والعبيكان وطفلهم وليس عندي شيء لكي أدفع به عن نفسي).

بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ (التركي وإيقاظي للصلاة وصالح العبيكان والمجلس العربي).

بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ (أبو الفاروق والطيران والبراميل والشباب والكورة).

---

(١) وقد قصها علينا وسقطت حكومة المالكي بعد هذه الرؤيا بنحو ستة أشهر.

بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ (العجوز اليمنية والطيب والورد والعود وعودتي لها مرة أخرى ورؤيتي لبناتها القبيحات ورجل يمني أدخلني عليهم والطقوم في الخارج والتخوف واضح علي).

بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ (بدر والفوازان وأبو الوليد وأبي والمباحث وناصر القضيعي والمطعم وشريكه ابن غانم).

بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ (الشاحنة التريلة وولد عمي عبد الرحمن والمحلات ومساحتها ٦٠٠٠ متر والإيجار ٥٠ ألف والعقد ١٠ سنوات وأنها تصلح تكون مجلس سيرجع قيمته).

بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ (أنني أكتب وصيتي بدون الدين الذي علي).

بتاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠١٤ (الشاحنة اللوري والجنائز وزوج أمي والحرم والعلوي زوجها).

بتاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠١٤ (جدي لأمي والفاكهة وسعد والعشرين ليرة والسوق والبرتقال والموز الكيلو بمئة ومحمود والشيخ عنده في الدور الثالث ثم خرجت ورأيت سيارة فيها فواكه غريبة ثم وصل العبيد مسلحين وأحاطوا بالسيارة وضربني أحدهم بالخلف فغادرت المكان ثم قرأوا بيان وحكموا عليهم بالاستبعاد إلى الحدود).

بتاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠١٤ (أحمد العبيكان وخروجي من بيتهم وحذائي تركته لهم).

بتاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠١٤ (سعد فتاح وسوريا وهو يحاول مرافقتي ودخولي للمبنى وإغلاقهم له وخروجه من فرجه كانت في السور ونجاتي منهم قبل أن يحاصروني).

بتاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠١٤ (ولد عمي التقيته في صالة فندق قديم وسط مدينة وكان يرغب في إقامة زواجه بابنتي وهو خالها في هذا الفندق فاقترحت أن يكون في فندق أفضل ومكان أحسن).

بتاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠١٤ (أم... وأخوها ... يحاول الإصلاح بيننا ولكني أخذت أموال لي كانت عندها في غرفتها).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (بيت حسن مختار والبرمات).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (شارع الوطن والرجل و١٥٠ ألف تريلة والأرض ١ ك ٢ يبنى عليها مجمع).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (الهنداوية والمخابز الثلاثة والزحمة والحجاج الذين كانوا ينامون في الطرقات وبيت لنا قديم وأخواتي داخله وفي يدي ورقة قديمة كنت آكل منها وأخذتها هالة وأكلت منها بعد ما قلت أنا مسوي رجيم وأحد أبنائي كان في دورة المياه).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (أم ... والبنت القصيرة صغيرة السن ورؤيتي ...).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (لحيتي وشعري والصبغة).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (المرأة وقراءة الكف).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (عيال العبيكان وقصة الأسهم والقسم والذي رفع سبع وأنزل سبع أن يدونها ثم أشهدتهم على القسم).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (الطائرة الهلكبتر وهي تطلق الرصاص ورجل يسب بالسوري وأنا أحاول الهرب منه وبعدها أتت مركبة فضائية ورفعت مثل المخدة عن وجهي إذا أرى مذنب وأمسكت حجرة منه وإذا أنا داخل فيه حتى أخذني إلى مكان لا يوجد به أحد غيري).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (المقر والمحلات فتحت تحته وكأننا في العيد ثم انتقلت إلى مكة وتطيبت ودعاني رجل أعور باسمي وسلمت عليه وأقيمت الصلاة وإذا بالأفارقة يملئون الصحن وإمام الحرم ابن حميد وفاتتني ركعة من العشاء ثم غيرت مكاني ورأيت نساء إيرانيات ثم أتيت بالركعة التي فاتتني وكان على السجادة حبات بامية صغيرة وأنا أصلي وإذا بالسديس يصلي الوتر ويدعو ويقول معتذرا للدكتور حاكم من أجل صلاته وزكاته فقلت في نفسي أراد الله أن يرفع ذكر حاكم وبعده التقيت السديس وكان يريد أن يبرر فقلت فلسطين أليست قضية كل مسلم؟ قال: بلى، فقلت له: نحتاجك تخطب في المسجد الأقصى جهز نفسك).[1]

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (رجل صحفي من اليمن يريد أن يعمل معي تحقيق صحفي وكان بيده شيشة وكان عندي رجل من أهل مصر فأقيمت الصلاة في الحرم فقلت ندرك أولا الصلاة جماعة واحتاجا هما الوضوء وأنا أردت أن ألبس شيئا آخر فدخلت غرفة عبد الله ووجدت ثيابا ودقلات فلبست دقلة خفيفة شفافة).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (رؤيتي نسيبي عبد الله ناصر وألف ناقة وبيته الجديد).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (أبو عثمان وأبو السمن).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (الجيش السعودي والنقيب والعقيد والرمي).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (بيت خالي والقناصة و٣٥ ألف وأختي آرام و٥٠٠ يورو وفاطمة أختي أعطيتها نفس المبلغ وأمي أريد أعطيها ما يعادل ١٠ آلاف وبيت خالي محمد والأطفال وعمل الشاي وأذان العشاء ومسجد جدتي).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (حركة دينار مؤسسها عمر باديبو).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (أبو بكر ريغيو).

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (المباحث ومكتب الخبراء وشقة الفاتح ودخول الدقي ومعه أفريقي معه طفل مكسور وبعدها دق الجرس ولم يسمعه أحد وأخذت موزة وفتحت الكاميرة وإذا بالجبوري واثنين من أولاده وامرأتين

(١) وقد قصها علينا وعبرها أهل التأويل بأنه يشاد بذكر الخطاب الراشدي ومشروع الأمة في المسجد الحرام!

تابعات للأفريقي جالسات أمام الباب وبعدها ركبنا السيارة الدقي وسيف والجبوري وأبنائه واحتاج الجبوري نقودا فمررنا على البنك وسحب ولده الصغير ٥٠٠ يورو وإذا نحن أمام وادي والدقي وسيف يقولون اذهب من أسفله وأنا رأيت مواسير المجاري في الوادي والشيخ حاكم يمشي في أعلاه فقلت الذي يهدي الله الشيخ إليه نمشي فيه).[1]

بتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤ (رؤية المستشفى وعوض القرني).

بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠١٤ (أبو عثمان وأبو فالح في الطائرة وأبو عثمان نائم).

بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠١٤ (نقل أغراضي من بيت عمي إلى جهة الخميس والمرسيدس العايدي والخرفان وفناجيل الشاي).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (عايض وخيمة الاستخبارات والرجل الشايب والصلاة والعمارة والمرأة في اللوبي والمصعد والدور ٢١).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (الشيخ حسن وولد محمود وطلحة والسفينة والأتراك والباخرة والتاكسي).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (عبد العزيز بن ناجي والجمل والشرطة).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (حسن مختار وعدنان والفراش وسيارة الحج).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (الحرم والشرطة والكعبة والخميني والأمريكان).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (موقف السيارات والتركي والمبنى والباب وعبد الله عبد الجليل والعصا والخمسمائة ريال والخزن واليورو).

بتاريخ ٤ / ٦/ ٢٠١٤ (د. حاكم وسيف والمطبخ والزيت والشيخ حسن يقفل الغاز وعبد الملك والقناصة ود. حاكم قد اغتسل والسلاح انتهى عنده وحمود والأطفال والصلاة وسيف).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (الباخرة والأهل والناس والجولة السياحية).

بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٤ (العزاء والشيخين من أهل الجنوب ودخولي معهم وقول الشعر والرجل اليماني والمعزى يغلق).

بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤ (القلعة والخليفة).

بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤ (السفينة ونهر النيل).

بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤ (البرد والشيخ حسن).

بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤ (الصف الثالث في الحرم والباكستاني).

---

(١) قصها علينا وعبرها أهل التأويل ووقعت.

بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤ (مقام إبراهيم ود. حاكم والسوداني).

بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤ (عمارات الباشا).

بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤ (آل سعود والبيعة).

بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ (سعد أبو دبيل والبر والسمن والعسل).

بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ (أحمد ولد عمي ومحمد بن عبد الله).

بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ (خالد نائب وزير الداخلية).

بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ (عمر بن الخطاب).

بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ (الطفل المصري).

بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ (فيصل الحمد).

بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٤ (داعش وابن غانم).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (البشارة بالولد والألفين للمبشر والألف وخمسمائة لسليم).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (سيف وأجهزة اللاقط).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (العفاسي).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (الحصان العربي).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (جبل عمر وأبي).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (الشمغ وأم... وأحمد اليماني والاستخبارات والمرأة والخمسمائة).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (أبو عثمان والعمر والقبيلة وسيف والمجنونة والمركبة والفندق وعبد القادر).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (المخبز في القاهرة).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (المرور التركي وأم عبد الملك).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (د. حاكم وولده والصلاة في المسجد).[(١)]

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (الكورة).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (هادي).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (عبد الوهاب وبدر ود. حاكم والشايبان وسعيد حوى).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (عمي أحمد وعبد الرحمن وعلي والصحفيين يدخلون مع الإغاثة).

---

(١) وقد قصها علينا في رمضان ١٤٣٥ هـ يوليو ٢٠١٤ م ومختصرها فيما أذكر (أنه جاء ليصلي في الجامع فوجدني قد سبقته وصليت ومعي ولدي ثم جاء هو وصلى بشباب صغار معه وكأنه صلى معهم سيف).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (أبو عاصم وأم عبد الملك والجيب الأسود).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (الطائرتان وأبها والمبنى وحذاء ابن... والتاكسي ومدينة سلطان ومحطة ابن غامية وأم عبد الملك وأم عبد الله).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (بيت عمي أحمد ...).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (عبد الله بن أحمد وبيت خالي وعزيمته لي).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (العزيزية والسحور والتاجر أو السمسار والمسجد والناس تمسك عن الطعام وكان طعامهم مندي ورقي).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (المستشفى وبيتنا القديم في مكة والخيمة وعزيمتي لمن كانوا فيها).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (خالد عبد الفتاح).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (ملك المغرب).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (أمي والمستشفى وأبو سالم).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (ماجد بن حامد وعثمان بن نازح ود. حاكم وداعش).[1]

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (الخاتمين ذهب وبلاتين والفصوص والماس).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (السرر والمرأة والطاقية الكشمير وسيف يقرأ واللمبة).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (الجبل والطائرة والهلكبتر).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (السوبر ماركت واللبن والمدينة المجهولة ومحافظة الطائف ومكة والرياض وأين الطريق المؤدي إلى مكة).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (المطعم والسيارة الكشف والسندويشات والتصريح للكمرة).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (ابن مجثل والمبثوثة).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (ابن حمران والدقي ومحمود عبد الجبار ويجوز مغازلة الزوجة والصديقة والرفيق أي البعثيين والمسجد وقيام ليلة القدر والجهاديين).

---

(١) وهذه مجوعة رؤى قصها علينا، الأولى فيها أنه (دخل غرفة أو بيتا ثم دخل بعده مباشرة عثمان آل نازح)، وقد وقعت الرؤيا بعد ثلاثة أشهر، حيث توفي محمد ودخل قبره، وبعده بأيام لحق به عثمان آل نازح واستشهد، والثانية رأى (أن تنظيم الدولة يخترق الحدود الشمالية للسعودية من جهة عرعر وأنهم يدعون بأن المهدي معهم، وأنه استفتاني عن أحاديث المهدي هل تصدق فيهم، وهل ثبت شيء عن النبي ﷺ في أميرهم، فقلت: لا، وأن الخلافة ستعود عمرية راشدة، وليس ما يقومون به).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (عدنان كوشك وقراره أن يعمي نفسه وأخذه لنظارتي والطيارين الروس والعسل والخمر والسفر معهم وأم عبد الملك ولحم الحمار واكتشافهم أنه لحم حمار والاستفراغ وعدم السفر معهم وكفى الله المؤمنين القتال والإخوة في المؤتمر يقولون إن في فمي كلام).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (أم عبد الملك والمرأة السوداء واسمها عائشة وأعطيتها ٥٠٠ ريال وزدتها ١٠٠ علشان اسمها على اسم أمي وطردتها صاحبة الدار هي وعائلتها لأن زوجها يشرب الخمر وخرجت عند مدخل البناية وإذا برجل أعرفه في الرؤيا راكب رنج وبعده دخل أبو سلامه ومعه على كبوت السيارة فاكهة ثم دخلت الشقة وإذا بعقرب بيضاء في مدخل الحمام فقتلتها وكان بجواري أطفال وإذا بالعقرب معها عيالها في صندوق حذاء فأخذت الصندوق إلى الشارع وأخذت بلدورة وضربت العقارب وقتلتهم).

بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤ (سعد غرم الله والبنك الأهلي).

بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٤ (الجمال وعبد الله وإخوانه والقبيلة من شرورة).

بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٤ (السورية والمصاغ وأم عبد الملك).

بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٤ (الرنج ومعجب القحطاني).[١]

بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٤ (زيارة قبر أمنا خديجة والحارس وسيارتي ٩٤ تيوتا والخمر والتمر والزبد وأمي وأحمد والأرتيري).[٢]

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (عبد الوهاب والمكتب).

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (عبد الوهاب وزواج المسيار).[٣]

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (أمي والتلفزيون والمرأة).

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (الحرية أو الطوفان).

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (الكويتي والمفتاح).

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (عوض السرحاني).

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (تقبيل قبة النبي وعبد الله عبد الجليل).[٤]

بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٤ (عوض السرحاني وأبي والزبيب).

---

(١) وقد قصها علينا وهو في المستشفى وسبق أن ذكرتها وهنا تاريخ دقيق لها فقد رآها في أول يوم دخل فيه المستشفى!

(٢) وقصها علينا وهو في المستشفى وسبق أن ذكرتها وفيها باختصار (أنه زار قبر أم المؤمنين خديجة ودعا لها ثم ذهب إلى منى وجلس على فرشة ومعه الحرية أو الطوفان فجاءه رجل أمني سعودي فأخفى الكتاب بطرف الفراش ثم التفت وراءه فإذا طوفان قد بلغ موجه فوق الجسر).

(٣) وقصها علينا وهو في المستشفى وفيها باختصار أنه يقول لقريب له وهو ابن خاله بأنه (ثبت عندي بأن زواج المسيار حرام وهو كالمتعة).

(٤) وقد قصها علينا وهو في المستشفى وفيها باختصار أنه (سافر إلى المدينة وزار المسجد النبوي وقبل القبة التي على الغرفة النبوية واستظل بالجهة التي فيها ظل القبة).



## حقيقة الإلهام وما يعرف به من الأحكام القدرية والشرعية:

وكل تلك الرؤى والإلهامات، نوع من الوحي الخفي الذي هو للأولياء من الكرامات، سواء للرجال منهم وللنساء، كما أوحى الله إلى أم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن حقيقة الإلهام للأولياء والصالحين الذين قد يتعذر عليهم معرفة الحكم الشرعي بدليله (وقد يتصرف هؤلاء في هذا المقام بإلهام يقع في قلوبهم وخطاب، وكلام "الشيخ عبد القادر الجيلاني" – قدس الله روحه – كثيرا ما يقع في هذا المقام؛ فإنه يأمر بالزهد في إرادة النفس وهواها، حتى لا يتصرف بحكم الإرادة والنفس، وهذا رفع له عن حال الأبرار أهل اليمين.. ومن حصّل هذا وتصرف بالأمر الشرعي المحمدي القرآني فهو أكمل الخلق، لكن هذا قد يخفى عليه؛ فإن معرفة هذا على التفصيل قد يتعذر أو يتعسر في كثير من المواضع... ففي مثل هذه الحال التي لا يتبين الأمر الشرعي في الواقعة المعينة يأمر الشيخ عبد القادر وأمثاله من الشيوخ : تارة بالرجوع إلى الأمر الباطن والإلهام، إن أمكن ذلك، وتارة بالرجوع إلى القدر المحض، لتعذر الأسباب المرجحة من جهة الشرع، كما يرجح الشارع بالقرعة، فهم يأمرون ألا يرجح بمجرد إرادته وهواه، فإن هذا إما محرم وإما مكروه وإما منتقص، فهم في هذا النهي كنهيهم عن فضول المباحات، ثم إن تبين لهم الأمر الشرعي وجب الترجيح به، وإلا رجحوا: إما بسبب باطن من الإلهام والذوق، وإما بالقضاء والقدر، الذي لا يضاف إليهم، ومن يرجح في مثل هذه الحال باستخارة الله، كما كان النبي ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن فقد أصاب.

وهذا كما أنه إذا تعارضت أدلة "المسألة الشرعية " عند الناظر المجتهد وعند المقلد المستفتي فإنه لا يرجح شيئا، بل ما جرى به القدر أقروه ولم ينكروه، وتارة يرجح أحدهم: إما بمنام، وإما برأي مشير ناصح، وإما برؤية المصلحة في أحد الفعلين...

لكن قد يقال: القلب المعمور بالتقوى إذا رجح بإرادته فهو ترجيح شرعي...

فمن غلب على قلبه إرادة ما يحبه الله، وبغض ما يكرهه الله، إذا لم يدر في الأمر المعين هل هو محبوب لله أو مكروه، ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان هذا ترجيحا عنده، كما لو أخبره من صدقه أغلب من كذبه، فإن الترجيح بخبر هذا عند انسداد وجوه الترجيح ترجيح بدليل شرعي، ففي الجملة متى حصل ما يظن معه أن أحد الأمرين أحب إلى الله ورسوله كان هذا ترجيحا بدليل شرعي، والذين أنكروا كون الإلهام طريقا على الإطلاق أخطئوا، كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الإطلاق، ولكن إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحا، وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى، فإلهام مثل هذا دليل في حقه؛ قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة؛ والأحاديث الضعيفة، والظواهر الضعيفة، والاستصحابات

الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه، وفي الترمذي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، وقال عمر بن الخطاب: (اقتربوا من أفواه المطيعين؛ واسمعوا منهم ما يقولون، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة)، وقد ثبت في الصحيح قول الله تعالى: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)، وأيضا فالله سبحانه وتعالى فطر عباده على الحنيفية: وهو حب المعروف وبغض المنكر، فإذا لم تستحل – أي: تتحول وتتغير – الفطرة، فالقلوب مفطورة على الحق، فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان، منورة بنور القرآن، وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة، ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين، كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله، وذلك أن الله علم القرآن والإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾، ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾، وقال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر : (تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا)، وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة)، وفي الترمذي وغيره حديث النواس عن النبي ﷺ أنه قال: (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو من فوق الصراط، فالصراط المستقيم هو الإسلام، والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، فإذا أراد العبد أن يفتح بابا من تلك الأبواب ناداه المنادي يا عبد الله لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن)، فقد بين أن في قلب كل مؤمن واعظ، والواعظ الأمر والنهي بترغيب وترهيب؛ فهذا الأمر والنهي الذي يقع في قلب المؤمن مطابق لأمر القرآن ونهيه، ولهذا يقوي أحدهما بالآخر، كما قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾، قال بعض السلف في الآية: هو المؤمن ينطق بالحكمة، وإن لم يسمع فيها بأثر، فإذا سمع بالأثر كان نورا على نور، نور الإيمان الذي في قلبه، يطابق نور القرآن، كما أن الميزان العقلي يطابق الكتاب المنزل؛ فإن الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وقد يؤتى العبد أحدهما ولا يؤتى الآخر...

والإلهام في القلب تارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد، وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب، فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر)،

والمحدث الملهم المخاطب، وفي مثل هذا قول النبي ﷺ في حديث وابصة: (البر ما اطمأنت إليه النفس، وسكن إليه القلب، والإثم ما حاك في نفسك وإن أفتاك الناس وأفتوك)، وفي صحيح مسلم عن النواس عن النبي ﷺ قال: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس)، وقال ابن مسعود: الإثم حزاز القلوب.

وأيضا فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن يقينا أو ظنا، فالأمور الدينية كذلك بطريق الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج، لكن هذا في الغالب لا بد أن يكون كشفا بدليل، وقد يكون بدليل ينقدح في قلب المؤمن ولا يمكنه التعبير عنه، وهذا أحد ما فسر به معنى " الاستحسان "، وقد قال من طعن في ذلك كأبي حامد وأبي محمد: (ما لا يعبر عنه فهو هوس)، وليس كذلك؛ فإنه ليس كل أحد يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه، وكثير من الناس يبينها بيانا ناقصا، وكثير من أهل الكشف يلقى في قلبه أن هذا الطعام حرام، أو أن هذا الرجل كافر أو فاسق من غير دليل ظاهر، وبالعكس قد يلقى في قلبه محبة شخص وأنه ولي لله، أو أن هذا المال حلال!

وليس المقصود هنا بيان أن هذا وحده دليل على الأحكام الشرعية؛ لكن إن مثل هذا يكون ترجيحا لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية الظاهرة، فالترجيح بها خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعا، فإن التسوية بينهما باطلة قطعا...

وهذا في كشف الأنواع التي يكون عليها دليل شرعي لكن قد يخفى على العبد، فإن الشارع بين الأحكام الكلية، وأما أحكام المعينات التي تسمى تنقيح المناط، مثل كون الشخص المعين عدلا أو فاسقا أو مؤمنا أو منافقا أو وليا لله أو عدوا له، وكون هذا المعين عدوا للمسلمين يستحق القتل، وكون هذا العقار ليتيم أو فقير يستحق الإحسان إليه، وكون هذا المال يخاف عليه من ظلم ظالم، فإذا زهد فيه الظالم انتفع به أهله، فهذه الأمور لا يجب أن تعلم بالأدلة الشرعية العامة الكلية، بل تعلم بأدلة خاصة تدل عليها، ومن طرق ذلك " الإلهام " فقد يلهم الله بعض عباده حال هذا المال المعين، وحال هذا الشخص المعين، وإن لم يكن هناك دليل ظاهر يشركه فيه غيره، وقصة موسى مع الخضر هي من هذا الباب ليس فيها مخالفة لشرع الله تعالى.. ومثل هذا كثير عند أهل الإلهام الصحيح) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.[1]

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – (١ / ١٦٨)

## أحوال الأولياء وكراماتهم:

وقد رأيت بعض العباد الأولياء كالشيخ شحاتة المصري من جماعة التبليغ، ولزمت بعض الفقهاء الأولياء، كشيخنا الفقيه الحنبلي الزاهد محمد بن سليمان الجراح، وعرفت بعض المجاهدين الأولياء كالشيخ الشهيد بإذن الله أبي أشرف محمد العثامين القرشي الأموي العثماني – المشهور في الساحة الجهادية في الشام بأبي عبد العزيز القطري، ولم يكن قطريا، بل كان فلسطينيا، من المهجرين من أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م وهاجر والده إلى العراق، وكان أبو أشرف قد جاهد في أفغانستان والعراق – فما رأيت كمثل الشيخ محمد المفرح في هذا الباب، فقد جمع الله له في باب الولاية ما تفرق في غيره!

وقد كان الشيخ شحاتة المصري من الأولياء العباد، والأتقياء الزهاد، وما دخلت مسجده قط في أي وقت إلا ورأيته إما يصلي، أو يتلو القرآن، أو يراجع لأحد حفظه!

وكان أعجوبة في حفظه للقرآن وسرعة القراءة في الصلوات، وربما قرأ في ركعتي الفجر جزءا أو نحوه لا يتوقف ولا يتأتئ ولا يخطئ!

وكنت أذهب للمسجد وأرقبه وأتعجب من شأنه وهديه ودله وزهده!

وقد رأيته يوما عند باب المسجد راجعا من دائرة حكومية، فسلمت عليه وسألته عن حاله، فقال: من ترك قيام الليل عوقب!

وأخبرني أنه لم يتم إنجاز معاملته اليوم بسبب أنه لم يقم الليل البارحة!

وقد مرض فجأة رحمه الله، ودخل المستشفى في الكويت، وكنت أزوره وأطيل اللبث عنده أتعلم منه الصبر وحسن التوكل على الله، وكان لا يفتر كل الوقت عن مراجعة القرآن وعن الذكر، وهو على فراش الموت، وقد أخبرنا الطبيب بأن حالته خطيرة ويجب إعادته إلى أهله في مصر ليقضي بقية أيامه معهم، فقال له النائب الفاضل عايض علوش: يا شيخ شحاتة ألا تحب أن ترجع إلى أهلك فهم في حاجتك؟ وكان له زوجة وابنة!

فرفع أصبعه للسماء وقال: ربنا موجود!

ورجع إلى ورده يقرأ القرآن وهو يحتضر، وكلما غشي وأفاق أكمل القراءة من حيث انتهى!

وبعد أيام توفي الشيخ شحاتة وهو في الأربعين من عمره في حدود سنة ١٩٩٢م، ففقد أهل الأرض وليا من أولياء الله الذين بهم تباهي الأرض السماء!

وكان قد أوصى بثلث تركته في سبيل الله، ولعل تركته لا تبلغ ألف دينار!

وكنت كلما خشيت على نفسي الدنيا وفتنتها تذكرته فعزفت نفسي عنها وزهدت فيها!

ثم بعد عشرين سنة من وفاته، قدر الله لي أن أرى وليا من أوليائه المجاهدين!

فقد أرسل إلي الشيخ محمد المفرح أبا أشرف العثامين في يناير سنة ٢٠١٢م، ولم يكن يعرفني، ولا أعرفه، ولا سمع بي، ولاسمعت به!

فسكن عندي في ضيافتي عشرة أيام، وكان بيتي خلال تلك الأيام التي استضفته فيها كأنما قد نزلت عليه السكينة، وحفته الملائكة، وغشيته الرحمة، يشعر بذلك أهل البيت!



الشيخ أبو أشرف العثامين رحمه الله

فكان كل همه هو الله، والجهاد في سبيل الله، لا يفتر عن قيام الليل والذكر والوعظ، ولا يتحدث في أمر من أمور الدنيا وشئونها، بل كل حديثه عن الله والدار الآخرة، وأخبرت الشيخ سيف الهاجري بما رأيت من أحواله، ثم جاء في زيارة أخرى للكويت - وكنت في إسطنبول مع الشيخ محمد - فاستضافه الشيخ سيف، ورأى من أحواله مثل ما رأيت، وقال والله إن أهلي يقولون لم نشعر بالسكينة كما شعرنا بها بوجود هذا الشيخ المبارك!

وكان أبو أشرف رحمه الله أعجوبة في الدعاء إذا دعا وتضرع إلى الله بأسمائه وصفاته، وشكا إليه حاجته وافتقاره، فكأنما تكشف له الغيوب، حتى تخشع من دعائه القلوب، فيناجي الله مناجاة الحبيب المحبوب، فلا يمل ولا يكل من الدعاء، حتى ربما دعا ساعة كاملة، ويخيل لمن سمعه أن الجمادات من حوله تسبح معه!

فكان دعاؤه عبادة يتقرب إلى الله بها، ويأنس فيها، لا مجرد حاجة يقضيها!

وكان يقول أنتم أولياء الله إذا لم يكرمكم الله وهو الجواد الكريم فمن يكرم!

وكان يضرب المثل دائما بكرامات الله للأولياء في القرآن، ويقول مريم امرأة ضعيفة لم تحتج إلا إلى هز النخلة فإذا الرطب بين يديها، والماء تحت قدميها، أتعجزون عن أن تكونوا كمريم!

وإنما هذه أحوال الأولياء الأتقياء، ولهم كرامات وأحوال مع الله، لولا حديث (حدثوا الناس بما يعقلون) لاستطردت فيها!

وكان مما أخبرنا به الشيخ محمد المفرح من أحوال أبي أشرف ما لا يتصوره الماديون المحجوبون عن الله وعالم الغيب، كما حجب بنو إسرائيل حين قالوا: ﴿يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾، بل لا يصدق به إلا المؤمنون المتقون ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ... وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾!

قال الشيخ محمد المفرح لي وللشيخ سيف ومعنا بعض الإخوة: والله يا أخوة لقد رأيت من أحوال الشيخ أبي أشرف حين سافرنا معا من إسطنبول إلى الحدود السورية - وكان طول الطريق نحو ألفي كيلو - للقاء قيادات

حركة أحرار الشام، في بداية تأسيسها وقبل اشتهارها، وذلك في شهر ١٢ سنة ٢٠١١م، فقال لنا أبو أشرف: كأنما الطريق طويل، فادعوا الله أن ييسره لنا، لعل السيارة تطير بنا! فأخذ يقرأ القرآن، ثم لما فرغ من القرآن شرع في الدعاء، وأخذ بمناجاة الله والتوسل إليه، وأطال التضرع بين يديه، فما زال يدعو للمجاهدين وللمستضعفين ويبكي...

يقول الشيخ محمد المفرح: فوالله ما أخبرت أحدا بما جرى، ولم أخبر إلا أنتم لما أعلم من علمكم ويقينكم، فلقد اجتهد أبو أشرف – ونحن في سيارة صغيرة ضيقة – في دعاء الله وتمجيده والثناء عليه، واستغرق في ذلك، حتى كأنما غاب عمن حوله، وحتى نزلت علينا السكينة، ولكأنما الطريق يطوى لنا طيا، ولكأنما السيارة لا تسير على الأرض، بل كأنما تطير بالهواء وهي على الطريق، فأخذتني الدهشة من هول ما رأيت، وما هي إلا بضع ساعات فإذا نحن على الحدود، لم يعق طريقنا عائق، ولم يحدث لنا حادث! فلما فرغ أبو أشرف من الدعاء، أخذ يتحدث كأنما لم يحدث شيء، لما اعتاده من الكرامات!

وقد أحدثت صحبة الشيخ محمد المفرح للشيخ أبي أشرف رحمهما الله جميعا – في الفترة القصيرة التي عاشاها سويا في إسطنبول ثم في السفر لسوريا لنصرة الشعب السوري – أثرا روحيا كبيرا، زاد بعدها الشيخ المفرح تألها في العبادة، وتعلقا بالآخرة، وزهدا في الدنيا ومتاعها!

كما تأثر الشيخ أبو أشرف في فكر الشيخ محمد ووعيه السياسي، ونظرته للجهاد وأهمية أن يكون تحت سقف الأمة ورقابتها، في مواجهة تداعي الأمم عليها، وقد دارت بيني وبين أبي أشرف حين سكن عندي عشرة أيام مناقشات طويلة حول الأزمة التي تعيشها الأمة، وعن الأخطاء التي تتكرر في ساحات الجهاد، وعجز المجاهدين عن تقديم مشروع سياسي، بسبب تجاهلهم دور الأمة وشعوبها في الصراع، وتجاهل حقها في اختيار السلطة، وإدارة شئونها، بلا وصاية من أحد عليها، فلا يتصور أن تخرج من حكم الطغاة القوميين والليبراليين، لتمسي تحت حكم الطغاة الإسلاميين!

وكان رحمه الله يعجب من حديثي، ثم أخذ كتاب (الحرية أو الطوفان) يقرأ فيه وقت فراغه، فازداد حرصه على فهم (مشروع الأمة)، ومشروع (الخطاب السياسي الراشدي)، فقال: والله هذا ما يحتاجه المجاهدون!

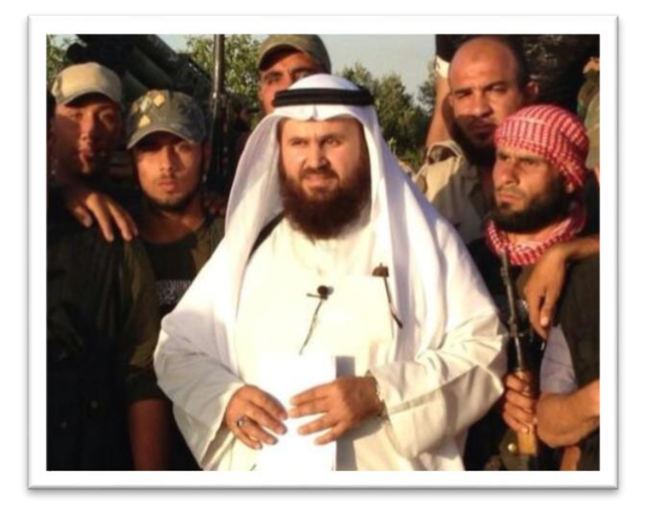
وتحدثنا عن كيف نجح العدو ودوله الوظيفية، في اختراق الحالة الجهادية، وتوظيف بعض مجموعاتها، ليحولها من الصراع والمواجهة المفتوحة معه، إلى قتال الأمة وشعوبها الثائرة، وجماعاتها المجاهدة، بدعوى قتال أهل الردة!

وكان يرثي لحال من تورطوا بذلك، واعترف لي بالأخطاء التي وقعت في العراق، وكيف نجحت أمريكا واستخباراتها في العبث في الساحة الجهادية، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه!

ولهذا اختط أبو أشرف حين رجع إلى الشام خطا وسطا لحماية الشباب من الغلو، ومن الوقوع ضحية الاختراق، فلم يتركه العدو وبادر إلى تصفيته!

والأعجب من حال أبي أشرف هو حال الشيخ محمد المفرح، فلطالما كان هناك أولياء من أهل العبادة والجهاد لتعلقهم بالآخرة ورغبتهم فيها، إلا أنه قلما كان هناك أولياء من أهل السياسة، لغلبة شئون الدنيا عليهم، وطمعهم فيها، وكان محمد المفرح في السياسيين المصلحين أحد الأولياء حقا، والأتقياء صدقا، لا يعرفه مؤمن إلا أحبه، ولا يراه أحد إلا ذكر الله أو ذكّره بالله، وهو لا يكاد يوجد في سياسييّ عصرنا الحالي!

وكم رأيت من العامة – الذين لا يعرفون الشيخ محمد وفي كل مكان نزوره – يبادرون إلى تقبيل يده، وطلب الدعاء منه، ويذكرون الله حين يرونه!



كما قال الشيخ ارشيد: (كان جميع من حوله من المساكين والفقراء والأغنياء يحبونه، وبعضهم يقبل يده).

ويقول الشيخ حجاج العجمي وقد صحبه في زيارات ميدانية للأهالي في مناطق إدلب المحررة: (فما دخلنا قرية إلا بادروا إليه، يقبلون يده، ويطلبون منه الدعاء، وهم لا يعرفونه! فأقول في نفسي هذا الأمر لا يفعله العامة عادة إلا مع المشاهير من الشيوخ والدعاة، أما مع الشيخ محمد الذي لا يعرفه العامة فأمر غير مألوف لولا مقام الولاية)!

وقد حدث عنه الشيخ حامد العتيبي وكان معهم في مثل تلك الزيارات: يقول بأن الأهالي كانوا يقولون لهم، (والله إن الشيخ محمد لا يأتي مكان إلا وشعر أهله بالبركة فيه)!

ولو عرفوا من أحواله ما عرفناه، وشاهدوا منه ما رأيناه، وسمعوا عنه ما رويناه، لعلموا أنهم إنما يجذبهم إليه مقام الولاية، وفيض أنوارها، فإن لم يكن الشيخ المفرح وليا من أولياء الله في هذا الزمان، فلا أعرف وليا فيه لله!

وقد كان الشيخ محمد مع ما فتح الله عليه في الرؤى – حتى كان لا يمر يوم إلا ويخبرنا برؤيا خاصة به، أو بنا، أو عامة بأحوال الدول أو الجماعات، فتأتي كفلق الصبح، وقد رأى يوما رؤيا (بأنه يسير في طريق فإذا أمامه حاجز تفتيش تركي فسألوه عن جوازه وأرجعوه له)!

وكان جوازه فعلا محجوزا لديهم منذ سنة أو أكثر، وقد امتنع عن الذهاب إليهم مدة طويلة خشية الاعتقال، ولم يخطر له ببال أنهم قد يرجعونه له ويدعونه يبقى!

فما جاء الغد إلا والمحامي يتصل بنا يسأل عنه – إذ كان حينها مستخفيا عن الأمن التركي – ويقول لنا بأنه على محمد الذهاب للمفوضية لاستلام جوازه! فذهب واستلمه منهم!

أقول مع ما فتح الله عليه في الرؤى فقد آتاه الله فراسة في الرجال، قلما أبدى رأيا في أحد إلا كان صائبا!

وكنت أعتب عليه إذا لم ينشرح صدره لأحد، أو انقبض منه، وأقول له يا شيخ محمد نحن دعاة، وليس لنا إلا ظاهر الناس، وأما بواطنهم فإلى الله، فكان يبتسم ويسكت، ثم تتحقق فراسته، ويخيب ظني، إذ كان يريه الله من بواطن أمورهم بالفراسة، ما لا أراه في ظواهرهم بالسياسة!

وكان يقول لي وللشيخ حسن الدقي وقيادات مؤتمر الأمة: الله الله يا مشايخ لا نؤتى من قبلكم! فأنتم تنفتحون على كل أحد، وتحسنون الظن بكل من يأتيكم، وهذا المشروع لا يحتمل مثل ذلك!

## حقيقة الفراسة:

قال ابن القيم: (فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهّر وتصفّى وتنزّه من الأدناس، وقرب من الله، فهو ينظر بنور الله، الذي جعله في قلبه، وفي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)، وهذه الفراسة نشأت له من قربه من الله، فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه، وأضاء له النور بقدر قربه، فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد والمحجوب، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال: (ما تقرب إلى عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، في يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)!

فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيده محبته له، فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله، فسمع به، وأبصر به، وبطش به، ومشى به، فصار قلبه كالمرآة الصافية، تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه، فلا تكاد تخطيء له فراسة، فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه، وليس هذا من علم الغيب، بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره، غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس، التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه، وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان، وبادر من القلب إلى العين، فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور).[1]

(١) الروح – (١ / ٢٣٨)

وقال ابن القيم أيضا عن الفراسة: (وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب!

وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة، لكن الفريسة فعيلة بمعنى مفعولة، وبناء الفراسة كبناء الولاية والإمارة والسياسة، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا، فهو أحدُّ فراسة!

قال أبو سعيد الخراز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق...

وقال الواسطي: الفراسة شعاشع أنوار لمعت في القلوب، وتمكن معرفة جملة السرائر في الغيوب، من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها، فيتكلم عن ضمير الخلق.

وقال الدراني: الفراسة مكاشفة النفس، ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان.

وسئل بعضهم عن الفراسة فقال: أرواح تتقلب في الملكوت، فتشرف على معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخلق، نطق مشاهدة، لا نطق ظن وحسبان.

وقال عمرو بن نجيد: كان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطئ، ويقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال: لم تخطيء فراسته.

وقال أبو جعفر الحداد: الفراسة أول خاطر بلا معارض، فإن عارضه معارض آخر من جنسه فهو خاطر وحديث نفس) انتهى كلام ابن القيم.[1]

## تحقيق القول في الفراسة:

أقول والصحيح أن الفراسة قسمان:

١ – فراسة إنسانية: وهي ملكة وموهبة قد تكون في المؤمن وغير المؤمن، وهي قدرة الإنسان على التنبؤ بأفعال الغير، والتوقع لما قد يبدر منهم، بلا سابق علم عنهم، ولا معرفة بهم، وإنما بالنظر في هيئاتهم وصورهم، وفيما يأتون ويذرون من أفعالهم!

٢– فراسة إيمانية: وهي حال خاص بالمؤمنين عند بلوغهم مقام الولاية، كما قال الجرجاني في التعريفات عن الفراسة: (هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب)، فيطلعهم الله على بواطن بعض من لا يعرفونه، ليصحبوه أو يهجروه أو يحذروه، بما آتاهم الله من نوره، كما جاء في الصحيح: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)!

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – (٢ / ٤٨٤)

## الفرق بين الفراسة والإلهام:

قال ابن القيم: (المرتبة التاسعة مرتبة الإلهام قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، وقال النبي ﷺ لحصير بن منذر الخزاعي لما أسلم قل: (اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي)، وقد جعل صاحب المنازل – الهروي – الإلهام هو مقام المحدثين، قال: وهو فوق مقام الفراسة، لأن الفراسة ربما وقعت نادرة، واستصعبت على صاحبها وقتا، أو استعصت عليه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد!

قلت: التحديث أخص من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث فالنبي ﷺ قال فيه: (إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر)، يعني من المحدثين، فالتحديث إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء.

والتحقيق في هذا: أن كل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيرا، وخاصة قد يقع نادرا، ولكن الفرق الصحيح أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة لا تنال بكسب البتة).[1]

ولقد جمع الله للشيخ محمد المفرح الأمرين جميعا: الإلهام الخاص، والفراسة الخاصة!

## فراسة الشيخ محمد ودعاؤه على من كذب عليه:

ولم تخب للشيخ محمد رحمه الله فراسة قط في أحد، فكان إذا توقع الشيء وحذر منه وقع، إلا مرة في أحد الشيوخ الذين جاءوه بعد الثورة السورية إلى إسطنبول، وكان صديقا قديما له، فاستقبله الشيخ محمد وآواه عنده، وأكرمه غاية الإكرام، حتى كان يغضب لغضبه، لما بينهما من صداقة قديمة، ولمحبة الشيخ المفرح للمشايخ وأهل القرآن، وكان يعتب على من لا يجل هذا الشيخ، حتى أنه كان في اجتماع مع قيادات سورية فرأى أحدهم يخاطب ذلك الشيخ بما لم يعجب المفرح، فلما انتهى الاجتماع، أخذ المفرح بيد ذلك المتحدث – وكان من شيوخ العشائر ومن أسرة كريمة عريقة – فعاتبه وقال له: إذا لم نكرم أهل القرآن وطلبة العلم، فمن نكرم؟! ولا يليق بمثلك وأنت داعية وشيخ عشيرة أن تخاطب شيخ علم بهذا الأسلوب أو تستخف به، فاعتذر المتحدث عما بدر منه!

وكان المفرح كلما جاءه ذلك الصديق أكرمه وزاد سهمه، ظنا منه أنه مهاجر مجاهد يستحق السهم، وكان يحثه على الذهاب إلى سوريا أو الحدود مع تركيا حيث المخيمات السورية لتعليم أهلها، ودعوتهم، فلم يكن ذلك

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٤٤)

الشيخ يبرح مكانه، فكان المفرح يحسن الظن به، وأنه لا يستطيع الذهاب إلى أماكن الخطر، ويمكن الاستفادة منه في الدعوة وتعليم الناس الخير في إسطنبول!

وظل على هذه الحال معه نحو سنتين، ثم انقبض الشيخ محمد منه فجأة بعد رؤيا رآه فيه، ثم تكررت الرؤى التي تحذره منه، فأخبرنا بها أنا والشيخ سيف وارشيد – على مضض لمحبته له وثقته به – حيث رأى في رؤيا منامية في صاحبه ذاك (وهو يحدث رجلا خلف جدار بصوت خافت، من طاقة في الغرفة مفتوحة، فلما نظر محمد – كما في الرؤيا – إلى ذلك الرجل الذي من وراء الجدار، فإذا هو رجل أمن سعودي)!

ثم رأى رؤيا أخرى أن صاحبه ينام معه في فراشه على سرير واحد...!

فقص الشيخ محمد علينا الرؤيا وانقبض من صاحبه غاية الانقباض!

ثم جاء صاحبه فقال للشيخ محمد رأيت رؤيا (كأنني معي هاتفان، هاتف أبيض، وهاتف أسود، فاتصل بي الهاتف الأسود وكنت في الحمام...)!

فلما قام صاحبه من المجلس، سأل الشيخ محمد رحمه الله أحد المعبرين المشهورين للرؤى عنها، فقال له: صاحبك له خط اتصال بك أبيض، وخط اتصال أسود مع جهة خبيثة شريرة!

فقال الشيخ محمد للمعبر: أو اتصال مع الأمن والاستخبارات؟

فقال المعبر: نعم!

وبعدها أخذ الشيخ رحمه الله يحذر الإخوة في (مؤتمر الأمة) من صاحبه، وألا يطلع على أسرارهم، وتغير عليه جدا، دون أن يظهر له ذلك، وقال: لا يعرف عن أمورنا شيئا، ولا يسكن معنا!

فلم أوافقه على تصرفه، ووقع بيني وبينه عتاب بسبب هذا الموضوع، بحضور الشيخ حجاج العجمي وارشيد الهاجري، وقلت له: هذه أحلام يا شيخ محمد! ولم نر من الرجل ما يريب، وليس لنا إلا الظاهر، والله يتولى السرائر، ولن نبادر أحدا بما يكره حتى نرى منه ما نكره!

فلم يمض على صاحبه بعد تلك القصة إلا ثلاثة أشهر حتى رجع إلى السعودية، وتغير فجأة – بعد إعلان النظام السعودي الحرب على الإسلاميين وعلى الإخوان المسلمين مباشرة – فنصب العداء للمؤتمر وقياداته وأحزابه، ولكل الجماعات الإسلامية، ولكل الفصائل الجهادية، في مصر والشام، بلا سابق عداوة، في حملة تشهير فاجرة كاذبة!

فكان حال الشيخ محمد مع صاحبه ذاك كما قال الأول:

ومن يجعل المعروف في غير أهله ❊❊❊ يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر!

فما رأينا الشيخ محمد حزن لحال أحد، ولا غضب على أحد غضبه عليه، وكان في أول الأمر يعتذر له بأنه ربما يكون مكرها، ولعله وقع تحت ضغط الطغاة واستخباراتهم حين عاد إليهم وهو في قبضتهم!

ثم ترجح عنده بعد ذلك – حين رأى كذبه وفجوره – أن صاحبه كان طوال تلك المدة عينا يتجسس عليه – منذ أن جاءه إلى إسطنبول – لصالح الاستخبارات، فدعا عليه بدعوة أصابته سهامها!

فأرسل لي الشيخ محمد بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠١٤م رسالة يعجب فيها من أكاذيب صاحبه!

فقلت له: بمَ تفسرها؟

فقال: (الكلام أقض مضاجع الطغاة، فتم الإيعاز له بالهجوم على المؤتمر، خاصة وأحد الحسابات المخابراتية ذكرت اسمك بالذات... توظيف سعودي)!

ثم أرسل لي رسالة أخرى بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠١٤م يعجب من كذبه ويقول: (حسبي الله عليه)!

فما هو إلا أن دعا محمد الله، حتى كفاه الله ووقاه، وكشف ستر من عاده!

فقد كان الشيخ رحمه الله مستجاب الدعوة، وقلما دعا على أحد وقال: (حسبي الله عليه) إلا فضحه الله، وهتك ستره!

وأذكر مرة أن كاتبا مصريا إسلاميا استضافه (مؤتمر الأمة) في (مؤتمر مصر الثورة ومستقبل الأمة)، وكان يتصل بي بين الفينة والأخرى يسأل ويستفسر عن أصول السياسة الشرعية، وربما اتصل بي ساعة أو ساعتين، وأبذل وقتي له خدمة للعلم، وفجأة كتب هجوما وهو في مصر على (مؤتمر الأمة)، وأنه على علاقة مع الأنظمة الخليجية لاختراق الثورة المصرية!

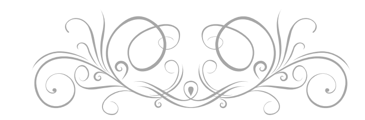
فلما قرأ الشيخ محمد رحمه الله كلامه غضب غضبا شديدا لم أره غضب مثله قط، حتى أنه من شدة غضبه خرج من المجلس الذي كنا فيه، حين سمع أحد الإخوة المصريين يعتذر عن ذلك الكاتب، ويقول يبدو أنكم لم تفهموا عبارته!

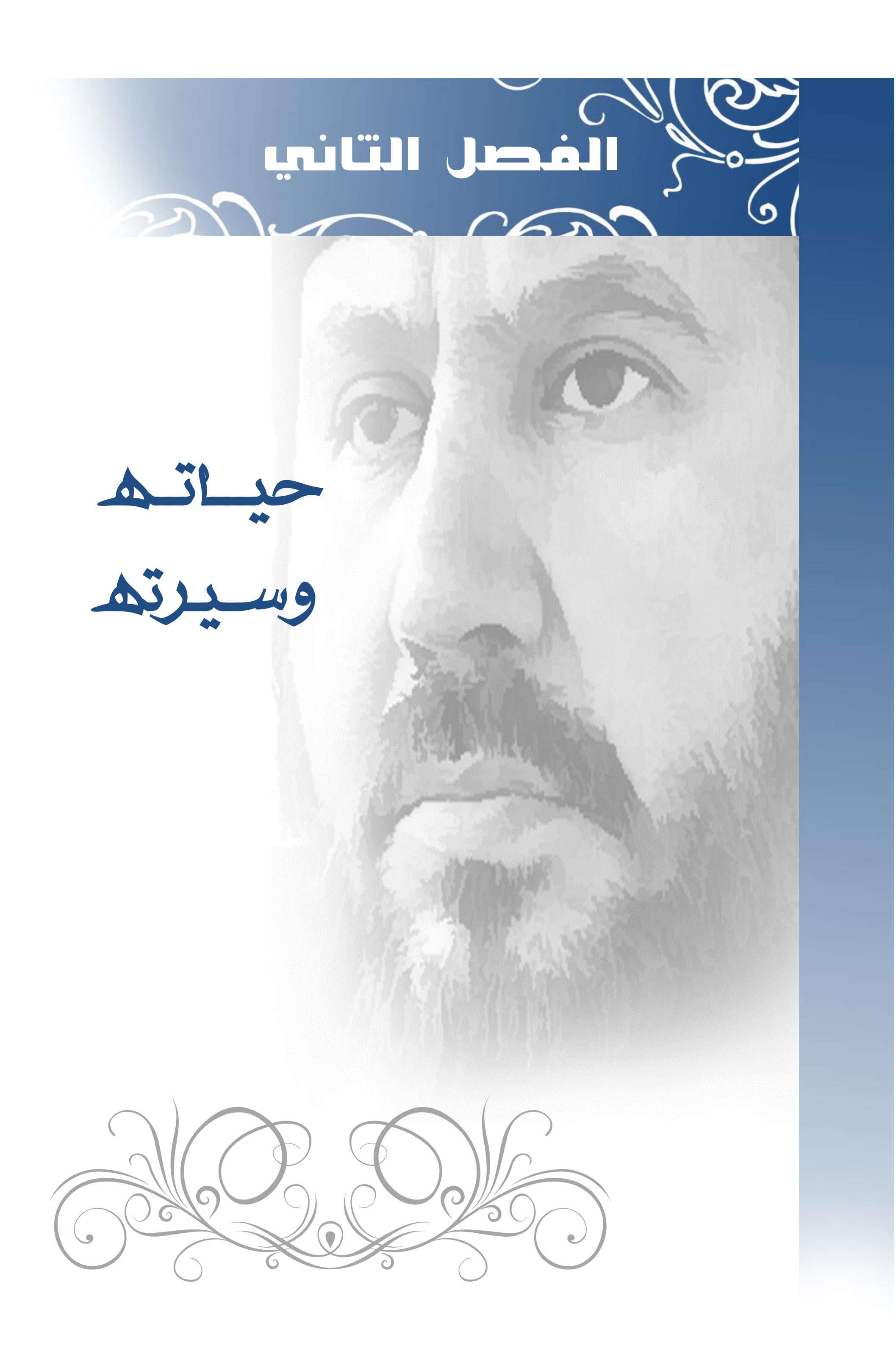
فلما خرجنا أخذ الشيخ محمد يردد (حسبي الله عليه) (حسبي الله عليه) نحن نتآمر على الثورة المصرية مع الأنظمة الخليجية!

فلم يمر على ذلك الكاتب أيام إلا وقد أصابته دعوة الشيخ محمد وعجل له العقوبة!



وإذا كان كل ما سبق ذكره في هذا الفصل هو في إثبات أشرف صفات الشيخ محمد المفرح، وهو كونه كان وليا من أولياء الله، يحب لله، ويبغض في الله، وهاجر وجاهد في سبيل الله، كما ظهر لكل من عرف أحواله وكراماته، وجهاده ومقاماته، فإن هذه لم تثبت له بالادعاء، بل بخمسين سنة قضاها محمد في كنف الله وحفظه، منذ نشأ في حجر والديه الصالحين، وكما جاء في الحديث الصحيح (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... وشاب نشأ في عبادة الله)، وهو ما كان عليه محمد منذ نشأته وبدايته حتى بلوغ مقام ولايته، وهو ما سأذكره في الخواطر التالية بإذن الله تعالى...





# الفصل الثاني

## حياته وسيرته



## الفصل الثاني: حياته وسيرته:

### الأسرة والنشأة:

أسرته ونسبه: ولد الشيخ محمد المفرح في أسرة عريقة نسبا، كريمة حسبا، وهم آل مفرح شيوخ قبائل عسير.

وقد أرسل لي ولده عبد الله عن نسب والده الشيخ محمد وتاريخ أسرته ما موجزه:

(هو : أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد بن أحمد بن محمد بن مفرح بن يحيى بن محمد بن أحمد اليزيدي بن يحيى بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن علي بن عبد العزيز بن سعيد بن وضاح بن عائض بن أحمد بن سالم بن عبد الله بن إبراهيم بن عائض بن علي بن وهاس بن حراب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن غانم بن صقر بن حسان بن سليمان بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو (قريش) بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم).



قلت: فهو قرشي أموي صميم في الذروة.

وقال ولده عبد الله: (والده: العابد، الصادق، الناسك، الأديب، الحازم:

سعد بن محمد بن سعد آل بن مفرح، ولد في قرية الشرف - أبها - عام ١٣٦١هـ، وقد نشأ يتيما بعد أن مات أبوه، تحت كنف عمه - الأمير أحمد بن سعد آل بن مفرح - ولما بلغ سنه سبع سنين دخل إلى الكتاب، فتعلم القرآن والسنة والعقيدة والفقه على يد عالم أبها إذ ذاك الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل - رحمه الله - ثم دخل الدراسة النظامية وتخرج من الابتدائية، ثم التحق بمعهد المعلمين، ثم إلى كلية الشرطة، ليعين بعدها مديرا لشرطة عرعر، ثم تدرج في عمله الحكومي، ومر بعدة مناصب قيادية، كمدير عام لمباحث القصيم، ثم نجران، ثم مكة المكرمة، ثم نقل إلى الدفاع المدني.

وقد أحبه أهل القصيم من علماء ومصلحين، وكذا علماء الحجاز ونجران، وقد عرف في عمله بالحزم والخلق النبيل، توفي رحمه الله ١٤١٣ هـ في حادث سيارة.

وكان سنه يوم وفاته كسن ولده الشيخ محمد يوم وفاته خمسين سنة!

وعم والده هو الشيخ أحمد بن سعد بن مفرح شيخ شمل قبائل بني مغيد وبني نمار لمدة ٥٥ سنة.

وجده الثامن: هو الأمير محمد بن أحمد اليزيدي، كانت فترة إمارته على عسير ما بين عامي ١١٧٠ - ١٢١٥هـ، وكان مقر إمارته بالسقا، وكان معروفا بالحزم والشجاعة والهيبة، وكان واسع السلطة تدين له عسير وما حولها، وكان له قصور مشهورة مثل قصر ناجح وقصر خازم وعمر .

والدته: عائشة بنت مصطفى فؤاد خليل محمد خليل العسيري- حلفا وجوارا - وهي من نسل بني عثمان، وكان جدها بك محمد خليل العثماني هو مسئول الحامية العثمانية آنذاك في أبها، وقد تزوج بجدتها وكانت من عبيدة من قحطان، فأنجبت أمها رمزية، ولما قامت الثورة العسيرية ضد العثمانيين بقيادة ابن ترابة علي بن مجثل، وأجليت على أثرها الحامية، أخذت مرعية القحطاني والدة جدتي رمزية مع أخيها، وأخفتهم عنه - رحمهم الله - ثم تكاثروا ونسلهما الآن يجاوز الخمسين.

عرفت بقوة الشكيمة، والفراسة، والصبر، حفظت عشرين جزءا من القرآن، من الصالحات كما نحسبها، وهي آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.

أنجبت تسعة من الذرية، فاطمة، صالحة، محمد، رمزية، أحمد، عبد الرحمن، نسيم، هالة، آرام.

### شاب نشأ في طاعة الله[1]:

ولد الشيخ محمد في محافظة الخرج التابعة لإمارة مدينة الرياض عام ١٣٨٧ هـ، وسماه أبوه على اسم أبيه تيمنا به، فقد كان جده محمد شجاعا قويا، أعطي بسطة في الجسم، وكانت تضرب به الأمثال في شجاعته.

وبعد عشرين يوما من ولادته، انتقل والده سعد إلى القصيم بمدينة بريدة لظروف العمل، ثم انتقل بعد سنتين إلى مكة المكرمة، فدرس محمد فيها بعض الابتدائية ثم أتمها في الطائف، ومنذ صغره وهو ابن ست سنين، كان محمد لا يترك الصلاة في جماعة، إلا في حال المرض، متأثرا خطى والده الصالح، وقد كان في تأله عجيب من ذلك الوقت، فكان (حمامة المسجد)، ومن ذلك الوقت ظهرت عليه علامات النبوغ المبكر، فكان مسئولا عن أهله وقضاء حاجاتهم، وعمره عشر سنين، وقد أحبه والده كثيرا وأعجب به، فكان يرسله نيابة عنه في كثير

(١) هذه الترجمة أرسلها لي ولد الشيخ محمد: عبد الله بن محمد.

من المناسبات التي لا يرد ويجيب فيها إلا كبار الأسرة أو العشيرة، وكان يستشيره استشارة الواثق في كثير من أموره، وهو دون سن البلوغ، وكان واصلا لرحمه، ويشق عليه ذلك كثيرا ذلك، لتنقلهم الكثير في البلدان – بسبب ظروف عمل والده – فمنذ بلوغه سن الخامسة عشر جعل لنفسه برنامجا في ذلك فكان، لا يترك زيارتهم جميعا في العيدين، ولا يتأخر عن أي واجب لأسرته أو للقبيلة البتة.

وكان منذ صغره معتنيا بنفسه من ناحية الرقي في أسلوب الكلام، والهندام المتكامل، واعتنائه بلباس أفضل ما عنده، وكان دائما يقول: (ابتزوا تعتزوا، تعشقكم نساؤكم، وتهابكم أعداؤكم).

وتولى في سن الخامسة عشر قضية صلح واستطاع أن يحلها بفضل الله، وكان مرجعا للطالبين في هذا الشأن بعد ذلك، وقد ظهرت براعته القيادية في سنه المتقدم، ثم انتقل مع أهله إلى نجران ليدرس المتوسطة هناك، وليستصحب ذلك البناء الشامخ من التدين، والأخلاق النبيلة، والمواقف الجليلة.

## الجهاد الأفغاني وفكر الصحوة:

وفي تلك الفترة بدأ الجهاد الأفغاني، وكذلك انتشر شباب الصحوة، وفكر الدعوة والإصلاح، فكان محمد من شباب الصحوة الأوائل، والتقى بالشيخ المقرئ عبيد الله الأفغاني، وعرف منه حقيقة الجهاد في بلاد الأفغان، وكان عمره آنذاك خمسة عشر سنة تقريبا؛ فتحمس بعد ذلك للجهاد، وعقد العزم على المضي فيه ورتب لنفسه، وجهز حاله ليصطدم بعقوبة كؤود، وهي عدم موافقة أمه فحاول مرارا وكان الجواب بالمنع، بعد ذلك أراد أن يساهم في دعم المجاهدين فوجد أنهم بحاجة ملحة إلى المال؛ فعمل على ذلك، وبعد هذه الفترة وجه نفسه لنصرة قضايا المسلمين والسير مع كل من يخدمها.

## الاستقرار في مكة:

ثم انتقل مع أهله إلى مكة المكرمة، ليدرس فيها الثانوية، مصطحبا ما تميز به من وضوح هدفه لنصرة أمته، فدرس الثانوية بمكة المكرمة، وعلم بعد تجربته لدعم إخوانه المسلمين في بلاد الأفغان أن لا بد من كيان اقتصادي ثابت لدعم قضايا المسلمين، والمجاهدين خاصة، فاتجه إلى التجارة، وكان قد تميز بحسن العرض، وبراعة في الإقناع، وذكاء في الإدارة، مع قوة الصبر والتريث، ولين جانب تميزه في أموره الاجتماعية.

## التجارة وطلب العلم:

وبدأ الشيخ محمد التجارة منذ سن مبكرة، وهو ابن ١٦ سنة، وسافر إلى أمريكا، وفتح الله عليه بعدها حتى أصبحت عنده ثروة، وهو في أول العشرين، وفي تلك الفترة أيضا وما بعدها كان رحمه الله مهتما بالعلم وأهله، فكان يحضر مجالسهم ودروسهم ومحاضراتهم في مكة، أمثال الشيخ ابن باز، وابن عثيمين، وابن غديان، وعبد الله العجلان، ويحيى بن عثمان الهندي، وسفر الحوالي، وكان يرعى بعض طلاب العلم في الحرم، ومركز الشيخ الإمام في معبر باليمن، وكان ذا معرفة شخصية بأشياخه فيعرفونه ويحبونه وخاصة ابن عثيمين رحمه الله، وكان محبا لطلاب العلم الذين سلكوا سبيل الدعوة داعما لهم.

## الدراسة الجامعية:

ثم دخل الجامعة وتنقل بين عدة أقسام فابتدأ بكلية الدعوة، ثم التاريخ، وقد درس على المشايخ في الكلية وخارجها الكتب الشرعية التي تدرس عادة ككتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، وكشف شبهات مسائل الجاهلية، ودرس منهج السالكين للشيخ السعدي، ودروس شرح العقيدة الطحاوية للشيخ سفر الحوالي في جدة، وغير ذلك من المؤلفات والدروس.
ولم يستطع أن يجمع بين تجارته ودراسته الجامعية؛ فتركها، وواصل تجارته التي أسسها في الدمام، والخبر، والجبيل، الأحساء، والهفوف، وهي عبارة عن مراكز للملابس الجاهزة.

## زواجه وأولاده:

وقبل ذلك بفترة يسيرة تزوج زوجته الأولى: أم عبد الله، وهي المرأة العابدة الزاهدة طالبة العلم، منى بنت الأمير أحمد بن سعد آل بن مفرح، تزوجها وكان عمره ثلاثة وعشرون سنة، وعمرها ثمانية عشر سنة أنجب منها: عبدالله، سعد، الشيماء، بسمة، سعيد، عبد الرحمن، أحمد، عبد المجيد، وقد خلفته خيرا في تربية أولاده جزاها الله خيرا.

## انتقاله إلى المنطقة الشرقية:

ثم انتقل مع زوجته إلى المنطقة الشرقية لأجل تجارته، واستمر فيها أكثر من خمس سنين، ليتمكن من إدارة تجارته وأسواقه، وقد رزق تلك الفترة بولديه سعد والشيماء، وبعد أن رزق بسعد توفي والده في حادث سير بعد

أن زاره مهنئا له بولده، ليتقلد بعدها الشيخ محمد شئون عائلته جميعا، وفي تلك الفترة شعر أنه انشغل بالتجارة عن غايته العظمى وهي نصرة قضايا أمته، ففكر بالانتقال من الشرقية، ويسر الله له ذلك بعد أن كان قد نجح نجاحا واسعا في تجارته فيها، فقد أراد أن يلتقي بكل من يعمل لأجل أمته ليعمل معه.

### العودة إلى مكة:

وعاد إلى مكة، وأنشأ مصنع هايبر وأدخل فيه أول مخبز آلي متحرك في مكة المكرمة، وفتح الله عليه في ذلك، والتقى في تلك الفترة بكثير من المصلحين، ورزق بابنته بسمة آنذاك، وقد كانت لديه كثير من النظريات الاقتصادية التي أراد من خلالها دعم أمته وجهادها، كأوقاف (الوحدة الإسلامية)، وكانت فكرتها تقوم على تعاون التجار المسلمين، لإنشاء هذا الوقف في الحرمين، وعود ريعه لكل ما يخدم هذا الهدف، وقوبل برفض الكثير بسبب عدم موافقة الحكومة له، وغير ذلك من النظريات الاقتصادية، ومع مرور الوقت وجد أن البيئة غير مناسبة في مكة المكرمة، ولوجود النشاط الملموس في الجنوب، قرر أن ينتقل إلى بلده أبها.

### الانتقال إلى أبها:

وقد يسر الله له الانتقال إلى بلد أسرته أبها، وأنشأ ثالث أكبر مصنع في منطقة الجنوب، وأخذ فيه المركز الأول في الترتيب والنظافة، وأول عمل قام به بعد إنشاء المصنع، تأسيس ديوان في أبها يجمع فيه ما بين العلماء، والمصلحين، والتجار، والمجاهدين، لتوطيد العلاقة بينهم، ليتقوى كل منهم بالآخر، فكان ديوانا حافلا – كل ثلاثاء – بكل خير.

وقد كان يزوره في أبها الشيخ عائض القرني وعوض القرني وأحمد القطان وغيرهم من مشاهير الدعاة، كما زاره الشيخ ابن جبرين والشيخ الألباني وغيرهم من العلماء...

وقد رزق في أبها من الذرية، سعيد، وعبد الرحمن، وأحمد، من زوجته الأولى أم عبد الله ابنة عمه أحمد بن مفرح.

وأنجب من زوجته الثانية إلهام الإدريسي ولده عبد الملك، ثم ابنته ندى في تركيا بعد هجرته.

واستمر في أبها في عطائه، وبعد فترة بدأت فتنة سوق الأسهم، ورأى الناس السراب الذي ظنوه خيرا؛ فقرر أن يدخله، وكان قد دخل دورات عديدة حتى أتقن الأسهم وإدارتها، وأصبح فيها مدربا، ففتح محفظة فيها عشرات الملايين له، ومثلها لأشخاص يدير لهم محافظهم، هو وشريك لهم؛ فكانت الفاجعة بانهيار سوق الأسهم السعودي؛ لينكشف له حجم اللعبة العالمية، واستطاع بفضل الله أن يرد للناس رؤوس أموالهم، ورضي

أن يتكبد الخسارة، ولا يحمل في ذمته شيء، وقد خاف عليه الكثيرون، بسبب ما حصل فلما رأوا رضاه وصبره، رضوا وصبروا.

وفي تلك الفترة وقبلها كان له وللدكتور - المحدث - أحمد بن غرم الغامدي، وغيرهم من إخوانهم، اتجاهات فكرية متقاربة، ورؤى متناسقة، بوجوب الإصلاح الشامل المتكامل، ووجدوا فكرهم منضبطا ومؤصلا في كتاب (الحرية أو الطوفان).

وفي عام ٢٠٠٥م، شرع الوالد في مشروع عظيم، وهو إنشاء متحف يجمع فيه آثار المنطقة، وجعل مقره "قصر ناجح" وخطر في ذهنه جعل قسم خاص للمخطوطات الشرعية والتاريخية والأدبية، وبدأ بالجمع مركزا على مخطوطات السادة الشافعية؛ لأن الوالد - رحمه الله - كان شافعيا.

وبدأ بالجمع على الصعيدين، إلا أن الأمر لم يتم، وثمة بعضها موجود عندي، والآخر غرق جراء سيول جدة الأخيرة.

## الانتقال إلى جدة:

ثم انتقل بعدها إلى جدة، وبدأ بتجارة العقار هو والشيخ د. أحمد بن غرم الغامدي؛ وعلاقتهما قديمة قبل ذلك، فكان أحمد غرم يستشير والدي في كل عمل تجاري يريده، وكان والده - رحمه الله - صديقا لوالدي، فاستأجرا مكتبا ضخما، وافتتحا الفرع الأول من سلسلة مطاعم كرمي.



الشيخ محمد المفرح في افتتاح المطعم بجدة

وكانت تلك الفترة ذروة اللقاءات بين والدي الشيخ محمد المفرح والدكتور أحمد الغامدي والدكتور حاكم المطيري.

وكان الوالد قد وفق في بعض أعماله في جدة، حتى أنه عرض عليه أن يعمل وكيلا لأحد الأمراء في مخطط سكني تزيد قيمته على العشرين مليونا، ولكن حال دون ذلك سفره بعد إعلان الحزب، وكان قد انقطع للعبادة قبل ذلك بسنوات، فكان يحيي أكثر الليل، وكان ذاكرا لله غالب وقته، وكان متألما لحال أمته رحمه الله.

تأثر والدي كثيرا بالشيخ محمد قطب وبكتبه، وبسيد قطب، وبأبي الأعلى المودودي، والندوي، ومالك بن نبي، وبالحوالي، وبالشيخ حاكم المطيري)، انتهى بتصرف يسير من ترجمة ولده عبد الله عنه.[1]



مع د. حاكم أثناء زيارة الشيخ محمد قطب بمنزله بالعزيزية في رمضان ٢٠١٠م

## بداية نشاط محمد الحركي والسياسي:

كان أول لقاء بيني وبين الشيخ محمد بن سعد آل مفرح سنة ١٩٩١م أو ٩٢م حين أتيت مكة لاستكمال دراسة الماجستير في جامعة أم القرى، وكان قد زارنا برفقة الشيخ د. أحمد آل غرم الغامدي – فك الله أسره وعجل فرجه – وكان الشيخ أحمد الغامدي آنذاك يدرس معي في قسم الكتاب والسنة، في كلية أصول الدين، وكان مدير الجامعة حينها الشيخ الفاضل الشريف د. راشد الراجح، وكان عميد الكلية الشيخ علي العلياني، وكان رئيس قسم الكتاب والسنة الشيخ د. عبد الله الدميجي، ورئيس قسم العقيدة الشيخ سفر الحوالي، الذي أصر علي – وقت التحاقي أنا والشيخ عواد العنزي بجامعة أم القرى – حين رأى درجات شهادتي الجامعية أن أكون

(١) انتهى مختصرا بتصرف يسير من رسالة ولده عبد الله.

طالبا في قسم العقيدة، فاعتذرت له، لأن بعثتي من الكويت هي إلى قسم الكتاب والسنة، وكان للشيخ سفر فضل بعد الله في تسهيل إجراءات التسجيل لي وللأخ عواد العنزي، وكذا كان للشيخ الشريف راشد الراجح موقف كريم في مساعدتنا، حيث لم تصل أسماؤنا في كشوف الطلبة من وزارة التعليم السعودي، وكادت السنة المنهجية التي درسناها في أم القرى تذهب سدى، فدخلت عليه مع الأخ عواد الذي كان يدرس في قسم العقيدة مبتعثا من جامعة الكويت، وكتبت قصيدة في الشريف راشد الراجح، استثير نخوته الهاشمية، وشهامته القرشية، وأولها: يا راشد الخيــر والآداب والقيم *** وراجح العقل في مهمات الظُلم

وكان الشيخ راشد الراجح شريفا نسبا وحسبا، وخلقا وأدبا، وكانت الجامعة في عهده تعج بالحياة العلمية والفكرية والأدبية والسياسية، فما إن قرأ القصيدة حتى نهض قائما، ووعد بحل الموضوع بنفسه، وقال أنا ذاهب للرياض قريبا، وسأحل المشكلة بنفسي، فأكملا دراستكما، ولا تقلقا بشأن الموافقة النهائية، ووفى بوعده رفع الله قدره.

وقد عرفت حينها من الشيخ أحمد الغامدي – وبعد أول لقاء مع الشيخ محمد المفرح – أن محمدا من آل مفرح من آل مغيد، شيوخ قبائل عسير، ويرجع في نسبه إلى قريش ثم بني أمية، ومن ذرية معاوية ﵁، وكان الشيخ محمد يومها شابا يافعا، ومع ذلك فقد كان من أهل الجاه والثراء، وكانت تبدو على محياه الأغر النجابة القرشية، والشهامة الأموية، فلا يراه أحد إلا أحبه مودة، وهابه إجلالا، وكان يبني حينها مجمعا وسوقا مركزيا كبيرا بمنطقة العزيزية الجديدة، ثم اشتراه منه ابن داود بعد ذلك بخمسة ملايين ريال، كما سمعت، ولم يخطر في بالي يومها أن هذا الشاب سيترك المال والجاه ويخرج مهاجرا ومجاهدا في سبيل الله!

وأننا سنكون جميعا بعد بضع سنوات دعاة في مشروع (مؤتمر الأمة) لنعمل معا من أجل (أمة واحدة وخلافة راشدة)!

وكلما رأيت الشيخ محمدا بعد هجرته وما عرض له فيها من أهوال تذكرت مصعب بن عمير ﵁، وكيف كان أجمل شباب قريش صورة، وأوسعهم جاها وثراءً، قبل إسلامه، ليهاجر إلى المدينة فقيرا، ويستشهد في سبيل الله يوم أحد، فلا يجدون حين دفنه ما يغطون به جسده!

ولقد كان حال محمد كما قال عنه صاحبه أبو صالح القحطاني: (محمد بن سعد آل مفرح الأموي القرشي، ما إن يتردد ذكره في أذني إلا ويطير خيالي إلى ذلك الصحابي الجليل مصعب بن عمير ﵁ ، وما كان فيه من العز ورغد العيش والرفاهية، فلما عرف الحق ترك كل ذلك خلف ظهره ليتجه إلى ربه، وترك متاع الدنيا والأبهة التي كان يعيشها، لأنه عرف مراد ربه جل جلاله منه، ومراد نبيه ﷺ، لقد كنت أعرفه من قبل أن يزدان بشرف

الجهاد ليدافع عن أمته، وهو في غنى وجاه، وقد صرفت له وجوه الرجال، وأثنت المكارم ركبها عند عطوف مجالسه، إن تحدثت عن كرمه فقد طارت الركبان بذلك، وإن تحدثت عن نسبه فلست أنا من يزكي نسبه الشريف، وإن تحدثت عن خلقه فقد كان الغاية في سمته وأدبه).

وكان الشيخ محمد منذ عرفناه بمكة مواظبا على حضور دروس الشيخ سفر الحوالي ومحاضراته في جدة ومكة، وغيره من المشايخ، ومحافظا على الصلوات الخمس في الحرم، وقد اشتهر الشيخ محمد - مع ما كان فيه من ثراء وجاه - بالعبادة والذكر والصيام وقيام الليل وقراءة القرآن، حتى كأنما هو من الأبدال الأولياء، والزهاد الأتقياء، وكان رحمه الله على خلق عظيم جم، ووقار وحلم، وأدب وافر طبعا لا تطبعا، وسجية لا تكلفا، مع حب للجهاد والمجاهدين، وتوقير للعلماء الربانيين.

وكان يزورنا ونحن طلبة بمكة، أنا والشيخ عواد العنزي وأحمد الغامدي، فلا نسمع منه إلا كل خير، ولا نرى منه إلا كل جميل، مع حرصه على نفع إخوانه وخدمتهم، وقد كنت سنة ١٩٩٥م أعاني مرضا شديدا في المعدة، لم ينفع معه العلاج الطبي، فعرف بذلك، وجاءني بكتاب (التداوي بالعنب) وقال لي: جربه، فقد جربته في تخفيف الوزن فنزل وزني عشر كيلوات في أسبوعين، فأخذت الكتاب منه، فلما رجعت للكويت بدأت بحمية العنب، لمدة ثلاثة أسابيع، ثم لمدة شهر إلى خمسة أسابيع، فشفيت تماما من كل آلام المعدة، فكانت أول بركاته علي، ونفعه لي، وصرت أدوام على حمية العنب كل سنة من سنة ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٥م!

وبعد انتهائي من الماجستير سنة ١٩٩٥م، سافرت لاستكمال الدكتوراه في بريطانيا من سنة ١٩٩٧م إلى ٢٠٠٠م، بعد رفض جامعة أم القرى قبولي فيها - مع أني كنت الأول على الدفعة في الماجستير - بدعوى عدم صدور الموافقة الأمنية من الجهات المختصة، وكانت تلك سياسة اتخذها وزراء الداخلية العرب لمواجهة التطرف في الجامعات في إطار حملة الرئيس الأمريكي آنذاك كلينتون، لتجفيف منابع التطرف!

وكنت وأنا طالب في الماجستير أكتب في صفحة المشكاة في صحيفة الوطن بالكويت في زاويتي (سوانح الفكر)، وكتبت مقالي (رقص في مدريد)، عن مؤتمر مدريد الذي رعته دول الخليج لتحقيق السلام مع إسرائيل، وهو ما أثار غضب دوائر الأمن!

وكانت جامعة أم القرى في تلك الفترة قد تغيرت أحوالها رأسا على عقب، بعد انتهاء فترة الشريف راشد الراجح لرئاستها، وبعد اعتقال الشيخ سفر الحوالي، وموجة الاعتقالات للمشايخ والدعاة!

وكان حالها كما قال الجرهمي:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ❊❊❊ أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أو كما قال كثير عزة يبكي أطلال صباه:

وأوحشن بعد الحي إلا مساكنا *** يرين حديثات وهن دواثر

وكانت إذا أخلت وأمرع ربعها *** يكون عليها من صديقك حاضر

فقد خف منها الحي بعد إقامة *** فما إن بها إلا الرياح العوائر

وما أجمل قول البحتري في أطلاله وكأنه يصف حال جامعة أم القرى تلك الأيام:

تحمل عنه ساكنوه فجاءة *** فعادت سواء دوره ومقابره

إذا نحن زرناه أجدّ لنا الأسى *** وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

وقد انقطع التواصل بعد سفري إلى بريطانيا بيني وبين الشيخ محمد المفرح، بسبب انشغالي بالدراسة، وانشغاله بالتجارة، ثم علمت أنه ذهب إلى المنطقة الشرقية في السعودية، وافتتح سوقا كبيرا للملابس، وراجت تجارته، وبورك له فيها، ثم بعد عودتي من الدكتوراه سنة ٢٠٠٠م، زرت مكة، والتقيت الشيخ المفرح والشيخ أحمد الغامدي وتجدد بهما العهد من جديد.

## كتاب الحرية ومشروع الأمة:

وبعد صدور كتاب (الحرية أو الطوفان) سنة ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، كان الشيخان الغامدي والمفرح من أكثر الدعاة اهتماما به، وأكثرهم مناقشة لطلبة العلم في موضوعه، وكما قال عبد الله ابن الشيخ محمد المفرح عن والده: (وفي تلك الفترة وقبلها كان له وللدكتور أحمد بن غرم الغامدي، وغيرهم من إخوانهم، اتجاهات فكرية متقاربة، ورؤى متناسقة، بوجوب الإصلاح الشامل المتكامل، ووجدوا فكرهم منضبطا ومؤصلا في كتاب (الحرية أو الطوفان)... وكانت تلك الفترة ذروة اللقاءات بين الشيخ محمد المفرح والدكتور أحمد الغامدي والدكتور حاكم المطيري).

ثم بعد محاضراتي في ديوان د. سعود مختار الهاشمي - فك الله أسره - لمدة ثلاث ليال في رمضان سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م عن (الخطاب السياسي الإسلامي الراشدي)، كان الشيخ محمد المفرح ومن معه من إخوانه من أكثر الذين أعانوا على نشرها وتوزيعها في أشرطة الكاسيت والسيدي على المشايخ وطلبة العلم في الحجاز والجنوب والرياض، وقد كان لها صدى طيبا، كما كان للكتاب أثر كبير، وكان الشيخ محمد يحاور المشايخ والدعاة فيما في الكتاب من أدلة، حتى اطمأن إلى أنه الحق وأنه فرض الوقت الذي يجب نصرته، لشدة حاجة

**الأمة إليه في هذا العصر، لإصلاح واقعها السياسي بهداية الخطاب القرآني والنبوي والراشدي، لا بالملك الجبري القائم، ولا بالنظام الغربي الديمقراطي القادم، ولا يسع أهل العلم والدعاة إلا الدعوة إليه...**

**وفي حج سنة ٢٠٠٧م كان لقاء بيننا وبين الشيخ محمد المفرح - والإخوة المؤسسين بعد ذلك لحزب الأمة الإسلامي - كما قال الشيخ سيف الهاجري الذي كان معي في ذلك الحج: (في حج عام ٢٠٠٧م، هو بداية لقائي مع الشيخ المجاهد محمد المفرح، وكان لقاؤنا هو في إطار دعوتنا لإحياء (مشروع الأمة) ونهضتها، ووجدت فيه الوجه البشوش، والصمت المهيب، والاستماع العميق، وكثرة الذكر... وفي عام ٢٠٠٨م زارني الشيخ محمد لأول مرة في منزلي، وكان يوم الجمعة، وأولمت لهم غداء خاصا بحضور الدكتور حاكم المطيري).**

**ومضت السنون فلم يزدد محمد فيها إلا إيمانا ويقينا بوجوب الإصلاح السياسي، حتى إذا اطلع على كتاب (تحرير الإنسان وتجريد الطغيان -وهو دراسة في أصول الخطاب الراشدي العقائدية والفقهية-) ومشروع (الأمة) سنة ٢٠٠٨م، فإذا هو من أول المؤمنين به، والداعين إليه، وبضرورة العمل من أجله، ووجوب بعث الخطاب السياسي النبوي والراشدي في الأمة، وأنه لا يسع المصلحين إلا الدعوة إليه ونصرته، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها...**

## تأسيس حزب الأمة الإسلامي:

**وفي سنة ٢٠٠٧م بدأت الفكرة تراود الشيخ محمد المفرح ومن معه من إخوانه بضرورة قيام عمل سياسي منظم يدعو إلى:**

**١- مشروع (الأمة الواحدة)؛ لمواجهة الاحتلال الأجنبي الخارجي.**

**٢- ومشروع (الخطاب السياسي الإسلامي الراشدي)؛ لمواجهة الطغيان والاستبداد الداخلي.**

**فصاروا يعرضون الفكرة على المشايخ الذين يثقون بهم، حتى استجاب لهم من استجاب، وتم تأسيس الحزب سنة ٢٠٠٨م في جدة، كأول حزب سياسي سلمي، وصارت اللقاءات تتكرر بعد ذلك بين المؤمنين بالمشروع من كل بلد، كل سنة في الحج ورمضان، وكان الشيخ المفرح وإخوانه في (حزب الأمة الإسلامي)، يستأجرون الشقق لمثل هذه اللقاءات التي كانت تستمر طوال شهر رمضان في مكة، وتأتي الوفود من كل مكان للعمرة والعبادة ودراسة أحوال الأمة، والمخرج من الأزمة التي تعيشها، وضرورة بعث الخطاب الراشدي، والدعوة إليه، والجهاد في سبيل نصرته.**

### تأسيس (مؤتمر الأمة):

وكانت فكرة (مشروع الأمة) قد طرحت بعد الحملة الغربية الصليبية العسكرية واحتلالها أفغانستان سنة ٢٠٠١م، ثم بعد احتلالها العراق سنة ٢٠٠٣م، وقد ذكرت بعض أحداثها في (أسطورة الثورة)، تلك الحملة التي كشفت عن أزمة الأمة السياسية وأبعادها، والتي تتمثل في تشرذم دولها، ووقوعها تحت النفوذ الأجنبي، من جهة، وفساد حكوماتها وضعفها وعجزها من جهة أخرى.

وقد مر (مشروع الأمة) بمراحل، ثم تطور حتى تم الإعلان عنه باسم (مؤتمر الأمة)، والذي يؤمن:

١- بوجوب (إقامة الدولة والحكومة الراشدة على مستوى القطر) في كل بلد تتحرر فيه إرادة الأمة من الاحتلال الأجنبي والاستبداد الداخلي، لتحقيق الإصلاح، وإقامة العدل، واستئناف الحكم الإسلامي الراشد، ولو بشكل جزئي في ذلك البلد، كما في الحديث الصحيح: (ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم).

٢- وجوب (وحدة الأمة وإقامة الخلافة الراشدة) على مستوى الأمة كلها، باعتبار أن (الحكومة الراشدة) هي رئاسة على بعض الأمة في قطر من أقطارها، بينما (الخلافة الراشدة) هي رئاسة عامة على الأمة أو أكثرها، في كل بلدانها أو أكثرها، وأن مهمة إقامتها هي مسئولية الأمة نفسها، من خلال دولها وحكوماتها الراشدة، التي يجب عليها أن تتولى هذه المسئولية والمهمة الشرعية والتاريخية في إعادتها من جديد (أمة واحدة وخلافة راشدة)، ولهذا كان شعار (مؤتمر الأمة) هو (من الحكومة الراشدة إلى الخلافة الراشدة)، باعتبار أنه لا يمكن أن تقوم خلافة راشدة عامة، إذا لم تستطع الأمة وشعوبها قبل ذلك أن تحقق الرشد، وتقيم حكومات راشدة، في دولها وبلدانها، فإذا عجزت عن تحقيق الإصلاح الجزئي على مستوى القطر، فهي عن الإصلاح الكلي العام على مستوى الأمة أشد عجزا!

٣- وجوب قيام (جماعات وتنظيمات سياسية راشدة) تعمل من أجل تحقيق هذه المهمة في دولها، وتبشر بها، وتتعاون فيما بينها، مع كل مكونات الأمة لتحقيق الإصلاح المنشود.

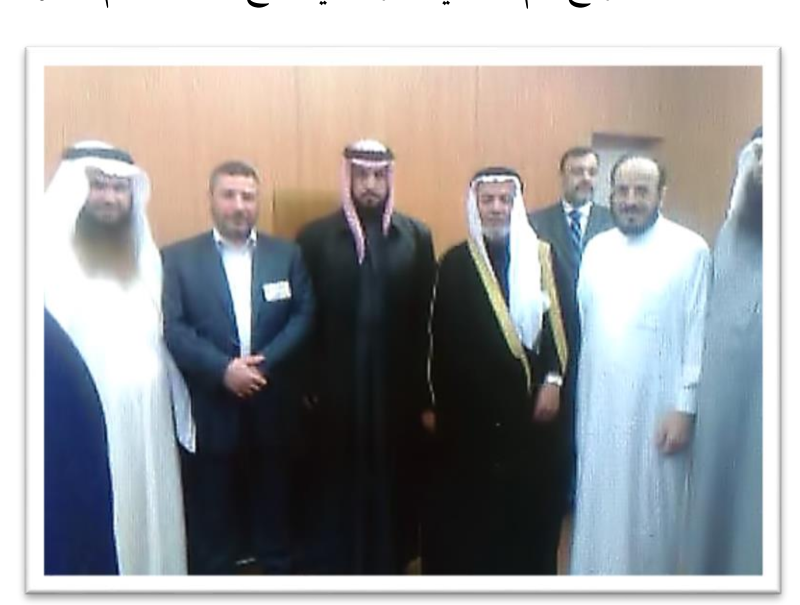
وفي يوم الجمعة ٢٦ محرم سنة ١٤٣٠هـ - ٢٣ يناير سنة ٢٠٠٩م زارنا الشيخ محمد المفرح ومعه بعض قيادات (حزب الأمة الإسلامي)، وتم توقيع النظام الأساسي لمؤتمر الأمة، بين ثلاثة أحزاب في العالم العربي، وبدأ العمل على عرض المشروع على التنظيمات التي يمكن أن توافق على المشاركة في تأسيس (مؤتمر الأمة)، كأول اتحاد بين تنظيمات سياسية تؤمن بالخطاب السياسي الإسلامي الراشدي، وكان للشيخ محمد وإخوانه في (حزب الأمة الإسلامي) دور كبير في ذلك، كما أخبر بذلك الشيخ سيف حيث يقول: (وفي عام ٢٠٠٩م تم

توقيع النظام الأساسي والبدء بتأسيس (مؤتمر الأمة)، وذلك في الكويت، بمقر (حزب الأمة) بمشاركة د. حاكم المطيري، ومحمد المفرح، وسيف الهاجري..) وأخوة آخرون من حزب الأمة الإسلامي.

## السفر إلى إسطنبول:

وقد رأى الموقعون على البيان التأسيسي لمؤتمر الأمة ضرورة المشاركة في مؤتمر (الحملة العالمية لمقاومة العدوان) تحت شعار (غزة النصر) بعد العدوان الصهيوني عليها، بتاريخ ١٣/ ٢/ ٢٠٠٩م، وشارك حزب الأمة في الكويت، وحزب الأمة الإسلامي، في المؤتمر، وشارك فيه الشيخ محمد المفرح وبعض قيادات حزب الأمة الإسلامي، وعلى هامش (مؤتمر نصرة غزة)، كانت تجري اللقاءات مع قيادات التيار الإسلامي على اختلاف توجهاتهم، ودعوتهم لمشروع (مؤتمر الأمة)، وصادف ذلك - قدرا - مرور مئة عام على خلع السلطان عبد الحميد الثاني، والذي كان بداية حكم الاتحاديين الكماليين ونهاية الخلافة فعليا، فاستبشرنا بحديث (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها)!

وفي ذلك المؤتمر التقينا بالشيخ راشد الغنوشي وأهديته كتاب (الحرية أو الطوفان) آنذاك، وبشرته حين ودعته بالفندق بالفرج القريب والعودة إلى تونس، فابتسم ابتسامة هي أشبه بالحزن منها بالفرح، وكأنما العودة عنده حلم جميل إلا إنه بعيد الوقوع، ولا تسعفه أحداث الواقع، ثم زارنا في الكويت في مطلع سنة ٢٠١٠م وبشرته بقرب التغيير، فما مضى عشرة أشهر إلا وقد عاد من المهجر إلى تونس، وتذكرت حديث النبي ﷺ: (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيَره)[1] أي قرب فرجه!



د. حاكم والشيخ المفرح في مؤتمر (غزة النصر) بإسطنبول سنة ٢٠٠٩م مع الشيخ حارث الضاري و د. محمد الأحمري –على يسار الشيخ الضاري–

كما التقينا نحن والشيخ محمد المفرح وقيادات (حزب الأمة الإسلامي) بالشيخ حارث الضاري الأمين العام لهيئة علماء العراق، كما التقينا بقيادات فلسطينية،

(١) سنن ابن ماجه ح رقم ١٨١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح رقم ٢٨١٠.

وبغيرها من القيادات التي حضرت ذلك المؤتمر، وكان الحديث عن ماذا بعد هذا العدوان على غزة وحصارها من قبل الأنظمة العربية الوظيفية؟ وما المخرج من هذه المحنة التي تمر بها الأمة؟

وكان هذا هو الهاجس، وكان الحل في نظر قيادات (مؤتمر الأمة) - التي كانت تجوب جنبات المؤتمر وتعرض مشروعها، وتبشر به، وتدعو إليه - هو ضرورة التغيير بكل الوسائل السلمية أو الثورية، ووجوب ثورة الأمة على طغاتها، وتحقيق الإصلاح السياسي!



من اليمين: د. حاكم، الشيخ محمد بن غانم، الشيخ نعيم التلاوي، الشيخ خالد عدوان، الشيخ محمد المفرح في مؤتمر (غزة النصر) ٢٠٠٩م

وقد أخبر الشيخ نعيم التلاوي عن تلك اللقاءات فقال: (التقيت بالشيخ محمد المفرح لأول مرة في إسطنبول على هامش فعاليات مؤتمر (غزة النصر) الذي رعته (الحملة العالمية لمقاومة العدوان) بعد الحرب الأولى على غزة، وكان الشيخ محمد رحمه الله متحفزًا ومستعدًا للبدء في مشروع كبير على مستوى الأمة هدفه (إقامة حكومات راشدة) تنتهي بـ (خلافة راشدة على منهاج النبوة)، يكون مقرها (بيت المقدس) الأمر لم يحتج منا كثيرا لنتوافق مع ما يطرحه، دارت عجلة لقاءات سريعة وحميمة جرت بيننا أنا والشيخ خالد عدوان من طرف والشيخ محمد المفرح والوفد الذي كان على رأسه الشيخ حاكم حفظه الله، اللقاءات كانت سريعة وحميمة بسبب ضيق وقت المؤتمر، وبسبب التوافق المتطابق



بيننا بالرؤى والأفكار، جلس معنا الشيخ محمد رحمه الله والشيخ خالد جلسة خاصة، وكان معه بعض إخوانه من (حزب الأمة الإسلامي)، وحلف لنا أن هذا المشروع الذي يطرحونه هو الحل الصحيح الكامل المتكامل الذي سوف يحرر لنا فلسطين[1]، ويستعيد لنا القدس، وكنت أنا وخالد قد وصلنا إلى هذه القناعات لأن هؤلاء اليهود الذين أقاموا دولتهم على على أرض فلسطين لم يستطيعوا ذلك لولا وجود معسكر عالمي يقف خلفهم، ونحن إذا ما أردنا أن نواجه التحدي الذي فرض علينا نتيجة وجود هذا الدولة اليهودية الفاشية وما تحتله، يجب علينا أن نبني مشروع أمة لأن التحدي كبير، والأمة لا يمكن أن تجمع إلا على مثل هذا المشروع، لذلك حدث التواقف والاندماج السريع والحمد لله في مشروع مؤتمر الأمة).

## الرحلة إلى اليمن:

وقد تم الاتفاق في إسطنبول بين (حزب الأمة) في الكويت، و(حزب الأمة الإسلامي) في المملكة العربية السعودية، وباقي تنظيمات (مؤتمر الأمة) التي التقت على هامش مؤتمر (نصرة غزة) في إسطنبول، على البدء باليمن لأهميته، وضرورة السفر إليه، والالتقاء بقياداته الفكرية والسياسية، وكانت الرحلة اليمانية بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠٠٩م، حيث زرت الإخوة في (حزب الأمة الإسلامي) وصحبنا الشيخ محمد المفرح بسيارته، وسافرنا سويا مع بعض قيادات حزب الأمة الإسلامي إلى اليمن عبر الحدود السعودية، وكانت صعدة هي أول محطة لنا، والتقينا بدعاتها ومشايخها، ثم توجهنا إلى صنعاء وزرنا الشيخ عبد المجيد الزنداني في بيته بجامعة الإيمان، وأهديناه كتاب (الحرية أو الطوفان)، وتذاكرنا خطورة ما وصل إليه حال الأمة بعد حرب غزة، وضرورة قيام الأمة بمسئوليتها، ووجوب التغيير والإصلاح السياسي في كل بلد، وقيام العلماء بدورهم، كما التقينا بعض قيادات التجمع للإصلاح كالدكتور صالح السنباني عضو البرلمان في صنعاء، الذي دعانا إلى العشاء وتذاكرنا معه أحوال الأمة، ثم أكملنا الحديث في الغد على الغداء في بيت الخطيب وعضو البرلمان عن التجمع للإصلاح الشيخ محمد الحزمي، وتحدثنا عن الأزمة التي تعيشها الأمة وعجز الجماعات الإسلامية بجميع فصائلها عن تطوير أدائها بسبب شبكة المصالح والتحالفات مع الأنظمة على حساب الشعوب التي فقدت ثقتها بالأنظمة وبالإسلاميين الذين تحالفوا معها، أو من نجحت الأنظمة في توظيفهم في دور المعارضة الوهمية، لامتصاص غضب الشارع وتخفيف الاحتقان عنه، مع اطمئنانها بأنه لا خطر عليها منهم!

---

(١) وكان الشيخ المفرح موقنا بذلك ودوما ما يكرره، ومما كتبه على حسابه في التويتر ٣١/ ٨/ ٢٠١٢م: "إن تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني لن يتحقق إلا بتحرير الخليج والعراق من الاحتلال الأمريكي واستعادة العرب سيادتهم على أرضهم وثرواتهم".

وتحدثنا عن عجز التيار الإسلامي وهو الأكثر شعبية بكل فصائله عن التعاون وتغيير الواقع، وفي الوقت الذي تتعاون كل فصائله مع الأنظمة بصورة أو بأخرى، يرفض بعضهم التعاون مع بعض!

وقلت لهم بأن الجماعات أصبحت تعيش في جزر معزولة، لكل جماعة عالمها الخاص، والسبب هو أنهم يعتقدون بأن مهمتهم هو الدعوة إلى الله ولو كانوا وحدهم، وليس مهمتهم تغيير الواقع وإصلاحه، الذي يفرض عليهم التعاون مع غيرهم، ولهذا يشعرون بالرضا عن النفس مهما كان الأداء سيئا، ومهما كان الواقع أسوأ، فهم يريدون الآخرة، أما الدنيا فإن صلحت وإلا فلا تستحق التضحية والثورة من أجل إصلاحها!

وهذا ما يفسر سبب فرحهم وتنافسهم في افتتاح فرع دعوي هنا، ومركز هناك، وكسب بضعة أتباع هنا وهناك، وإقامة ندوة هنا، ومحاضرة هناك، في الوقت الذي تعيش دولهم وشعوبهم بؤسا وشقاء تحت حكم الطغاة والاستبداد الداخلي، وتئن من وطأة الاحتلال والنفوذ الأجنبي، دون أن يشكل لديهم أزمة تستحق المواجهة!

وهذا السبب أيضا الذي جعل تلك الجماعات لا تتعاون فيما بينها، ولا تحتاج بعضها، بينما العمل السياسي الذي موضوعه الدولة والسلطة والمجتمع يقتضي ممن يريد تغييره وإصلاحه البحث عن كل من يتعاون ويشترك معه في تحقيق التغيير، وهذا ما فعله النبي ﷺ حين دخل المدينة وحالف من حالف، وسالم من سالم، من أجل إصلاح الواقع السياسي وتغييره، لصالح العدل والقسط الذي جاء به الإسلام.

وكان الدكتور صالح السنباني يستمع والحزن يملأ قلبه، وقد اعترف بوجود أزمة في الوعي السياسي، وغياب للمشروع لدى قطاع واسع من التيار الإسلامي... إلخ

وكان الشيخ المفرح مشاركا في كل هذه اللقاءات، ومع أنه قليل الكلام، إلا أنه إذا تحدث أجرى الله الحق على لسانه، فيؤثر في قلب السامع مباشرة، مع قدرة على الاختصار، وإيصال الفكرة بإيجاز، كما قال عنه الأستاذ إياد العطية – المسئول الإعلامي في جبهة تحرير وإنقاذ العراق –: (وإذا ما جالسناه وتعمقنا في وصف وتحليل الأحداث وما تمر به الأمة من أزمات ومؤامرات تحاك ضدها، يستمع إلينا، وهو مستغرق في أذكاره وتسبيحاته، فينصت لنا حتى إذا نطق أجرى الله على لسانه كلمات من القلب، تزرع فينا الأمل بنصر الله ووعده، بعبارات سهلة، بسيطة، غير متكلفة، وهو يقرأ الأحداث من الزوايا التي لا نراها، رابطا إياها بوعد الله الذي وعده لعباده المؤمنين).



### المؤتمر التأسيسي الأول لمؤتمر الأمة:

وكان (مؤتمر الأمة) الأول التأسيسي، قد عقد يوم الجمعة ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٤٣٠هـ، الموافق ١٧/ ٤/ ٢٠٠٩ م، وكان الشيخ المفرح رحمه الله – ومعه بعض إخوانه من قيادات (حزب الأمة الإسلامي) – قد أشرف على تحضير هذا المؤتمر الأول في إسطنبول.

وقد قال عنه الشيخ محمود عبد الجبار: (في العام ٢٠٠٩م في أبريل، كان أول انعقاد لمؤتمر الأمة بإسطنبول، وكانت الوفود من دول الخليج والعراق والسودان والجزائر... وكان من السعودية الشيخ أبو عبد الله محمد المفرح... وكان كثير الصمت، والتأمل، وكثير الهدوء، وكثير الذكر، وذات مرة خرجنا من قاعة اجتماع، وتناولنا وجبة الغداء، وكنا في جلسة، فقال الشيخ أبو عبد الله رحمه الله: تعرفون اليوم مر على سقوط الخلافة العثمانية مئة عام، وذكر الحديث: (إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للأمة دينها)، ثم قال: أظن أن التجديد سوف يكون على عاتق أحزاب (مؤتمر الأمة)..).

### الرحلة إلى المغرب وموريتانيا:

كما سافر الشيخ المفرح بعد مؤتمر الأمة التأسيسي مع بعض إخوانه من قيادات (حزب الأمة الإسلامي) إلى المغرب وموريتانيا للقاء العلماء والدعاة والمفكرين، والتذاكر معهم في أحوال الأمة، وعرض (مشروع مؤتمر الأمة عليهم.

### بدء الإعلان عن نشاط حزب الأمة الإسلامي:

كان الشيخ محمد المفرح وإخوانه في (حزب الأمة الإسلامي) ومنذ تأسيسه سنة ٢٠٠٨م، ينتظرون الفرصة للإعلان عنه، في المملكة العربية السعودية، إلا إن الأوضاع السياسية لم تكن تسمح لهم بذلك، وكانت دعوتهم للمشروع في دوائر ضيقة، حتى كان اللقاء بين الشيخين الوهيبي والمفرح وعدد من إخوانهم في أيام الحج سنة ١٤٣١ هـ، نوفمبر ٢٠١٠م، وكنا قد أتينا للحج من الكويت، وجاء الشيخ حسن الدقي من الإمارات إلى الحج، والتقينا بهم بمكة، وقد قص علينا الشيخ عبد العزيز الوهيبي – يوم التروية ليلة عرفة – مسيرة الإصلاح السياسي في المملكة، ومشاركته في كتابة (مذكرة النصيحة) التي قدمت للملك فهد سنة ١٩٩٢م، واعتقاله بعد ذلك مع من اعتقلوا من الدعاة والمصلحين، وفصله من عمله، وحرمانه من مصادر الرزق والعيش، طوال هذه السنوات!

## البيعة بين الشيخين الوهيبي والمفرح:

وفي ليلة مزدلفة الأربعاء ١٠/ ١٢/ ١٤٣١ هـ - ١٧/ ١١/ ٢٠١٠م - وذلك قبل الثورة التونسية بنحو شهر - دار حوار بين الشيخين الوهيبي والمفرح، وكان بحضوري وحضور الشيخ سيف الهاجري، حول الإصلاح وضرورته، والصدع بالحق، والدعوة للخطاب الراشدي، وقد أخذنا قسطا من الراحة بعد تعب الوقوف بعرفة، وظل الشيخان الوهيبي والمفرح ليلتهما يتحدثان في هذا الأمر، وكنت قد اضطجعت جنبهما أسمع حديثهما وتحاورهما، وأخذ الوهيبي يستحث الشيخ المفرح على القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والكفر بالطاغوت!

وأخذ الشيخ المفرح ليلته كلها يقص على الوهيبي رؤاه، وكان الوهيبي يعبرها له، ويعجب منها غاية العجب، ويدعو له، وقص عليه رؤيته التي فيها أنه يتناول صحيفة فيها آيات معية الله والأحاديث الواردة في المعية، ففرح الوهيبي له وقال له: (أنت تثبت بالرؤى)، فتوكل على الله، ومد يدك نتعاهد على الدعوة إلى الإصلاح، والقيام به لا نخاف في الله لومة لائم، والصبر عليه، فتبايعا وتعاهدا على ذلك، ووفيا بعهدهما بعد ذلك، فقد أمسى الوهيبي وما زال سجينا، ومضى المفرح إلى الله شاهدا وشهيدا!

قال الشيخ سيف الهاجري عما جرى في حج ذلك العام: (في حج ٢٠١٠م التقينا أنا والدكتور حاكم بالشيخ محمد المفرح، وبعض إخوانه من (حزب الأمة الإسلامي)، واتصل بنا الشيخ عبد العزيز الوهيبي من الرياض، وأكد قدومه إلينا للحج معنا، وعقدنا جلسات موسعة نتدارس فيها (مشروع الأمة)، ومن أعجب الأمور وقوع رؤيا للمفرح ذكرها لنا بأنه رأى (خمس ذبائح معلقة وهي مسلوخة وهي حية..)، وأولت على أنها خمس دول تقع فيها الثورة خلال خمس سنين، وكان هذا قبل الثورة بمدة، وحين أتينا مزدلفة، وبعد منتصف الليل، جلس الشيخ محمد المفرح وبعض إخوانه في (حزب الأمة الإسلامي) أمام الشيخ الوهيبي، وأنا جالس أستمع إليهم، فإذا بالوهيبي يقول لهم: والله لن نؤمن، ولن ننجح حتى نكفر بالطاغوت، ونخرجه من قلوبنا، فاكفروا بالطاغوت! فقالوا: كفرنا بالطاغوت، فصار يكررها ويقول لهم: لا اكفروا بالطاغوت حقا! ويرفع بها صوته، وهم يرددونها خلفه، حتى قال الوهيبي: الآن نعم)!

وكان الشيخ محمد المفرح رحمه الله يقص هذه الحادثة بعد هجرته، ويعزو الفضل في الإعلان عن الحزب ومشروعه السياسي الراشدي للشيخ الوهيبي، بعد أن ظلوا ثلاث سنوات لا يستطيعون أن يجهروا بدعوتهم، وكان الشيخ المفرح بعد ذلك يوصي كل من يراه من دعاة الإصلاح بوصية الشيخ الوهيبي، كما أخبر بذلك عنه الشيخ المهندس محمود فتحي: (قال لي المفرح (أكفر بالطاغوت يا محمود)، وكانت والله نصيحة غالية،

دفعتني لبيان البراءة والعداوة من طاغوت مصر، ومن طاغوت كل مصر، أما أصل القصة لهذه الكلمة، فكانت رحلة حج له رحمه الله، رافقه فيها الشيخ عبد العزيز الوهيبي، وفي منى قال له ولجمع من أصحابه: ابسطوا أيديكم وبايعوني على الكفر بالطاغوت، ثم أعادها عليهم ثلاثًا أو أربعا، وهم يتابعونه على ذلك حتى قبل منهم)!



الشيخ عبد العزيز الوهيبي

وقد رجعنا أنا والشيخ سيف من حجنا ذاك إلى الكويت، فرافقنا الشيخ عبد العزيز الوهيبي إلى الرياض، وكنا نحن الثلاثة فقط في سيارة الشيخ سيف، وكان الشيخ الوهيبي طوال الطريق من مكة إلى الرياض لا يفتر يذكرنا بالله، ووجوب القيام بأمره، والصبر عليه!

وكان يقول لي: يا د. حاكم احمد الله واشكره على ما فتح به عليك في كتاب (الحرية) وكتاب (التحرير)، فهذا فضل الله، ولا تغرك نفسك، واستعن بالله!

## لقاء الشيخ المفرح والوهيبي في الرياض:

وبعد الحج زار الشيخ المفرح وبعض إخوانه من قيادات (حزب الأمة الإسلامي) الرياض، للقاء بالشيخ الوهيبي، وقد أخبرنا الشيخ محمد المفرح عن تفاصيله بعد ذلك، فقال:

التقينا بالشيخ الوهيبي بعد الحج عدة لقاءات - وكانت إحدى تلك اللقاءات في ديوان الشيخ الفاضل محمد عبد الله الماجد رحمه الله، وكان صديقا للوهيبي هو وأبناؤه خالد الماجد ووليد الماجد - من أجل دراسة فكرة الإعلان عن الحزب ومشروعه الإصلاحي، قال: وفي إحدى تلك الجلسات الخاصة، وكنت أنا والشيخ الوهيبي وفلان - وذكر ثالثهم وهو أحد مؤسسي الحزب - فأخذ الوهيبي يعظنا ويذكرنا بالله، ويدعونا إلى الإخلاص في دعوتنا، وألا يكون غرضنا الدنيا، ثم قال لنا: اكفروا بالطاغوت كله، وأخذ يكرر علينا هذه الكلمة، ينتظر سماعها منا؟

فقلنا: كفرنا بالطاغوت!

فقال: اكفروا به حقا بقلوبكم لا بألسنتكم!

قال الشيخ محمد: فقلنا: كفرنا به بقلوبنا وألسنتنا!

فقال الوهيبي: اكفروا بكل جبار عنيد وأخذ يعدد لنا أسماءهم!

فقلنا: كفرنا بهم جميعا!

فقال: لا تخافوا إلا الله، ولا تخشوا إلا الله، ولا يكن أحد في قلوبكم أجل ولا أعظم من الله!

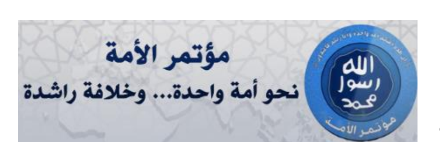
فقال: تعالوا نتعاهد على القيام بالدعوة إلى الإصلاح وإلى إحياء سنن النبوة والخلافة الراشدة في الحكم، وألا تأخذكم في الله لومة لائم!

قال: فبايعناه وعاهدناه على ذلك!

قال الشيخ المفرح: فقال لنا: سأدعو الله، فأمنوا على دعائي، فأخذ الشيخ الوهيبي يدعو الله، ويتوسل إليه بأسمائه، ويتضرع تضرع الفقير المضطر، ويبكي بين يديه، ويتودد إليه، ويقسم عليه، ثم ألقى غترته عن رأسه، وسجد وأخذ يمرغ جبهته ووجه في الأرض، كأنه طفل – قال المفرح: فوالله ما كنت أعرف معنى الانطراح بين يدي الله في الدعاء إلا تلك الساعة – فاقشعر بدني، ووقف شعر رأسي، من منظر الوهيبي وهو يدعو ويبكي، ثم قام وطرح غترنا عن رؤوسنا، لنتضرع مثله، ونخرج مما نحن فيه من مظاهر زائفة، في لباسنا وهيئتنا، ووضع يده على رأسينا، ودعا لنا، وخصني بالدعاء، فما رفع يده عن رأسي إلا وقد خرجت الدنيا من قلبي، وشرح الله صدري، وعزمنا على الإعلان والصدع بالدعوة للإصلاح بالخطاب السياسي النبوي والراشدي، كما جاء في الحديث: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)!

وبدأت الدعوة إلى الحزب ومشروعه الإسلامي الراشدي تشق طريقها بعد الحج في وسط التيار الإسلامي، الذي كانت تربط كثير منهم علاقة وثيقة بالشيخ الوهيبي على اختلاف مدارسهم وجماعاتهم، حيث زار الشيخ الوهيبي ومعه الشيخ المفرح وبعض إخوانهم من قيادات (حزب الأمة الإسلامي)، كبار قيادات الدعوة والعمل الإسلامي في الرياض وجدة الذين لهم نشاط سياسي وإصلاحي.

## الإعلان عن (مؤتمر الأمة):




وظل الأمر كذلك حتى بدأت الثورة في تونس، وكنا حينها في لقاء خاص بقيادات (مؤتمر الأمة) تم عقده في الدوحة لمدة ثلاثة أيام ما بين ١٤- ١٦/ ١/ ٢٠١١م – وقد كان تحديد موعد هذا اللقاء قد اتخذ قبل ذلك بمدة – على هامش مؤتمر عن المقاومة العراقية في فندق جواهر بإسطنبول في ١٠/ ٤/ ٢٠١٠م – فصادف قدرا ونحن في الدوحة حدوث الثورة في تونس، وسقوط ابن علي يوم ١٥/ ١/ ٢٠١١م، وكان معنا الشيخ محمد المفرح وبعض إخوانه من قيادات (حزب الأمة الإسلامي)، مما اضطرنا في (مؤتمر الأمة) وباتفاق تنظيماته، لإصدار بيان تأييد للثورة التونسية، وكان هو البيان الأول الذي يصدره (مؤتمر الأمة) منذ تأسيسه – إذ كان الاتفاق بين التنظيمات على بقاء العمل بدون إعلان، وبعيدا عن الإعلام، لمدة ثلاث سنين على الأقل حتى يستكمل المؤتمر تجهيزاته –

وتم نشر البيان، والإعلان عن المؤتمر، وتمت استضافتي في قناة الجزيرة للتعليق عليه، بصفتي المنسق العام لمؤتمر الأمة.

## الإعلان عن (حزب الأمة الإسلامي):




وقد دفع حدوث الثورة في تونس، والإعلان المفاجئ عن (مؤتمر الأمة) الإخوة من قيادات (حزب الأمة الإسلامي) إلى التحضير والاستعداد للإعلان عن حزبهم، وبدأت الاجتماعات بين قيادات الحزب ومؤسسيه في الرياض، بعد الحج، لدى الشيخ عبد العزيز بن محمد الوهيبي وبمشاركة الشيخ محمد بن سعد المفرح، مع عدد من قيادات العمل الإسلامي لمناقشة هذه الخطوة، وتم قبل هذه اللقاءات بمدة قصيرة الفراغ من صياغة (رؤية حزب الأمة الإسلامي) للإصلاح في المملكة خاصة، وعلى مستوى الأمة عامة، وفق الخطاب السياسي الإسلامي النبوي والراشدي.[١]

ثم بعد سقوط ابن علي وبداية الثورة في مصر، تم الدعوة من الوهيبي والمفرح إلى لقاء مفتوح في إحدى الاستراحات في الرياض بحضور عدد كبير من المشايخ والدعاة على غداء، وتم دعوتي على الغداء للمشاركة في الحوار حول سبل الإصلاح السياسي في الجزيرة والخليج، فاعتذرت لظروفي، ولبى الشيخ سيف الهاجري دعوتهم، وحضر غداءهم، فتحدث الشيخ الوهيبي في الحضور وذكرهم بالله، ووجوب القيام بالإصلاح، وضرورة مخاطبة السلطة بإطلاق سراح العلماء والسياسيين الذين في السجون، وكان في الحضور الشيخ البروفيسور محمد عمر زبير - مدير جامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٣٩١ هـ - ١٣٩٩ هـ- وأخذ الشيخ الوهيبي يثني على دور الشيخ محمد عمر زبير في الإصلاح، وما قام به من جهود في خدمة الإسلام، وخدمة الدعوة، والتي لا تقل أهمية عما قام به كبار العلماء كالشيخ ابن باز، وتأثر الشيخ زبير من كلمة الوهيبي هذه، وأخذ يستغفر الله، ويقلل من شأن نفسه، ويقول: من أنا أمام الشيخ ابن باز!

ثم فاجأ الشيخ الوهيبي الحضور بالدعوة للانضمام لحزب الأمة الإسلامي، وطرح رؤية الحزب على الحضور، ودعاهم للمشاركة في الإصلاح السياسي السلمي، وأخبرهم بأنه سيتم الإعلان عن الحزب ومشروعه خلال أيام!

قال الشيخ سيف الهاجري وكان ممن حضر ذلك اللقاء: (وفي إجازة الربيع ١٥/ ١/ ٢٠١١م، وقبل الثورة المصرية عقد الوهيبي والمفرح لقاء موسعا في استراحة بالرياض ضم العديد من وجهاء العمل العام، كالشيخ محمد عمر زبير، ود. خالد العجيمي، ومحمد البجادي، وفي اللقاء دعا الوهيبي والمفرح الجميع إلى الانضمام

---

(١) انظر الملحق الأول في آخر الكتاب.

لحزب الأمة الإسلامي، للاستعداد للتغيرات القادمة في المنطقة، وقد تعجب الجميع من جرأة الطرح وقوة المشروع، وقد رأيت إجلال المفرح الشديد للشيخ الوهيبي وعدم تقدمه بين يديه في هذا اللقاء).

## زيارة الشيخ محمد المفرح للكويت:

وبعد أيام من هذا اللقاء قامت وزارة الداخلية السعودية باستدعاء بعض الحضور، وسألتهم عما دار في هذا اللقاء، وأخبروها بأنه لقاء مفتوح على غداء لمناقشة قضايا الإصلاح السياسي.

ثم تم الاتصال بالشيخ محمد المفرح واستدعاؤه للحضور لدى الأمن في جدة للاستفسار عن هذا الموضوع، وكان حينها قد تجهز للسفر لزيارتنا في الكويت، فلم يذهب إليهم، وزارنا في الكويت لمدة أسبوع ومعه بعض إخوانه من قيادات (حزب الأمة الإسلامي)، وذلك في مطلع شهر ٢/ ٢٠١١م، وأخبرنا عن استدعاء الداخلية له، وأنهم كحزب يفكرون في خروج أحدهم إلى أوربا كناطق رسمي للحزب!

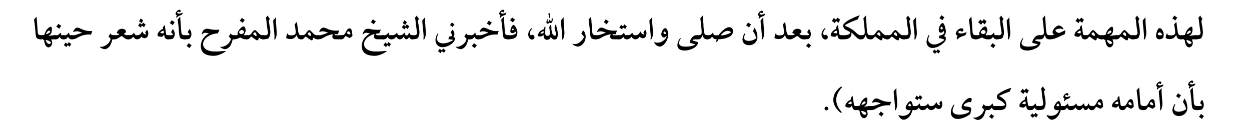
فقلت لهم: وما هي الجريمة التي قمتم بها لتخرجوا من بلدكم! فأنتم دعاة إصلاح، ولا ينبغي بدء الدعوة إلى الخطاب السياسي الإسلامي الراشدي من خارج أرض الحرمين التي ظهر منها هذا الخطاب للعالم أول مرة، فهي أحق بأن تدعو الأمة إليه من جديد، ولا يسبقها بالشرف إلى هذه الدعوة أحد!

وأشرت عليهم أن يأتوا البيوت من أبوابها، وأن يذهبوا إلى الديوان الملكي مباشرة، ويتقدموا بخطاب يتضمن دعوتهم ورؤيتهم للإصلاح السلمي، ثم بعد ذلك يقدر الله لهم ما شاء!

## عودة الشيخ محمد وتقديم خطاب تأسيس الحزب للديوان الملكي:

وقد شرح الله صدورهم لهذا الرأي، وأخذوا بالنصيحة وأعدوا خطابهم ورؤيتهم وموقع الحزب الإلكتروني، وقام الشيخ محمد المفرح ومعه بعض إخوانه - بعد عودتهم من الكويت - بالتقدم إلى الديوان الملكي في الرياض بخطاب رسمي، فيه إخطار بتأسيس الحزب، يتضمن مبادئه وأهدافه ورؤيته للإصلاح بشكل سلمي، وقائمة من عشرة أسماء من الهيئة التأسيسية للحزب، ليكون بذلك أول حزب سياسي يتم الإشهار عنه، وكان تقديم الخطاب يوم الخميس ٦/ ٣/ ١٤٣٢ هـ- ١٠/ ٢/ ٢٠١١م، قبيل سقوط حسني مبارك بيوم!

قال الشيخ السيف الهاجري: (وبعد منتصف ليل يوم الأربعاء ٩/ ٢/ ٢٠١١م، عاد الشيخ محمد المفرح وإخوانه على سيارته من الكويت إلى الرياض، لتقديم خطاب إعلان (حزب الأمة الإسلامي) إلى الديوان الملكي، وكان اتفاقهم على خروج أحدهم خارج المملكة كممثل للحزب، لكن وهم في الطريق عزم مرشحهم



لهذه المهمة على البقاء في المملكة، بعد أن صلى واستخار الله، فأخبرني الشيخ محمد المفرح بأنه شعر حينها بأن أمامه مسئولية كبرى ستواجهه).

وبعد تقديم الشيخ المفرح الخطاب إلى الديوان الملكي، توجه بسيارته إلى جدة بصحبة الشيخ الوهيبي للقاء بعض قيادات العمل الإسلامي، وبعدها ذهب المفرح إلى أهله، وكان من أقدار الله له، وتيسيره لأموره، أن كانت تلك الليلة التي وصل فيها إلى جدة، قد انتهى من تشطيب عمارته السكنية لأسرته، ولم يبت فيها إلا تلك الليلة مع أسرته، إذ رأى رؤيا، وفيها (أن زوجته أنجبت له ولدا، فتكلم في المهد، وقال له: اخرج! فقال الشيخ محمد في الرؤيا لزوجته: كيف يتكلم وهو طفل في المهد؟ فقالت له: نعم يتكلم ولماذا لا يتكلم!).

فلما أصبح أخبر زوجته بالرؤيا، فأشارت عليه أن يخرج من المملكة، فاستخار الله، وعزم أمره، وكانت حقيبة سفره التي كانت معه حين رجع من الكويت ما تزال على حالها في سيارته السوبربان، فتوكل على الله، واتجه نحو الحدود الأردنية، ولم يخبر أحدا!

وكان الشيخ المفرح بعد هجرته يقص تلك الرؤيا على إخوانه، كما أخبر عنه الشيخ المهندس محمود فتحي رئيس حزب الفضيلة المصري بقوله: (قص علي حينها كيف كانت رحلة تأسيسه العمل السياسي وإعلان (حزب الأمة الإسلامي)، ثم رحلة هجرته إلى تركيا، وما وجد فيها، وأنه خرج من بيته على إثر رؤيا رآها تحثه على الخروج من بلاده، كما كان رحمه الله تعالى كثيرًا ما يقص علينا رؤاه والتي كنت لا أنتبه لها في البداية، وكنت أقول إن الشيخ يوليهما اهتماما زائدا حتى حدثني رحمه الله في جمع من إخواني برؤيا رآها لي أولها بعضهم، فوقعت كما رآها، ثم تكرر هذا الأمر معي في عدد من الرؤى، تكاد تقع مثل فلق الصبح ولعلي أقص بعضها يومـًا).

وقال الشيخ سيف الهاجري عن تلك الحادثة: (وفي فبراير ٢٠١١م، وبعد أيام من إعلان الحزب، رأى الشيخ المفرح – وكان نائما في منزله الجديد في جدة، والذي سكنه قبل قدوم أثاثه من منزله بأبها – رؤيا بأن زوجته تضع ولدا، فإذا الولد يخاطبه بقوله اخرج، فاستيقظ وأخبر زوجته، فقالت: لعلها إشارة لخروجك، فإن كانت فاخرج، فسأل أحد المعبرين، فقال له: اخرج، فخرج من فوره، وغادر بسيارته واتجه نحو الأردن في ١٢/ ٢/ ٢٠١١م).

## خروج الشيخ المفرح إلى الأردن:

خرج الشيخ محمد رحمه الله من المملكة العربية السعودية من جدة يوم السبت ١٢/ ٢/ ٢٠١١م بعد الإعلان عن (حزب الأمة الإسلامي) بيومين، وذلك بسيارته متوجها إلى الحدود الأردنية، وقد رأى من لطف الله له وتيسيره وحفظه ما لا يخطر على باله!

وقد حدث عنه الشيخ أبو حسن العرجاني فقال: (وأذكر بالتفصيل هنا عن شيءٍ أخبرني به وهو كيف أنقذه الله عز وجل من قبضة رجال الداخلية، وخروجه بسيارته من الجزيرة سالما معافى، وأتذكر حديثه لي عن خروجه من المملكة فارا بدينه، وحيدا في الطرقات، محتارا أين يتجه؟ وإلى أين المصير؟ وماذا سوف يواجهه من مصاعب ومخاطر أثناء اجتيازه عبر الحدود والدول المجاورة لحدود المملكة؟ حتى وصوله إلى تركيا مرورا بالأردن ووصوله إلى سوريا، وكان سعيدا بهذا التسهيل الرباني له، وكيف استطاع الوصول إلى ساحة الجهاد بسيارته التي أدخلها معه!

وقد كان رحمه الله دائمًا يذكر العلماء والمجاهدين في سجون السعودية ويحزن لما أصابهم ويدعو لهم بالفرج والنصر).

وقد أخبرني الشيخ محمد عما جرى له في سفره ذلك، فقال: عزمت على التوجه للحدود الأردنية وهي تبعد عن جدة أكثر من ألف ميل، وحين وصلت المدينة النبوية، وكنت مسرعا، رصدني المرور، فاستوقفوني، وكان العسكري الذي استوقفني من قبيلة حرب.

فقال لي: هداك الله أنت شيخ وتخالف قانون السرعة؟ فأخذ دفتر السيارة، واستوقفني جانب الطريق!

فقلت له: أفا عليك حربي ومن قبيلة كريمة، وتعطل ضيوف النبي ﷺ وزوار المدينة؟

فتأثر من هذه الكلمة، وقال: طيب خذ دفترك، ولا تكررها مرة أخرى!

فقلت له: أبشر وشكر الله لك!

قال: ثم مضيت حتى وصلت الحدود ولم أقف إلا للصلوات والضرورات، وكنت أخشى أن يكون اسمي على قائمة الممنوعين، إذ كانت الداخلية قد سبق وأن استدعتني للتحقيق قبل إعلان الحزب، فوصلت الحدود وأنا أدعو أن يجعل الله من بين يديهم سدا ومن خلفهم سدا فهم لا يبصرون!

ثم تفاجأت بأنهم يختمون جوازي دون أدنى تعطيل!

قال: ثم دخلت الأردن لا أدري إلى أين أتوجه إلا أني تذكرت أحد الإخوة من (مؤتمر الأمة)، ولا أعرف مكانه، إلا أني أعرف اسم المدينة، فتوجهت إليها، فلما أصبحت على مشارفها، بحثت عن هاتفه فاتصلت به، فرحب بي، فقلت: أين عنوانك؟

فقال: وأين مكانك حتى أصف لك الطريق؟

فقلت: في مكان كذا!

فضحك صاحبي، وقال: سبحان الله! أنت أمام البيت تفضل!

فنزلت في ضيافته أياما.

وقد لبث أياما في الأردن، واتصل بالشيخ سيف وبي يطمئنني بأنه في أمان، فأشرت عليه أن يخرج من الأردن إلى تركيا، فهي أكثر أمنا، فخرج من ليلته، ثم عبر سوريا خائفا يترقب، قبيل الثورة السورية بأيام، وكان يدعو الله في الطريق: (اللهم حرر الشام وطهرها من الطغاة)!

قال الشيخ سيف الهاجري عما جرى للشيخ محمد بعد خروجه إلى الأردن: (واستضافه الشيخ أبو عثمان لمدة أسبوع تقريبا، ونصحه الشيخ حاكم بالخروج من الأردن فورا، والتوجه نحو تركيا، وقد حدثني الشيخ محمد بأنه خرج من الأردن ودخل سوريا في يوم ١٦/ ٢/ ٢٠١١م، وليس معه إلا ٢٠ ألف ريال، ومر بدمشق لصرف عملة سورية وتركية، ومن أغرب أحواله في رحلته من الأردن إلى تركيا مرورا بسوريا، أنه منذ دخل الحدود السورية من مركز نصيب السوري مع الأردن إلى خروجه من مركز باب الهوى السوري مع تركيا بتاريخ ١٧/ ٢/ ٢٠١١م وكل مدينة وبلدة وقرية يمرها كان يدعو الله لها (اللهم حرر الشام اللهم عليك بالطواغيت)، ومن العجب أنه بعد أيام ثارت على طاغية الشام كل مدينة وبلدة وقرية مر عليها الشيخ محمد ودعا لها).

## اعتقال مؤسسي حزب الأمة الإسلامي:

وكان الشيخ الوهيبي بعد الإعلان عن الحزب، قد صرح لقناة الحوار في اتصال هاتفي مطول عن مشروع الحزب، ودعا إلى مؤتمر إعلامي في الرياض يوم الخميس ١٧/ ٢/ ٢٠١١م، فصدر أمر باعتقال جميع مؤسسي الحزب قبل موعد المؤتمر الإعلامي!




وكأن الله قدر لهم أن يكون الشيخ محمد المفرح هو ناطقهم الرسمي الذي سيتحمل أعباء القضية كلها!

## الوصول إلى تركيا:

ثم انتهى بالشيخ محمد السفر إلى إسطنبول، وجرت له أثناء السفر أحوال وأهوال، فلما وصل إلى أطراف إسطنبول وهو لا يعرف التركية، ولا يعرف أين يذهب، استوقفه الأمن التركي، فخاطبهم بالإشارة، فتعاطفوا معه، وقالوا: اتبعنا فأخذوه حتى أوصلوه إلى منطقة الفاتح، وكان أول مسجد وقف عنده – وهو لا يعرف المكان – جامع السلطان محمد الفاتح، وسكن بلا قصد فندق (الراشدي) في الفاتح!




الشيخ محمد المفرح يتوسط الشيخين سيف الهاجري ود. حاكم أمام فندق (الراشدي) في منطقة (الفاتح)

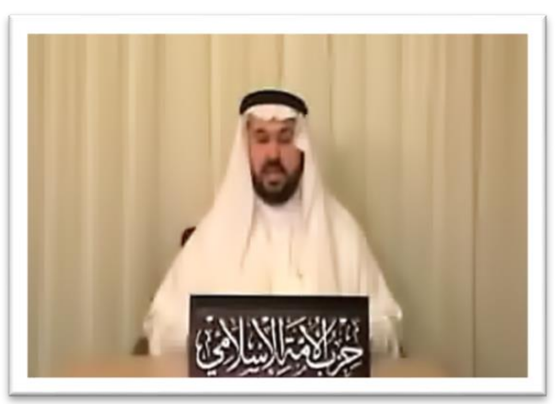
فلما وضع أغراضه في الفندق، وخرج إلى الطريق ليأتي ببعض الطعام، فإذا هو صدفة وجه لوجه مع صديق له قديم من لبنان يدعى أبو الحسن، وكلاهما لا يعرف البلد، فاصطحبه الشيخ محمد وسكنا جميعا في منطقة العمرانية بعيدا عن المناطق السياحية، حتى لا يعرفهما أحد!

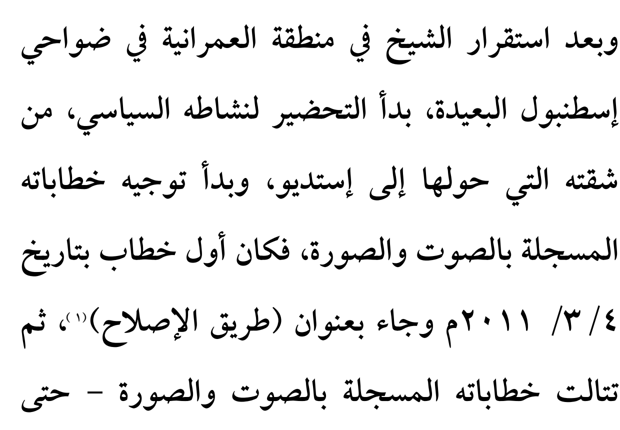
فسافرت إليه أنا والشيخ سيف بعد أسبوع من وصوله إسطنبول، وذلك في ٢٥/ ٢/ ٢٠١١م، وكان يسكن مع صاحبه في غرفة مستأجرة في نزل قديم، وعاش في تلك الأيام حياة الزهاد العباد، يصوم النهار ويقوم الليل، فقمنا باستئجار شقة له في منطقة العمرانية، وتجهيزها بكل ما يلزم، فظل مستخفيا فيها عن الأنظار نحو سنة لا يأتيه إلا خاصة أصحابه من قيادات (مؤتمر الأمة).

قال الشيخ سيف الهاجري عن تلك الفترة: (في يوم الخميس ١٧/ ٢/ ٢٠١١م دخل تركيا برا بسيارته مهاجرا، واتجه مباشرة نحو إسطنبول، ووصلها فجر يوم الجمعة ١٨/ ٢/ ٢٠١١م، ونزل في فندق (الراشدي) بجانب جامع الفاتح، وصلى الفجر فيه! ثم انتقل من الفاتح وسكن في منطقة العمرانية في الجانب الآسيوي من إسطنبول، وحدثني هو والشيخ أبو عثمان بأنه مر على الشيخ محمد وكانوا في الشتاء وجاءتهم فاتورة الغاز للتدفئة، فاضطر لتسديدها بما عنده من نقود، وبقي أسبوعان لا يأكل إلا التمر ويشرب الماء، ولم يخبر أحدا،

والتزم الصيام حتى جاءه الشيخ أبو عثمان فوجده هو وصاحبه اللبناني أبو الحسن وقد اصفرت ألوانهم، فاشترى لهم طعاما، وخدمهم بالطبخ وغيره، وسألت محمد عن هذا فقال: نحتمي من البرد أولى فالجوع أهون منه).

## استئناف الشيخ محمد نشاطه السياسي في تركيا:



وبعد استقرار الشيخ في منطقة العمرانية في ضواحي إسطنبول البعيدة، بدأ التحضير لنشاطه السياسي، من شقته التي حولها إلى إستديو، وبدأ توجيه خطاباته المسجلة بالصوت والصورة، فكان أول خطاب بتاريخ ٤/ ٣/ ٢٠١١م وجاء بعنوان (طريق الإصلاح)[1]، ثم تتالت خطاباته المسجلة بالصوت والصورة - حتى أواخر سنة ٢٠١١م، من شقته بمنطقة العمرانية التي حولها إلى مكتب إعلامي بكامل تجهيزاته - التي وجهها للحكومة والشعب السعودي خاصة، أو للأمة عامة، يدعو فيها للإصلاح والتغيير، وفق مشروع (الدولة والحكومة الراشدة)، كما جاء في الرؤية الإصلاحية التي عرضها الحزب بعد تأسيسه مباشرة.

## اختياره ناطقا رسميا لمؤتمر الأمة:

وبعدها تم اختياره ناطقا رسميا لمؤتمر الأمة ووجه خطابا مصورا باسم المؤتمر.



وكنا نزوره أنا والشيخ سيف الهاجري وبعض الإخوة بين الفينة والأخرى، ثم صارت شقته مضافة لكل الأبطال الأحرار، والمجاهدين الأبرار، من قيادات الثورة في العراق وسوريا وفلسطين وليبيا!

وحضر الشيخ محمد خلال هذه المدة في منطقة العمرانية كل لقاءات (مؤتمر الأمة) كممثل لحزب الأمة الإسلامي، وقد أشرف على المؤتمر السادس في منطقة العمرانية بفندق ماسي بتاريخ ١٧/ ٤ / ٢٠١١م.

ولم يحدث بينه وبين السلطات التركية في تلك المدة أي اتصال؛ لعدم معرفتهم بمكان وجوده، حتى عقد (مؤتمر الأمة) مؤتمره السابع في فندق (سنتر بلس) في منطقة تقسيم بإسطنبول، بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ٢٠١١م،

---

(١) انظر الملاحق آخر الكتاب رقم ٣.

حيث حضر فجأة وبلا دعوة صديق للشيخ محمد من السعودية، وقد أخبرنا الشيخ محمد بعد ذلك بأن صديقه جاءه برسالة من وزير الداخلية السعودي، بعد أن كتب رسالة للوزير باستعداده للوساطة لعودة الشيخ محمد، وقد حاول إقناع محمد بالرجوع للسعودية فرفض رفضا قاطعا، حتى يتحقق الإصلاح، ويتم إطلاق قيادات الحزب.

## تأسيس الهيئة الاستشارية لدعم الثورة السورية:

وقد التقى الشيخ محمد في هذه الفترة بالشيخ العابد والمجاهد القائد أبي أشرف محمد العثامين الأموي العثماني، وتوطدت العلاقة بينهما، وكان أبو أشرف من أبرز من أثروا في الشيخ محمد وتوجهاته الجهادية، حيث ذهبا سويا، إلى الحدود السورية التركية، في أواخر شهر ١٢/ ٢٠١١م، للقاء قيادات أحرار الشام في بداية تأسيسها، وبعد عودتهما، زارنا الشيخ أبو أشرف في الكويت لمدة عشرة أيام بتزكية وتوصية من الشيخ محمد، وتباحثنا مع عدد من الإخوة أفضل السبل لنصرة الشعب السوري، وتم الاتفاق على تأسيس (هيئة استشارية) من قادة الأمة ومجاهديها، وأهل الفكر والرأي فيها، وتم الاتصال بالشيخ حسن الدقي في الإمارات، وأتانا في الكويت، وتعرف على الشيخ أبي أشرف، وسافرا سويا مباشرة إلى تركيا، ولم يكن ذلك وفق برنامج الشيخ حسن الذي كان من المفترض عودته للإمارات، إلا إنه عزم أمره وتوكل على الله، ومضى مع أبي أشرف إلى تركيا ثم الدخول إلى الشام، لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه، بخصوص الهيئة الاستشارية ومهمتها، في تنظيم الفصائل وتوحيدها ودعم الشعب السوري بكل مكوناته.

وقد شارك الشيخ محمد المفرح بتأسيس (الهيئة الاستشارية لدعم الثورة السورية)، بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٢م، وتولى الشيخ محمد مسئولية الإشراف عليها ومتابعة أعمالها إداريا، مع الشيخ حسن الدقي الذي تولى توجيهها فكريا، قبل أن يهاجر بعد ذلك الشيخ حسن، ويستقر به المقام في إسطنبول مع رفيق دربه في الجهاد والهجرة الشيخ محمد المفرح.

قال الشيخ حجاج العجمي عن الهيئة وتأسيسها: (يومٌ من أيام الله حين اتصل بي شيخنا د. حاكم يخبرني بقدوم ضيف من أرض الشام المباركة، أبو أشرف الفلسطيني عُرف بعد ذلك بأبي عبدالعزيز القطري، كان رجلا ثائرا حُرا يحترق على أمته، وشرح لنا واقع الثورة السورية وما يحتاج أهلها، فكان أبو أشرف تقبله الله هو بوابتنا إلى الشام، بعدها وفي شتاء ٢٠١٢م شهر يناير تحديدا عقد الإخوة في مؤتمر الأمة اجتماعا يخص قادة العمل في الثورة السورية، ومنه تم تشكيل الغرفة الاستشارية في الثورة السورية، وكنت عضوا فيها، وكان معنا أعجوبة من

أعاجيب الزمان، أمة في رجل، ورجل في أمة، الشيخ المجاهد محمد بن سعد آل مفرح، إذا تكلم سمعت الحكمة، وإذا صمت سمعت ذكرا وتسبيحا واستغفارا، ووالله في أول اجتماع مع الإخوة في المؤتمر كنت أشرد كثيرا عنهم، وأنا أتأمل الشيخ ابن مفرح وتمتمته بالذكر ويده بالتسبيح).

وقد عقدت (الهيئة الاستشارية) مؤتمرات عدة حول الثورة السورية، وكان المؤتمر الأول بمدينة إسطنبول يوم الاثنين ١٤ جمادى الأولى سنة ١٤٣٢هـ الموافق ١٧/ ٤/ ٢٠١٢م، تحت شعار (الثورة العربية وآفاق المستقبل) وقدمت أنا فيها ورقتي (الثورة العربية والحكم الراشد)، وقد أصدر المؤتمر بيانا حول الثورة العربية عامة، والسورية خاصة ودعا فيه للوقوف معها ودعمها.

وعقد (مؤتمر الأمة) في اليوم التالي اجتماعا طارئا بإسطنبول للجنة السياسية في المؤتمر، وكان بحضور كل ممثلي التنظيمات السياسية.

وتم عقد جلستين لتقديم رؤية حول الثورة السورية، وتم صياغة التوصيات، وعرضها في اليوم التالي بحضور أعضاء اللجنة السياسية في (مؤتمر الأمة) وأعضاء (الهيئة الاستشارية)، وبحضور مؤسسي (جبهة ثوار سوريا)، من كل الفصائل، وتم قراءتها عليهم بندا بندا، وتم تكليف الهيئة الاستشارية بمتابعة تنفيذ هذه التوصيات.

ثم عقدت (الهيئة الاستشارية) المؤتمر الثاني بإسطنبول تحت عنوان (تشكيل الجبهات السياسية – سوريا أنموذجا) بتاريخ ١١- ١٢ / ٥/ ٢٠١٢م، وتم الإعداد لتشكيل (جبهة ثوار سوريا) وقام المؤتمر بتحمل تكاليف مؤتمر الإعلان عن (جبهة ثوار سوريا) بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١٢م.

كما قام مؤتمر الأمة بتوصية من الهيئة الاستشارية والشيخ محمد بتبني وتحمل تكاليف مؤتمر (مجلس قبائل سوريا) بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠١٢م بإسطنبول.

وكذلك عقدت الهيئة الاستشارية مؤتمرا بعنوان (مآلات الثورة السورية) بإسطنبول بتاريخ ٢١-٢٢ شعبان ١٤٣٣هـ الموافق ١٢-١٣ / ٧/ ٢٠١٢م، وعرضت فيه ورقتي (رؤية سياسية شرعية لمستقبل الثورة السورية)، كما قدم الشيخ حسن الدقي ورقته (الثورة العربية في ظل المرحلة الانتقالية).

وقامت (الهيئة الاستشارية) بالتحضير لمؤتمر الإعلان عن (جبهة ثوار سوريا) وهي الجبهة الأولى التي شارك في تأسيسها أحرار الشام، وحضر عنها أبو عبد الله الحموي، ولواء الأمة، وكل الفصائل الجهادية آنذاك، كأول جبهة تتشكل بعد الثورة، مما استدعى الجعفري ممثل عصابة بشار في الأمم المتحدة بالهجوم عليها من أول يوم!

وحضر الشيخ المفرح بصفته رئيس (الهيئة الاستشارية) مؤتمر الإعلان عن الجبهة، وهو الذي أشرف على تحضيره، واختيار المكان، وكان ذلك أول ظهور له، وكان بعض الإخوة قد تحفظ على ظهوره، وحذره من



**خطورة ذلك، فلم يأبه الشيخ بالتحذير، مما استثار الحكومة السعودية، التي حققت مع كل من دخل أراضيها بعد ذلك من القيادات السورية عن الشيخ المفرح وعلاقتهم به!**

**وقد كان للهيئة الاستشارية دور كبير في نصرة وإغاثة الشعب السوري[1]، وبلغ عدد الفصائل التي تلقت الدعم منها لإغاثة المناطق المحررة والمنكوبة أكثر من خمسين جبهة ولواء وفصيلا وكتيبة، من كل المكونات السورية، وفي كل المحافظات، وكانت الهيئة هي الجهة الوحيدة التي كنت تقف مع الجميع بلا استثناء، إيمانا بمفهوم الأمة الواحدة، في الوقت الذي كانت الجماعات والتيارات لا تدعم إلا امتدادتها في الساحة السورية.**



مع العقيد رياض الأسعد قائد الجيش السوري الحر

**ومن أبرز الجهات التي تعاونت مع الهيئة الاستشارية لإغاثة الشعب السوري في مناطقها:**

**١-الجيش الحر (القيادة العامة - رياض الأسعد)**

**٢-جبهة ثوار سوريا**

**٣-حركة أحرار الشام**

**٤-لواء الأمة**

**٥-جبهة النصرة**

**٦-أحرار الساحل**

**٧-لواء الإسلام**

**٨-مجلس قبائل سوريا**

**٩-كتائب الحمزة**

**١٠-ثوار دير الزور**

**١١-لواء التوحيد**

**١٢-كتائب الوليد**

**١٣-كتائب فجر الإسلام**

---

(١) سيصدر بإذن الله كتاب عن (الهيئة الاستشارية) ودورها في نصرة القضية السورية، فيه تفاصيل لكل ما قامت به من أعمال إغاثة للشعب السوري ولكل المكونات.

١٤-لواء الحق

١٥-لواء التوحيد - العاصمة

١٦-لواء الحسين ريف دمشق

١٧-صقور العز

١٨-جند الأقصى

١٩-لواء مغاوير سوريا

٢٠-ألوية الحبيب المصطفى

٢١-لواء شهداء اليرموك

٢٢-لواء درع الغوطة

٢٣-مجلس أمناء الثورة

٢٤-كتائب شام الأمة

٢٥-لواء حوران

وغيرها من المجموعات الكثيرة التي شاركت في الثورة.

قال الشيخ حجاج عن دور الشيخ محمد في سوريا: (ظل الشيخ محمد المفرح في تركيا يجمع الله عليه قلوب الثوار من أهل الشام، يعالج مشاكلهم، وينسق لهم مع أهل الفضل والعلم والمال، ويقدم لهم خبراته وما يحتاجون، فكان هو المنسق الحقيقي لنا مع أهل الشام، حتى ابتلي رحمه الله، واضطرت ضغوط الأمن التركي على إخراجه من تركيا، فكانت أرض الشام هي الخيار ونعم الخيار، فدخل ابن مفرح إليها، وتحديدا إلى الساحل السوري في منطقة يُقال لها الغُنيمية، فكان الشيخ محمد أعجوبة في جمع قلوب الثوار، والتأليف بينهم، والإصلاح، فكان الجميع يحبه من يعرفه ومن لا يعرفه، وكان رحمه الله يوظف ماله وجاهه وعلاقته بالتجار لخدمة الثورة السورية، وكان المال الذي في يده ليس له).

وقد نشرت الواشنطن بوست في ٢١ سبتمبر ٢٠١٣م، مقالا تحذيريا للكاتب Joby Warrick قال فيه عن دور (الهيئة الاستشارية)، في إغاثة الشعب السوري، من وجهة نظره الصليبية: (يجري سيل جديد من النقد الكاش للمتطرفين الإسلاميين، وكثير من ذلك النقد من شبكات صغيرة من المانحين العرب الذين يرون في الصراع السوري خطوة أولى نحو انتفاضة إسلامية أوسع، في جميع أنحاء المنطقة، هذا ما ذكره مسئولون في الولايات المتحدة وفي الشرق الأوسط.



وقال المسئولون إن المتبرعين بالمال، الذين يستخدمون تويتر ووسائل الإعلام الاجتماعية الأخرى لجمع ملايين الدولارات من المسلمين المتعاطفين، وتوفير دعم حاسم للميليشيات الإسلامية التي يبدو أنها تكتسب أرضية في شمال وشرق سوريا.

يتم تحويل الدولارات عبر الإنترنت بين حسابات مصرفية خاصة، ويتم تسليمها باليد غالبا في المدن الحدودية، إلا إن تدفق السيولة النقدية للمتطرفين مكنهم من السيطرة على ساحات المعارك على الرغم من فقدان دعم بعض الدول العربية الرئيسية مثل قطر، التي منعت المساعدات إلى الجماعات المتطرفة، تحت ضغط من الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية.

وقال المسئولون أيضا لقد قوضت التبرعات المالية للجماعات الإسلامية الجهود الغربية لتعزيز موقف الفصائل المعتدلة والفصائل العلمانية.

ويقول المسئولون في إدارة أوباما أنهم كانوا يعملون مع حلفائها في الخليج لإغلاق التدفقات النقدية الخاصة، إلا أن الجهود قد تعقدت من جمع التبرعات، واستفاد الأشخاص الذين يجمعون التبرعات من اللوائح غير الصارمة في بعض دول الخليج، التي تسمح بجمع التبرعات لإنشاء الجمعيات الخيرية الدينية الصغيرة.

يقول ديفيد كوهين وكيل وزارة الخزانة لشئون الإرهاب والاستخبارات المالية:

"فإن الكثير من هذا التمويل يأتي من المواطنين في منطقة الخليج، خاصة في الكويت، للأسف لا تزال هنالك بيئة متساهلة لجمع التبرعات الإرهابية"!

ويقول مسئولون: الأكثر إثارة للقلق، هو أن جامعيّ الأموال لديهم نزعة التأثير على الجماعات شبه العسكرية السورية التي تدعمها، البعض من جامعي الأموال يمتلك ميليشيات خاصة به ويسعى لإملاء كل شيء من الإيديولوجية إلى التكتيكات، مسئولون في إحدى المنظمات الخليجية التي تسمي نفسها "مؤتمر الأمة"، ساعدت وساهمت في تعزيز حملة لتجنيد الآلاف من المتطوعين الإسلاميين في سوريا، بينما تدعو علنًا لصراع واسع النطاق ضد الحكومات العربية العلمانية، هذا وقد استخدم قائد تلك المنظمة مصطلح "الإرهاب الأمريكي")

وقد تابع (رصد) مسئولون غربيون عن كثب الشهرة السريعة التي حققها رجل دين كويتي غير معروف سابقا مثل الشيخ حجاج العجمي، الذي يقوم بحملات لجمع المال عبر حسابه في تويتر للثوار السوريين، حيث أصبحت تلك الحملات أكثر فعالية إلى درجة أن أطلق اسمه على أحد الالوية!

وقال وليام مكانتس، مستشار وزارة الخارجية السابق، في الآونة الأخيرة سعت بعض شبكات جمع التبرعات لإعادة تشكيل الصراع بطرق أكثر عمقا، عمل ميليشيات خاصة بهم، بينما يوزع المال على نطاق أوسع لتوسيع نفوذهم بين عشرات من الجماعات الإسلامية المتمردة، ويعمل (مؤتمر الأمة) على تعميق الروابط بين هذه المجموعات.

ويغوص (مؤتمر الأمة) بشكل متهور في الصراع السوري، بدءًا بجمع التبرعات، إلى كافة امتدادات ساحة المعركة.

وقال محللون: تأسست هذه المنظمة الإسلامية (مؤتمر الأمة) البالغة من العمر ١٢ عاما في الكويت، وتضم فروعا في اثني عشر بلدا، وقد خدمت الصراع السوري، كأداة تجنيد، وكمختبرات للأفكار، وكأكاديمية للتدريب، وقد شكلت قيادات (مؤتمر الأمة) علاقات مع مجموعة سورية تحمل نفس الاسم – لواء الأمة – أثناء تدفق المال على الجماعات الإسلامية، مثل أحرار الشام.

مقاتلو لواء الأمة ينسقون التكتيكات مع عدد من الجماعات المتطرفة المرتبطة بالقاعدة...

تعمقت علاقات (مؤتمر الأمة) مع الصراع في شهر مارس عندما قُتل أحد قادتها – محمد العبدولي عقيد سابق بالجيش الإماراتي ورئيس الفرع الإماراتي للمنظمة – برصاص قناص في سوريا، وقد أنشأت منظمة (مؤتمر الأمة) منذ ذلك الوقت معسكر تدريب عسكري باسمه تكريما له في سوريا.

في شهر مايو نُشر شريط فيديو يصور اثنين من المسئولين الإقليميين في مؤتمر الأمة – زعيم الفرع السعودي محمد سعد المفرح، والزعيم الجديد في الإمارات حسن الدقي – يحيط بهم عدد من خريجي معسكر العبدولي مدججين بالسلاح.

وقد ناشد (المفرح) في شريط الفيديو المسلمين كافة لمساعدة المتمردين السوريين "بأي وسيلة ممكنة، بالمال والرجال".

مثل هذا الخطاب ليس غريبا، ولكن أصبح تدخل (مؤتمر الأمة) في الصراع مصدر قلق لحكومات الشرق الأوسط والمسئولين الغربيين، ويرى البعض تحويل (مؤتمر الأمة) نفسه إلى نسخة من جماعة الإخوان المسلمين، والتي تم تشويهها في مصر ولا يحسب لها حساب في سوريا.

يقول محللون: على عكس جماعة الإخوان المسلمين فقد أظهر قادة (مؤتمر الأمة) الميل قليلا لتحقيق أهدافهم من خلال الصراعات السياسية الطويلة، كل فرع في قطره، في حين تعارض جهارا الإرهاب، فإن (مؤتمر الأمة) في مبادئه وأدبياته ينفي شرعية الحكومات العلمانية في البلدان الإسلامية، ويدعو إلى "أسلمة جميع القوانين والتشريعات".

مؤسس هذه المنظمة حاكم المطيري، وصف زعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن بأنه "أسد الإسلام" و"الزعيم الإسلامي الدولي" الذي سيتم الاحتفال ببطولته بشكل صحيح عندما يتحرر كل المسلمين من الحكم العلماني.

وعلاوة على ذلك، قال حسن الدقي، زعيم الفرع الإماراتي والمخضرم في الصراع السوري، أن أعداء الإسلام الحقيقيين خارج منطقة الشرق الأوسط، واستنكر في كتاب صدر عام ٢٠٠٢م مواقف الولايات المتحدة باعتبارها واحدة من اثنتين من "أخطر الدول" في العالم، بينما كانت روسيا الدولة الثانية من ناحية الخطورة.

في تغريدة له على تويتر في شهر يونيو، وصف الصراع السوري باعتباره خطوة مهمة نحو تمكين المسلمين في تحدي نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة.

لقد كتب:"الشعوب المسلمة لن تكون قادرة على مواجهة الإرهاب الأمريكي دون اعتماد استراتيجية شاملة حيث تتشارك السياسة والجهاد)، انتهى تقرير الواشنطن بوست الذي خلط كالعادة بين الحقائق والأكاذيب لتبرير المواقف الأمريكية تجاه ثورة الشعوب العربية وتطلعها للاستقلال والحرية!

وبعد نشاط (الهيئة الاستشارية) الذي أربك حسابات الدول الوظيفية، التي أزعجها وجود جهة مستقلة للأمة، تمثل الأمة، وتقف مع الجميع، وهو ما يؤدي إلى استقلال فصائل الثورة عن أي ضغوط خارجية، بدأت المؤامرات الاستخباراتية على الشيخ المفرح تتنوع، تارة بالتضييق عليه في تركيا من قبل الأمن، وتارة بإرسال وسطاء من أصحابه وأقاربه، وتارة بالتحذير من الاغتيال والتصفية، فلم يلتفت إلى شيء من ذلك، ومضى يشق طريقه بكل عزيمة وقوة وإيمان وثبات.

## دوره في حملة فك الحصار عن حمص:

وقد كان الشيخ محمد عضوا في ثلاث هيئات استشارية للثورة العربية في العراق وسوريا ومصر، لما آتاه الله من بصيرة ورأي، فكان يشارك في حضور كل اللقاءات فيها، فإذا اختلف المؤتمرون وأبدى رأيا في الموضوع أخذوا برأيه، لا يكادون يخالفونه!

وقد أزعجه ما تعرض له أهالي مدينة حمص من حصار، فاتصل بالقيادات السورية فيها، ودعاها عبر لواء الأمة للمشاركة في حملة لفك الحصار عن حمص وإغاثة أهلها، وقد كان بيني وبينه عدة رسائل بهذا الشأن، وكانت هذه الرسالة موجهة مني له يوم السبت ١٩/ ١/ ٢٠١٣م، جوابا على طلبه للتحضير لمؤتمر إعلامي عن حمص وجاء فيها: (تم الاتفاق على عقد مؤتمر مصغر يوم الأربعاء الساعة ٦ مساء ٢٣/ ١/ ٢٠١٣م، تحت شعار

(فك الحصار عن حمص)، باسم الهيئة الشعبية، بالتعاون مع حزب الأمة السوري، وبحضور لواء الأمة، والفصائل الحمصية الفاعلة، وهي لواء الحق، والمرابطون، ومن يزكيهم هذان الفصيلان، وسيتحدث من يمثل الهيئة الشعبية، ثم من يمثل حزب الأمة السوري، ثم من يمثل لواء الأمة، ثم ممثلي باقي الفصائل الحمصية، ثم تناقش قضية حمص وما تعانيه، وطرق فك الحصار، وتشكيل لجنة للإشراف على إيصال الدعم المخصص لحمص..

والمطلوب: حجز قاعة في فندق قونن الذي سيكون فيه اجتماع (مؤتمر الأمة) ليسهل حضور ومشاركة من يريد من تنظيمات مؤتمر الأمة، ودعوة الصحافة ووسائل الإعلام).



الشيخان محمد المفرح وحجاج العجمي في مؤتمر فك الحصار عن حمص
يناير ٢٠١٣م

ولم يكتف الشيخ محمد بذلك، بل كان له جهد ميداني مشهود لفك الحصار عن حمص بعد دخوله سوريا، فقد قال عنه الشيخ حامد العتيبي – وكان قد زاره وصحبه مدة مع وفد الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري – (بذل الشيخ محمد كل ما يصل ليده في نصرة ثورة الشعب السوري سواء كان إغاثيا أو عسكريا، كما كان شديد الحرص على أن تنال جميع الفصائل العاملة دعم الأمة، وكان في حينها تضييق الخناق والحصار على مدينة حمص، ومن شدة حرصه استضاف أغلب ممثلي الفصائل في حمص عنده في المقر بإدلب لبحث كيفية التوصل لطريق إمداد دعم إغاثي وعسكري لمن هم بداخل حمص من أطفال ونساء وثوار؛ وقد خرج على أثرها هو والشيخ حجاج ومعهم الدعم لأهل حمص من الضحى قرابة التاسعة صباحا، وانقطعت بيننا وبينهم الاتصالات والأخبار، وعند انتهاء النهار وحلول الليل اشتد بنا القلق، وأخذنا نسأل الإخوة من حولنا عن حل وطريقة لنطمئن عليهم، فأخبرونا أنه ليس بالإمكان في ظل هذه الحرب والأوضاع الخطرة إلا انتظارهم، أو من يأتي من عندهم بأخبارهم، واستمر الوضع إلى ما بعد منتصف الليل ونحن نترقبهم، حتى دخلوا علينا الباب قبل الفجر

شعثا غبرا، وعند سؤالنا عن سبب التأخير وقبل العتاب، أخبرونا أنهم كانوا طيلة هذا الوقت في محاولات متواصلة لإدخال الدعم، ففرحنا بجهادهم ونسينا العتب).

## اختيار المفرح أمينا عاما لحزب الأمة:

وقد كان الشيخ محمد المفرح منذ خروجه من السعودية إلى تركيا، هو الناطق الرسمي للحزب، بحكم وجوده بالخارج، وقدرته على الظهور الإعلامي، إلا إنه وبعد أن أثبت جدارته السياسية، قام مجلس شورى الحزب، باختياره أمينا عاما للحزب، وقد أرسلوا لي برسائل تأكيد بقرارهم، بصفتي المنسق العام لمؤتمر الأمة، وأرسل لي الشيخ محمد المفرح رسالة يوم الأحد ٣/ ٢/ ٢٠١٣م جاء فيها: (السلام عليكم، للتو أنهيت الاتصال مع الإخوة - قيادات حزب الأمة الإسلامي - وتم الترتيب على النحو التالي :

١- الشيخ عبد العزيز الوهيبي رئيسا.

٢- الشيخ أحمد الغامدي نائبا للرئيس.

٣- محمد المفرح أمينا عاما.

٤- د. عبد الله السالم ناطقا رسميا.

٥- أعضاء مجلس الشورى.)

وقد كان الشيخ محمد رحمه الله في عمله السياسي محنكا موهوبا، وقائدا فذا، وكان له نشاطه المتميز في (مؤتمر الأمة)، كممثل عن (حزب الأمة الإسلامي)، وكثير من مواقف المؤتمر وأنشطته كانت باقتراحات منه، وقد تميز بالالتزام بقرارات المؤتمر وتوصياته، فلا يعرف عنه تجاوز لمبادئ المؤتمر وأهدافه أو بياناته ومواقفه الرسمية، حتى وهو في سوريا، فكان يتمثل مشروع (مؤتمر الأمة) فكرا وممارسة، وكان له أكبر الأثر في تعزيز حضور المؤتمر ومشروعه في الساحة السورية، قال عنه الشيخ سيف الهاجري: (رأيت منه حرصه التام على الشورى في شأن العمل السياسي، والتزامه بها، ولو خالفت رأيه، وكان يقول: يالله توكلوا على الله، والله يكتب اللي فيه الصالح).

## الضغوط السعودية لعودة الشيخ المفرح:

بدأ ظهور الشيخ محمد المفرح المتكرر في وسائل الإعلام وتوجيه خطاباته المصورة يزعج الحكومة السعودية، خاصة بعد ظهوره في الصف الأول في إعلان (جبهة ثوار سوريا)، وحاولت الضغط على الشيخ محمد من خلال

بعض أصدقائه، الذين اقترحوا عليه العودة إلى السعودية مقابل ضمانات بعدم التعرض له، فلما رفض رفضا قاطعا، اقترحوا خروجه إلى أي بلد أوربي بعيدا عن الساحة السورية، التي يراد لها أن تكون حكرا على القوى الدولية ودولها الوظيفية، دون أي تدخل من الأمة وشعوبها فيها، ولو بالعمل الإغاثي الخيري!

ورفض الشيخ محمد هذا العرض أيضا، وعرف أن الحكومة السعودية تريد منه من خلال بعض أصدقائه أن يكون في أوربا منفيا، وتحت رقابة تلك الدول، حتى يكون بعيدا عن الأمة ومعركتها في الشام!

وبعد أن فشلت هذه العروض والضغوط، حاولت الحكومة السعودية الاتصال بي شخصيا، عبر بعض الوسطاء، من خلال التواصل ببعض أعضاء (حزب الأمة) في الكويت سابقا، حيث اتصل بي أحدهم في يناير سنة ٢٠١٣م، وأخبرني بأن لديه ضيوف من قبيلته، وهم من مكتب وزير الداخلية السعودي، ويريدون اللقاء بي، للتفاهم لحل الخلاف!

فقلت له: ليس هناك مشكلة بيننا وبينهم لنحلها، وإنما المشكلة بينهم وبين (حزب الأمة الإسلامي)، ومع الشعب السعودي نفسه، ومع ثلاثين ألف سجين، وبإمكانهم إطلاق سراح الشيخين الوهيبي والغامدي من السجن، والتفاهم مع الشيخ محمد المفرح بالخارج للوصول إلى حل للأزمة السياسية عندهم!

وبعد هذه الرسالة بأسبوعين تقريبا وفي شهر يناير زارني في مخيم (حزب الأمة) الربيعي الناشط السياسي فايز النشوان بصحبة الأخ محمد الخنين، فأخبرني فايز النشوان بأنه يحمل رسالة من قريب له مستشار في مكتب وزير الداخلية السعودي، يدعوني فيها لزيارة المملكة في ضيافة وزير الداخلية، لحل الخلاف بين الطرفين!

فأجبته بالإجابة نفسها التي أجبت بها على الرسالة الأولى!

وزاد يقيني بعد هاتين الرسالتين أن الحكومة السعودية، وبعد أن فشلت في إقناع الشيخ محمد المفرح تحاول الضغط عليه من خلالنا نحن، ومن خلال بعض الأطراف في (حزب الأمة) و (مؤتمر الأمة)، لنتخلى عنه، حتى يمكن لها التفاهم معه، والضغط عليه!

وتحقق ما ظننته إذ تفاجئنا في مؤتمر الأمة الثامن الذي عقد بإسطنبول بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٣م في فندق قونن في منطقة تقسيم، بحضور ومشاركة بعض من لا علاقة لهم بحزب الأمة الإسلامي، وقد أحسن الشيخ محمد المفرح استقبالهم، وفسح لهم المجال للمشاركة، وفي اجتماع اللجنة السياسية تفاجأ الجميع بما طرحه مندوب (حزب الأمة الإسلامي) القادم من داخل السعودية، والذي يحضر للمرة الأولى اجتماعات (مؤتمر الأمة)، حيث دعا إلى (حل الهيئة الاستشارية لدعم الثورة السورية) التي يرأسها الشيخ محمد، وحل لواء الأمة في سوريا، وعدم التدخل في الشأن السوري، وإعادة تشكيل اللجنة السياسية لمؤتمر الأمة، واختيار منسق جديد للمؤتمر، وإعادة صياغة النظام الأساسي لمؤتمر الأمة، وقائمة طويلة من شروط وزارة الداخلية السعودية!

فقلت له: يبدو أنك جديد على (مؤتمر الأمة)، وعلى (حزب الأمة الإسلامي)، ولم تقرأ المبادئ والأهداف، وقلت له بأن الهيئة الاستشارية تم تشكيلها بإجماع من تنظيمات (مؤتمر الأمة)، وهي لمساعدة الشعب السوري في ثورته على الطغيان من أجل حريته، وهذا مبدأ رئيس من مبادئ (مؤتمر الأمة)، والعالم كله اليوم يقف مع الشعب السوري وقضيته العادلة، كما إن (لواء الأمة)، لا علاقة له بمؤتمر الأمة، فهو جزء من (جبهة ثوار سوريا) كأحرار الشام، ومن أطلق عليه هذا الاسم هم مؤسسوه وليس (مؤتمر الأمة) ... إلخ

ثم قلت له: هل ما طرحته الآن يمثل رأيك الشخصي أم رأي (حزب الأمة الإسلامي)؟

فقال: رأي (حزب الأمة الإسلامي) في الداخل السعودي!

فقلت: هل يعلم الشيخ محمد المفرح وهو الناطق الرسمي للحزب والممثل له في اللجنة السياسية في (مؤتمر الأمة) عن هذه الاقتراحات شيئا؟

قال: لا!

فقلت له: كيف يعقل أن تحضر أول مرة وتطرح مثل هذه الاقتراحات دون أن يعلم بها الشيخ محمد وهو معنا في هذا المؤتمر، وهو الذي سمح لك بالحضور نيابة عنه!

ثم رد عليه باقي أعضاء اللجنة السياسية ردودا مفحمة!

وبعد انتهاء الاجتماع قلت له: يبدو أنك نقلت لنا ما تريده وزارة الداخلية السعودية بعلمك أو بدون علمك!

وفي اليوم التالي للمؤتمر وبعد انتهائه جاء الوفد الأمني التركي ليقول للشيخ محمد عليك مغادرة تركيا!

وعرفنا أن الحكومة السعودية تحاول بكل وسائلها الضغط عليه!

### هجرته إلى الشام وجهاده فيها:

منذ أن بدأت الثورة المسلحة في سوريا، كان الشيخ محمد من أول من بادروا لنصرتها، فسافر في أواخر سنة ٢٠١١م مع الشيخ محمد العثامين (أبو أشرف) رحمه الله المشهور (أبو عبد العزيز القطري) - وكلاهما قرشي أموي - فزاروا (أحرار الشام) في بداية تأسيسها وقبل اشتهارها، وقدموا الدعم لها، وكان أول دعم يقدم لهم ٥٠ ألف دولار من أبي أشرف، ومن الشيخ محمد، وظل الشيخ محمد وأبو أشرف يستنفران الجميع لنصرة الشعب السوري، ويوجهان الدعم للفصائل، ويعملان على توحيد صفوفها، وترشيد أدائها، بعيدا عن الضجيج الإعلامي.

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر الثامن لمؤتمر الأمة، الذي عقد بإسطنبول بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٣م في فندق قونن في منطقة تقسيم، وكان قد عقد قبله بيوم مؤتمر (فك الحصار عن حمص)، وفي صباح اليوم التالي تم الإعلان عن (جبهة تحرير وإنقاذ العراق)، الذي أربك العلاقة بين تركيا والحكومة الطائفية في بغداد - جاءت الاستخبارات التركية في آخر يوم للمؤتمر، وبعد انتهاء أعماله، وطلبت لقاء الشيخ محمد على انفراد، فاصطحب معه الشيخ حسن الدقي وعلي القاضي وهادي التلاوي، وجلس معه رجال الأمن على انفراد في الفندق، وقالوا له بأن عليه مغادرة تركيا، وأن الحكومة السعودية قد أرسلت طائرة لاستلامه، وأنه يجب عليه الخروج منعا من إحراج تركيا...

فأخبرهم الشيخ محمد بظروفه، وأنه لاجئ سياسي، وحياته مهددة بالخطر حال خروجه - ومعه زوجته وطفله، الذين التحقوا به منذ شهرين - ولا توجد دولة تستقبله فأصروا على مغادرته!

وبعد مدة أخبرني د. عبد الرحمن النعيمي الأمين العام للحملة العالمية لمقاومة العدوان - كما أخبر الشيخ محمد المفرح - بأن المسئولين الأتراك طلبوا منه إيصال رسالة للمفرح بضرورة المغادرة، وأن حياته قد تتعرض للخطر.

فظل الشيخ محمد يستخفي عن الأنظار، وكان قد انتقل من سكنه في العمرانية إلى منطقة (بشاك شهير - مترو كنت) وفي أثناء وجوده في الطريق اعترضه رجال أمن بلباس مدني وطلبوا منه اللقاء وقالوا له بأن عليه المغادرة خلال خمسة أيام!

وبعدها عزم الشيخ محمد على المغادرة، واستخار الله، واختار الشام دار هجرته الثانية، وأخبرني وأخبر الشيخ حسن الدقي والشيخ سيف الهاجري على ما عزم عليه، وخرج بسيارته التي جاء بها من السعودية إلى الحدود السورية، حيث كان (لواء الأمة) في استقباله، وقد رفض حراس الحدود التركية خروجه من المعابر المفتوحة، وطلبوا منه الذهاب للمعابر الرسمية التي ما زالت بيد النظام السوري، مما اضطره للخروج بشكل غير قانوني، فدخل سوريا وظل اسمه في الجوازات على أنه ما زال في تركيا!

وكان طول الطريق يدعو يا رب الشام يا رب الشام!

فلما دخل أرض الشام سجد شكرا لله!

ولم تتوقف ضغوط الحكومة السعودية بعد خروج الشيخ محمد إلى الشام، حيث أزعجها استئنافه لنشاطه الجهادي في سوريا، وظهوره الإعلامي، فعاودت الضغط على (مؤتمر الأمة) للتخلي عن الشيخ محمد!

ففي أثناء وجود الشيخ محمد في سوريا، جاء صديق الشيخ محمد المفرح الذي نقل له رسالة وزارة الداخلية سابقا، إلى مكتب (منظمة الأمة) في منطقة الفاتح ومعه مجموعة، وهدد قيادات (مؤتمر الأمة)، وقال بأنه لن يسمح لأحد بالتعرض للمملكة العربية السعودية!

فقلت له: وصلت رسالة الحكومة السعودية!

وقال: بأن محمدا لا يمثل (حزب الأمة الإسلامي)، وليس له علاقة بالحزب!

وقال بأنهم جاءوا للحصول على حسابات مواقع (حزب الأمة الإسلامي)!

فقلت له: من أنت؟

وكيف وصلت إلى هنا؟

وكيف عرفت باجتماع اللجنة في هذه الساعة؟

وقلت له: كيف تقوم بالإعلان عن إقالة الأمين العام للحزب، وأنت أصلا لست عضوا في حزب (الأمة الإسلامي)!

وحدثت مشاجرة بينهم وبين الشيخ حسن الدقي!

وقلت لهم: لا علاقة للمؤتمر بحسابات (حزب الأمة الإسلامي)، وعليكم أن تتصلوا بالشيخ محمد المفرح مباشرة، فهو الأمين العام للحزب، والتفاهم معه، ولا دخل للمؤتمر بهذه الشئون الداخلية لكل حزب، على فرض أنكم أعضاء في الحزب!

وقد ظل الشيخ محمد في أرض الشام مهاجرا ومجاهدا من فبراير ٢٠١٣م إلى أواخرها ٢٩/ ٦/ ٢٠١٣م، مع لواء الأمة وباقي الألوية، لا يفرق بينها لا في دعم ورأي، ولا في توجيه ونصح، ويرى الجهاد جهاد أمة، لا جهاد جماعات وفصائل، وأن الثورة ثورة أمة.



## تأسيس معسكر الشهيد محمد العبدولي:



وأثناء وجود الشيخ محمد المفرح في سوريا استشهد يوم ٣/ ٣/ ٢٠١٣م رفيق دربه في الهجرة والجهاد الشهيد بإذن الله تعالى العقيد طيار ركن محمد أحمد العبدولي الإماراتي، وهو من أوائل من نفر لنصرة الشعب السوري مع الشيخ حسن الدقي، وكان قد التقى بعد ذلك الشيخ محمد في تركيا منذ بداية الثورة المسلحة في سوريا، فتعارفا وتآلفا، كما في الحديث الصحيح: (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف)، وقد تأثر الشهيد العبدولي بالشيخ محمد المفرح، وآمن بمشروع الأمة، لما رأى من أحوال الشيخ محمد ونصرته للجهاد، ونصيحته للأمة.

وقد التقينا بالشيخ العبدولي بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٢م، بإسطنبول، ثم جاءنا في أواخر ديسمبر أو أوائل يناير ٢٠١٣م – قبل دخوله الأخير إلى سوريا واستشهاده – في شقتنا في الفاتح، ودار بيننا حديث عن مشروع الأمة، ووجوب أن يكون الجهاد في هذه المرحلة جهاد أمة لا جهاد فصائل وجماعات، كما يريده العدو، وأنه لا يمكن للأمة مواجهة تداعي الأمم بمشاريع جماعات وفصائل، وبدون مشروع سياسي، ووافقني على ذلك، واعترف بالأزمة وأبعادها.

ثم قال لي الشيخ حسن الدقي: يا دكتور حاكم للشيخ العبدولي بعض الملاحظات على أداء (الهيئة الاستشارية) فياليتك تسمعها منه!

فقلت له: تفضل يا أبا الوليد؟

فقال: هناك عتب عليكم في المؤتمر، وعليك أنت شخصيا يا دكتور حاكم من الإخوة في...؟ وذكر فصيلا جهاديا مشهورا في الساحة السورية!

**فقلت: وما هو؟**

**فقال: يقولون بأن د. حاكم ينشر في حسابه بالتويتر أخبار الفصائل ويتجاهلهم، وأنه تم إيقاف الدعم عنهم!**

**فقلت له: وقد تمثلت بيت دعبل الخزاعي حين يقول:**

**تأنّ ولا تعجل بلومك صاحبا ❊❊❊ لعل له عـذرا وأنت تـلـوم**

**وتذكرت قول العرب: (رب ملوم لا ذنب له)!**

**وقول منصور بن الزبرقان النمري:**

**لعـل له عــذرا وأنت تـلوم ❊❊❊ وكم لائم قد لام وهو مليم**

**وقلت له: يا شيخ محمد ليس كل عذر للإنسان يمكن أن يبديه، فربما كان تحمل اللوم والعتاب أهون عليه من بيان عذر قد يفسد ما بين اثنين فضلا عن جماعتين، وكانت مفسدة ذلك أكبر من العتب!**

**فلما رأيته لم يفهم جوابي، ولم يقتنع به، أخبرته بحقيقة ما جرى من ذلك الفصيل، وأطلعته على الرسائل بيني وبين قادته على السكايب، وكيف أنني تجنبت ذكرهم بعد أن أشاعوا بأن (الهيئة الشعبية) تستغل اسمهم!**

**فلما رأى العبدولي الرسائل قال: غفر الله لهم لم يذكروا لي هذه التفاصيل! ثم أوصى بهم خيرا، فقلت له: ما تريده يا أبا الوليد سيكون بإذن الله، ونحن جميعا في خدمة هذه الأمة وثورتها!**



مع د. حاكم والشيخ العبدولي والشيخ الدقي والهاجري من أمام أحد مساجد إسطنبول

**وبعد ذلك اللقاء وافق العبدولي على اقتراح الشيخ حسن الدقي بأن يكون رئيس حزب الأمة الإماراتي، على أن يتم تأجيل الإعلان عن ذلك حتى يرجع من سوريا، فكتب الله له الشهادة قبل الإعلان! حيث دخل بعدها الشهيد العبدولي مباشرة إلى سوريا، وقاد معركة بطولية حرر فيها مطار تفتناز، واستشهد فيه!**

وقد نعاه الشيخ حسن الدقي الأمين العام لحزب الأمة الإماراتي، منوها به كأول رئيس لحزب الأمة الإماراتي، ثم لم يمض على استشهاد العبدولي سنتان حتى لحق به رفيق دربه الشيخ محمد المفرح أول أمين عام لحزب الأمة الإسلامي!

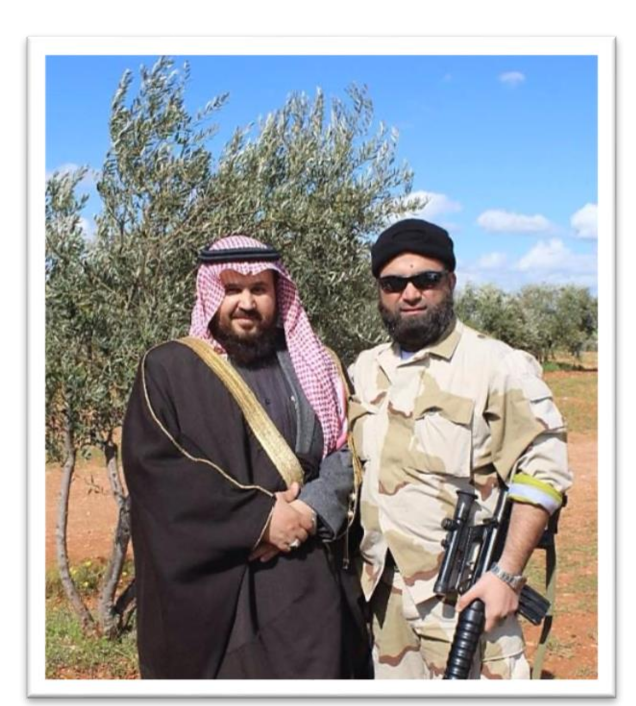
وقد أرسل لي ابن الشيخ العبدولي بعد استشهاده بأيام رسالة بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٢٠١٣م، يبشرني برؤيا رآها في والده، وطلبت منه إرسالها وهذا نصها: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته شيخي الفاضل، أنا .... ابن الشهيد محمد العبدولي، أما عن الرؤيا: فكنت مع أبي في البيت، وكعادته يدير حلقة القرآن، فجأة قدم إلينا ضيف، فخرجت فإذا به أنت حفظك الله، فسلمت عليك، ورجعت لأبي، فإذا به قد أتى، وقال: احذر عيون ما يسمى بالأمن! وقدم إليك وعانقك، وظل حاضنا لك بحرارة، وانتهت الرؤيا وهو يعانقك، علما بأني أقول في الرؤيا: سبحان الله ما هذه المحبة والمعانقة الحارة).

وقد عبرها بعض المعبرين بأنها بشارة، وأن العبدولي استشهد على ما أنتم عليه من مشروع الأمة الواحدة والخلافة الراشدة، وأن المعانقة إشارة إلى البقاء على العهد معكم!




وقد قام الشيخ محمد المفرح بعد استشهاد العبدولي بتأسيس معسكر باسمه، ووفر له كامل احتياجاته، وخرّج أول دفعة منه هو والشيخ حسن الدقي، تخليدا لذكرى صاحبهما الذي أحبهما وسبقهما للشهادة، وقد ذكر السيد علي القاضي الحسني هذه الحادثة فقال: (بعد دخول الشيخ المفرح إلى أرض الشام اتصل بي وطلب مني بأن أعد طاقما إعلاميا شاملا، وتصورًا عن تجهيز مكتب إعلامي، وتدريب أفراد من لواء الأمة لإدارة المكتب الإعلامي، وعاود الاتصال بعدها وطلب إحضار كوادر مختصة بالعمل العسكري لتدريب الفصائل في الشام، ودخلت أرض الشام في الشهر الثالث من عام ٢٠١٣م، حيث عبرنا الحدود المصطنعة، وكانت الوجهة إلى مدينة إدلب، وعند وصولي إلى المكان المتفق عليه، دخلت المنزل الذي من المفترض أن التقي بالشيخ المفرح فيه، فسألت عن الشيخ فأخبرني بعض الإخوة بأن ألزم الصمت، وبعدم ذكر

اسم الشيخ، وذلك أن هناك شخصا مرسلا من المخابرات ومعه صورة للشيخ المفرح ويبحث عنه، لذا تم نقل الشيخ إلى مكان آخر أكثر أمنا، وفي اليوم الثاني ذهبنا للشيخ فوجدته في منزل لا يبعد عن وادي الضيف إلا ٢ كيلو متر، وأصوات القصف والرصاص لا تفارق المكان، حيث أن معركة البنيان المرصوص قد بدأت مع العصابات الأسدية، فأخذنا الشيخ بعد أن استرحنا إلى نقاط المرابطة الأمامية على جبهة وادي الضيف، ورصد الوادي بنفسه، وليطلعنا عليه وعلى نقاط الرابط، ومن ثم اتجهنا إلى المكان المخصص لإنشاء معسكر القائد الشهيد العبدولي، فكلفت من قبل الشيخ بالإشراف على إنشاء المعسكر، وتحديد ما يحتاجه المعسكر من دعم لوجستي، حتى أنه لم يكن يكاد ينقص شيء



من لوازم المعسكر إلا ويقوم الشيخ بتوفيره، وبعد إنشاء المعسكر فتحت أول دورة عسكرية، وقام بنفسه بتخريج أول دفعة من الدورة، ووضع نصب عينه بعد إتمام المعسكر وتخريج الدورة الأولى إنشاء ورشة للتصنيع العسكري حتى يتم توفير ما يحتاجه المجاهدون من سلاح وعتاد، وتم إحضار الخبرات اللازمة، وتم تصنيع أول أنواع الأسلحة، وخرج الإخوة لتجربة هذا النوع من السلاح، وحصل هناك خطأ، وقام أحد الإخوة بتفجير اللغم قبل الموعد المحدد، وقبل أخذ الاحتياطات اللازمة فانفجر علينا اللغم، والذي يحتوي على أكثر من ١٠ كيلو جرام من المواد المتفجرة، وأكثر من ١٤٠٠ شظية، فأصبحنا نتفقد بعضنا البعض، فإذا أرى الشيخ محمد المفرح خلفي يبتسم، ويقول: لا تخافوا لا أحد يموت قبل يومه).

## محاولة اغتيال الشيخ محمد في سوريا:

وقد تعرض الشيخ محمد في سوريا إلى محاولة اغتيال على يد مستأجرين للاستخبارات، وكان اسمه وصورته ينشران بين الفصائل السورية وعلى المعابر كمطلوب للنظام السعودي!

وقد أخبر أبو حسن العرجاني في شهادته عن تلك الحادثة في سوريا فقال: (ولعلي هنا أذكر أمرا مهما ليسجله التاريخ، في أحد المرات كنت أنا والشيخ محمد في بعض الزيارات، فأخبرني أحد الأخوة من أصحابي الثقات

فقال: صاحبك هذا قد رأيت صورته عند جهة ما هنا في سوريا، وقد دفع مبلغ مالي لتصفيته من قبل دولة... وأخبرني بهذا الأمر شخص مزروع من طرفنا في هذه المجموعة، وقد أراني صورته لأتعرف عليه، علما أن هذه المجموعة لا تفعل شيئا، وإنما تخادع الأنظمة من أجل أخذ المال، وأبلغ صاحبك ينتبه على نفسه ويحذر)!

وقال الشيخ ارشيد الهاجري الذي كان في حملة إغاثة للمناطق المنكوبة في سوريا بوفد من (الهيئة الشعبية) وزاروا الشيخ محمد: (تعرض رحمه الله لمحاولات اغتيال وتجسس، مثل ما حصل له من تجسس أحد أفراد إحدى الألوية، وكان قد وضع هذا الجاسوس قلما في جيبه يصور، فلم نعلم به، ولم يلفت انتباهنا، فقال الشيخ محمد بفراسته وفطنته لقائد اللواء: انظر ما الذي في جيب هذا الرجال، هل هو قلم أم كمرة تصوير، فتبين أنه كمرة، فمسكوه وسجنوه، وحققوا معه فاعترف أنه مرسل من قبل مخابرات عربية، فأنجى الله الشيخ منهم.

وبعد حادثة التجسس في إدلب انتقل الشيخ محمد إلى الساحل بقرب اللاذقية، وزرناه هناك، وكان في مقر من مقرات المجاهدين، وبعد مضي وقت طويل تقريبا شهرين، قال الشيخ لابد أن تغيروا المكان، لأن الناس كثير مايأتوني هنا فأحس أنهم مخترقين، فسبحان الله غيرنا المكان وفي تلك الليلة قصف المقر، فلا إله إلا الله الذي نجانا).

وقد قال لي الشيخ د. حسن سلمان وقد زار الشيخ محمد في الساحل: (كنا عنده وفي صبيحة يوم من الأيام وعلى غير عادته، أمرنا جميعا باللباس والخروج من المكان، فاستغربنا من تصرفه، فلبسنا وخرجنا من المقر، وما هي إلا دقائق حتى تم قصف المكان)!

وقد أرسلت (الهيئة الاستشارية لدعم الثورة السورية) وفدا سياسيا وفنيا لزيارة الشيخ محمد المفرح، وتقييم الموقف داخل سوريا، وقد استقبلهم الشيخ محمد، وزار معهم المناطق المحررة، وأرسلوا تقريرهم عن الزيارة بتاريخ ٤/ ٥/ ٢٠١٣م، وهي تمثل وجهة الشيخ محمد أيضا، وجاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظات عن الوضع في سوريا:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

إن من فضل الله ومنه على عباده ما حدث من تحولات وتغييرات جذرية في العالم العربي فيما عرف بالربيع العربي، وقد أخذ مناح شتى بين السلمية وغير السلمية، وكان أعنف وأطول نوع في تحولات المنطقة ما حدث في بلاد الشام، وذلك لهيمنة الطائفية على مفاصل الدولة، وغياب الجيش الوطني، وتنازع الدول الكبرى على النفوذ في المنطقة، ووجود الكيان الصهيوني، وتمدد التأثير الصفوي، وضعف الحلفاء الإقليميين وترددهم وخوفهم من الوجود الإسلامي في الحراك الثوري، كل تلك الأسباب جعلت من الوضع في سوريا وضعـًا معقدًا

يصعب التنبؤ بمآلاته، ولكن القصد من هذه الملاحظات إبداء الرأي والنصيحة، ممن تنقصه الكثير من المعلومات، والقراءة الدقيقة، والوقوف الميداني الشامل، حيث كانت الزيارة قصيرة، ولم تشتمل إلا على منطقتي ريف إدلب، وريف اللاذقية، حيث مناطق وجود بعض ألوية الأمة، وهي تعد من المناطق المحررة، وفي ذات الوقت مناطق تماس مباشر مع العدو...

وهذه بعض الملاحظات العامة والخاصة عسى ذلك يسهم في تحسين الأداء السياسي والميداني والإداري وذلك في النقاط التالية:

الملاحظات العامة حول الوضع السوري:

١- إن أكبر ما يواجه الثورة السورية هو الخلافات البينية والتناقضات الهائلة وبروزها قبل سقوط النظام، وتفاقمها كلما طالت المدة الزمنية في الصراع، وتأثيراتها الميدانية ظاهرة لا تخفى على المراقب، حيث أزمة الثقة هي سيدة الموقف في أغلب التصرفات والمواقف.

٢- غياب المشروع السياسي الجامع والمعبر عن تطلعات الشعب الراهنة والمستقبلية، وغياب الأولويات وكيفية التعامل مع النوازل، مع ضعف في العلم الشرعي إجمالًا، ويسود منطق التشدد ونزعة التكفير، أو ما يقابل ذلك من التساهل والتفريط، ولعل كل ذلك ليس بمستغرب في شعب ظل بعيدًا عن دينه بفعل الكبت والطغيان السياسي والأمني، ويعود الآن لدينه فيكون التحدي في كيفية السير به نحو طلب الكمال.

٣- هناك قطيعة شبه تامة بين الوضع الميداني والحراك السياسي الخارجي، وهذا بلا شك سيعقد المشكلة ويطيل من أمد الصراع، وهنا أشير للتيار الإسلامي والذي في غالبيته غير مؤطر في السياق السياسي الجاري، وليس له رؤية مطروحة يخاطب بها الشعب السوري ويجعلها من الناحية السياسية في مواجهة المشاريع الأخرى، وهذا بدوره يعطي انطباع بأن الإسلاميين ليس لهم مشروع حكم وإن امتلكوا - فرضا - مشروع حرب وقتال.

٤- خلو المناطق المحررة - غالبا - من المؤسسات المدنية والخدمات، بالرغم من الحاجة الماسة لذلك، وهذا بدوره يعطي رسائل سالبة مع طول المدة بعدم قدرة الثورة على الإدارة.

٥- تعيش منطقة الساحل حالة من الجمود في التحرك العسكري، وربما كان ذلك بتدبير من القوى المسيطرة على القرار، والتي لا تريد لهذه المنطقة أن تتحرر، وربما كان بتوجيه إقليمي ودولي، وهذا بدوره جعل الحاضنة الشعبية للنظام في مأمن من المخاطر والمهددات، وجعل النظام ضامن للمنطقة العلوية ويقاتل في المناطق السنية ويحدث فيها دمارًا وخرابًا.

**٦- تنتشر الاتجاهات الإسلامية بكثرة في مختلف المواقع والمناطق، وتتفاوت قوة وضعفـًا ولكن هناك بعض الاتجاهات يمكن الإشارة إليها بغض النظر عن منهجيتها الخاصة، ولكنها اتجاهات إسلامية مؤثرة وهي:**

**أ- أحرار الشام: وهي منتشرة بشكل جيد، ولها وجود عسكري، وتقوم بعمليات في عدة مواقع، ولكنها فيما علمت ليس لها مشروع سياسي واضح المعالم، وفي داخلها عدة اتجاهات ربما تتبلور رؤيتها بشكل واضح في المستقبل.**

**ب- جبهة النصرة: وقد كانت من أكثر المجموعات فاعلية وتأثيرًا من الناحية العسكرية، ولكن الانقسام الأخير لقسمين أحدهما يتشكل من غالبية السوريين بقيادة الجولاني، والآخر تابع لدولة العراق وغالبيتهم من المهاجرين، وبالرغم من ذلك فإن جبهة النصرة لها حضور عسكري بالرغم من التصنيف الدولي لها.**

**ج- لواء الإسلام (بقيادة علوش) : وهو تنظيم يتواجد في العاصمة دمشق وريفها، ويتمتع بتنظيم دقيق، وتماسك داخلي، وتمويل جيد، وحضور إعلامي، وله تحالفات خاصة ممثلة في (الجبهة الإسلامية لتحرير سوريا).**

**ثانيـًا: الملاحظات الخاصة:**

**١- بالنسبة للواء الأمة فإن إدلب تعد من أخصب المناطق قبولًا لمشروعه وتفاعلًا معه واستعدادًا للتنظيم، وقيادة اللواء في إدلب سمعتهم جيدة في الوسط الشعبي والجهادي، وقد جلسنا مع مجلس محلية تلمنس، ولهم علاقات طيبة مع اللواء، ويناشدون بضرورة الإسراع في العمل السياسي والمدني.**

**٢- وأما الوضع في الساحل (اللاذقية) فقد بذل الشيخ أبو عبد الله - محمد المفرح - محاولات عديدة لتأسيس لواء خاص إلا إن العمل لا زال في طور التأسيس...**

**والمنطقة مهمة جدًا من الناحية الاستراتيجية والعملية وخاصة في حالة وجود محاولات حصار بعد التسويات السياسية القادمة، وعليه تحتاج لنظر عميق في التعامل مع المنطقة، وربما كانت الحاجة ماسة للبحث عن تحالفات مع القوى المتقاربة والمتشابهة...**

**اقتراحات لكيفية التعامل مع الملف السوري:**

**١- يمكن تقديم مبادرة بين الإسلاميين يصاغ فيها مشروع سياسي يتضمن الحد الأدنى بين المجموعات، ويستوعب طبيعة الثورة السورية الشعبية ومكوناتها، ويراعي التنوع القائم في البلاد وخصوصية الجغرافيا.**

**٢- ضرورة فتح القنوات مع الجميع، والتأكيد على أولوية إسقاط النظام، وفتح قنوات للحوار بين المجموعات، والتنسيق بينها...).**

**وقد ظل الشيخ محمد في أرض الشام مجاهدا ومرابطا، يحاول تحقيق رؤية (الهيئة الاستشارية)، في جمع فصائل الثورة، وتعزيز روح الأخوة، وإحياء مفهوم الأمة الواحدة، وكان أنموذجا يقتدى به في ذلك، وكان يلتمس**

الشهادة ويتعرض لها في مواطنها، ويتمناها في أرض الشام، وكان له أكبر الأثر في حصار وادي الضيف في إدلب لتحريره من عصابات النظام التي تقصف الأهالي من قاعدته العسكرية الضخمة، وقد أبلي فيه بلاء حسنا!

وقد قال الأستاذ حسن أصلان وكان قد صحب الشيخ محمد في الشام مدة وأشاد بدوره في العمل لتحرير وادي الضيف: (ترى الشهامة والمروءة والعزة والشجاعة... وهنا لا أدري فهل هناك سر في تسمية الوادي بوادي الضيف الذي ضم الخليفة عمر بن عبد العزيز، وأتى بأبي عبد الله زائرا ومدافعا عن الوادي، الذي سمي باسم يدل على الكرم، ولتجتمع عنده أكمل صفات الرجال من الشجاعة والكرم).

وقال عنه الشيخ أبو الفداء رشاد سعيد الوارفي اليماني ذاكرا مناطق جهاد الشيخ محمد وما قام به من (نصرة للمستضعفين، وعونا للمحرومين... سلوا العشرين، ووادي الضيف، وسراقب، واللاذقية، وإسلام الفاتح، تنبئكم عن أثاره ومآثره، ولأجهشت بالبكاء لفراقه).

وقد رأى الناس الذين كانوا معه من الكرامات التي تجري له والتي تواترت عنه ما لا يجرأ على التحديث بها إلا من شاهدها، فلعل الإخوة الذين كانوا معه يسجلونها لتكون في سيرته الخالدة ذكرى للأجيال التي تعيش في عصر طغت عليه الحياة المادية، ليكون قدوة حسنة حيا وميتا.

وقد كان للشيخ محمد المفرح دور كبير في الساحل وريف اللاذقية وكان سببا في ثبات الفصائل وتقدمها، كما شهد له بذلك قيادات جبهة النصرة وصقور العز، قال السيد علي القاضي الحسني: (انطلقنا مع الشيخ المفرح أنا والشيخ حجاج العجمي - الذي زارنا في وفد من الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري في المناطق المنكوبة - إلى اللاذقية، لعقد لقاءات مع قيادة الكتائب للاتفاق على غرفة عمل مشتركة في الساحل، وهناك اجتمعنا بأمير كتيبة صقور العز وأمير جبهة النصرة في اللاذقية، وسلم الشيخ محمد كل واحد منهم دعما كبيرا من المال، وفي المساء عدنا إلى إدلب، وفاجأنا خبر الانقلاب في مصر ونحن في طريق العودة، وأن مرسي قد تم اعتقاله، فما كان من الشيخ إلا أن رفع جهاز اللاسلكي وكلم أحد الإخوة وقال له: جهزوا أنفسكم، فمصر بحاجة لكم، وهو يكرر يسقط يسقط حكم العسكر، وبعد هذا الزيارة حصلت معركة كسب والتقيت فيها بأمير جبهة النصرة في اللاذقية فقال لي: أوصيك بإيصال سلامي للشيخ المفرح، فلولا أن سخره الله لنا في الوقت المناسب بتقديم المساعدات، لما تمكنا من شراء هذا الأسلحة والآليات التي تراها، فالمال الذي قدمه له دور كبر في شراء هذا الأسلحة وهذا الآليات).

وقد حدث عنه الشيخ أبو حسن علي العرجاني وكان يزور الشيخ المفرح في ريف إدلب واللاذقية وصحبه مدة فقال: (وقد سكنت معه في منزل لفترة، حيث كنت وقتها أتنقل في الساحة وبين المعسكرات والكتائب والمناطق

أعطي الدروس والكلمات، فطلب مني الشيخ محمد المفرح رحمه الله أن أجلس معه ليكرمني، كعادته مع ضيوفه ومن يحبهم، وقد قام الشيخ بتجهيز هذا المنزل وترتيبه من نفقته، وبعد أن سكنا أنا وهو في هذا المنزل، تم رصده من قبل أعوان النظام، ثم قاموا بقصف المنزل بقذيفتين باتجاه الغرفة التي نجلس وننام بها، فاخترقت النوافذ وأثرت الشظايا داخل الغرف بشكل مخيف، وقدر الله تعالى لنا أننا كنا خارج المنزل هذه الساعة والحمد لله، ولو كنا في هذا الوقت داخل المنزل ما كنا ندري ماذا حل بنا!

وهذا من حفظ الله تعالى لنا وهي من إحدى القصص التي صادفتني أثناء وجودي في هذه الفترة مع الشيخ رحمه الله تعالى).

## حب السوريين له وحسن أثره فيهم:

كان الشيخ محمد رحمه الله مجاهدا وطالب عالم وداعية إلى الله بهديه وسمته، قرأ على عدد من الشيوخ في مكة، ولزم دروس الشيخ سفر في العقيدة في جدة، وقد قرأ معي في سنن أبي داود سنة ٢٠١١م - حين كان في منطقة العمرانية - حيث قرأنا كتاب الإمارة، وكتاب الجهاد، وكتاب الأدب، وغيرها، كما قرأنا في سنن الترمذي كتاب الزهد والفتن وغيرهما، وقرأنا صحيح البخاري من أوله ومن كتاب الرقاق والفتن، وغير ذلك من الكتب، وكان قد قرأ كل كتبي ومقالاتي في السياسة الشرعية، وحاورني فيها محاورة فقيه، وقد دعا كثيرا من قيادات العمل الإسلامي من كل التوجهات إلى (مشروع الأمة) و(الخطاب السياسي الراشدي)، وكان يحاورهم ويقنعهم، لما آتاه الله من حسن البيان والإيجاز، ومع كونه صموتا وقورا، إلا إنه متحدث بارع، يؤثر في نفس السامع، بحركاته وسكناته وإشاراته، خاصة إذا اهتم بالموضوع الذي يتحدث عنه، كما قال عنه الشيخ محمود عبد الجبار: (كان خطيبا مفوها وكان شجاعا عرفته ساحات الوغى)، وقد نشر هذا مشروع الأمة في سوريا، وتبناه كثير من الدعاة والمصلحين ببركة جهده ودعوته وعلمه.

وكان حريصا على نشر العلم الشرعي ونشر السنة في سوريا، وكان يحث[1] طلبة العلم على القدوم إلى أرض الشام للقيام بدورهم في تعليم الناس وإرشادهم، قال أبو مالك الأزدي: (وكنت أحبذ البقاء معه لتمريضه، وأعلم حاجته لي، ولكنه كان يرفض أن أبقى معه، ويقول لي: الإخوة المجاهدين بحاجتك يا أبو مالك، بحكم

(١) كما كان يحث عامة الأمة على نصرة الشعب السوري في حسابه على التويتر، ومما كتبه بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠١٣م: " والله لو رأيتم حالة الهلع التي تصيب النساء والأطفال وقت سماع الطيران لما تأخر أحدٌ عن نصرتهم بنفسه وماله" ووصف تكالب الأمم على الشام بقوله: " اجتمعت ملة الكفر على قتال المسلمين على أرض الشام والأمة قد أجمعت أمرها للتصدي لهم".

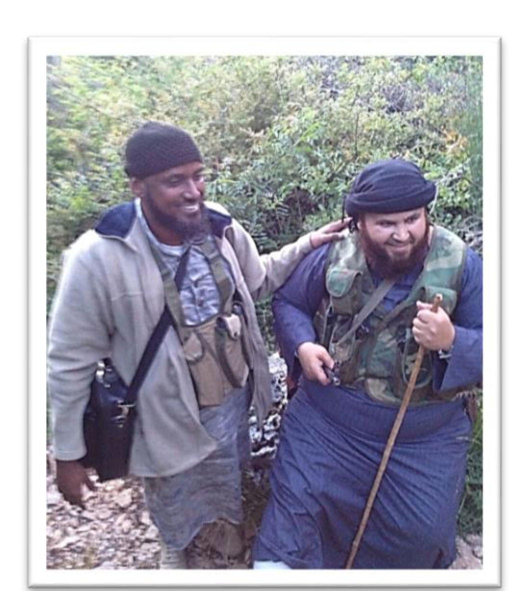
أنهم وضعوني في اللجنة الشرعية في اللواء، فكنت أطوف على بعض السرايا والفصائل أعلم بعضهم بعض ما جهله من أمور دينهم، لأنهم غيبوا عن السنة الصحيحة وزرعت البدع في دينهم بسبب تسلط النظام).

وقد عزم على إقامة معاهد شرعية للدعاة والقضاة حين كان في الشام، وكان على وشك تنفيذ هذا المشروع، لولا الحريق الذي اضطره للخروج إلى تركيا، قال عنه الشيخ أبو الفداء رشاد الوارفي كان (محبا للعلم، موقرا لأهله، كانت أمنيته إقامة معهد لإعداد الدعاة والقضاة، لتغطية الحاجة الملحة في الساحة السورية وحاول كثيرا).

وكان يكره الاختلاف والافتراق والغلو بفطرته وفقهه، ويدعو إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله جميعا، كما أكد ذلك الأستاذ إياد العطية بقوله: (كان حريصا رحمه الله على التواصل مع الجميع بخاصة في العراق وسوريا، ويحثنا على التواصل والاجتماع مع الآخرين، وإن اختلفنا معهم في بعض الجزئيات).

وكان يؤكد حرمة دماء الأبرياء، ويحذر المجاهدين من قتال من لم يقاتل الشعب السوري من أي طائفة كان، وأن القتال هو لدفع عدوان النظام الإجرامي وظلمه، وليس قتالا لطائفة أو فئة، وأنه يجب تأمين كل من لم يقف مع النظام وعدم قتاله، ولهذا كانت الألوية التي زارها ووجهها أكثر الألوية انضباطا، ولم يعرف عنها أي جرائم أو تجاوزات بحق الأهالي، ببركة وصاياه وفقهه وخطابه الراشدي، وممارسته الراشدة للدعوة والجهاد، قال عنه أبو سعيد حسن أصلان: (ولا أظن أن هذه السماحة وهذا الانفتاح على حب الخير ينفصل عن الخلفية الفكرية والثقافية المستقاة من صميم الوعي بحقيقة الدين الذي يدين به لله، فهو ينظر إلى الناس جميعـًا، وإلى المسلمين خصوصـًا، وإلى أهل الشام تحديدًا بنظرة المحب الذي يريد الخير لهم، منطلقـًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، بعيدًا عن النظرة القاصرة المشوهة التي تفرز المسلمين والشاميين بين مؤمن وكافر، يحاربون ويهادنون وفق هذا التطبيق المشوه لحقيقة الإسلام، والتي تذكرك بحدثاء الأسنان على توصيف وتعبير النبي ﷺ، بل كان يشدد أنه واجبا علينا إرسال رسائل الاطمئنان لكل فرد لم يرفع بوجه الأمة السلاح، ولم يحاربنا فيه ليعيش بيننا بالأمن وينعم بالسلام، كعهد آبائنا وأجدادنا المسلمين الذين سخروا أنفسهم لحماية المستضعفين ولتقديم الخير لهم).

وقال عنه الشيخ د. حسن سلمان: (كان الشيخ رحمه الله تعالى يسعى لجمع كلمة المجاهدين وتحريضهم على القتال ومواجهة النظام الطاغية، ومن المواقع التي زرناه معه – ونحن نتفقد المناطق المنكوبة، لتقديم الإغاثة لها – وكان هو يزور فيها الفصائل:


في الطريق إلى منطقة دورين بريف اللاذقية

١- منطقة (سلمى) بريف اللاذقية، وقضاء عدد من الأمسيات مع الإخوة في صقور العز، والتفاكر معهم وتحريضهم، وقد كان ذلك بتاريخ ٢٤-٢٨/ ٤/ ٢٠١٣م.

٢- منطقة (دورين) وزيارة المجاهدين فيها، والمكوث بينهم والمدارسة العلمية والشرعية معهم، وكان ذلك بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠١٣م.

٣- منطقة (تلمنس ووادي الضيف) والتفاكر مع الإخوة في لواء الأمة حول جملة من القضايا التي تعني تطوير اللواء والوقوف على الاحتياجات.


مع قادة لواء الأمة في معرة النعمان بريف إدلب

٤- زيارة لواء الأمة في (معرة النعمان) والوقوف الميداني على اللواء وتحريضهم رغم ما كان من خطر عليه في تلك الزيارة، وذلك بتاريخ ٣٠/ ٤/ ٢٠١٣م.

٥- زيارة لواء الأمة في ريف حماة ومنطقة (التمانعة)، وكان ذلك بتاريخ ١٤/ ٥/ ٢٠١٣م، وذلك بالقرب من (خان شيخون)، وكانت استعدادات اللواء لتحريره، وقد كان الشيخ محمد حريصاً على تحرير تلك المنطقة، كما كان حريصاً على تحرير وادي الضيف، لأن ذلك سيمهد لتحرير كامل لمنطقة (إدلب).



٦- زيارة منطقة (الأتارب) بريف حلب وتفقد أحوال الإخوة في كتيبة خطاب التابعة لأحرار الشام، وكان نهارًا مليئًا بالمناقشات والتعبئة والتفاكر حول وحدة الصف الجهادي لتحقيق الأهداف الكبرى.

رؤية الشيخ محمد لإستراتيجية الصراع في سوريا:

كان للشيخ رؤية عميقة للصراع في سوريا، وخاصة من حيث العمليات، حيث كان يرى ضرورة الاهتمام بتحرير الساحل، وذلك لعدة أسباب كان يذكرها، منها: الاقتراب من البحر والتحرر من الهيمنة، وممارسة الضغط النفسي على النظام، من خلال استهدافه في معاقله الأساسية في الساحل، ولذلك كان هذا أهم مشروع يبشر به وسط الفصائل المجاهدة، ويجمع له الإمكانات، وكان أغلب وقته في هذه المنطقة لهذا الغرض، وكان يزور المناطق الهامة بنفسه ويركز عليها توجيهًا وتمويلًا).

وقد كان وهو على فراش الموت مطمئنا واثقا بالله ونصره، وكان لا هم له إلا الثورة في مصر وسوريا والعراق، وكان يكثر الدعاء لهم بالنصر أكثر من الدعاء لنفسه بالشفاء!

وليته رأى تحرر وادي الضيف الذي كان يعمل على تحريره منذ دخل سوريا، وكان يحث المجاهدين على الرباط عليه وإسقاطه لشدة القصف الذي كان يتعرض له أهالي إدلب منه!

ومن أقدار الله ألا يفارق الدنيا إلا بعد تحرر وادي الضيف ومعرة النعمان!

## موقف الشيخ من تحرير فلسطين والمسجد الأقصى:

كانت قضية فلسطين هي قضية الشيخ محمد المركزية، وكان حلمه أن يصل الجهاد إلى حدود فلسطين، ولهذا وجد في تحرير سوريا من النظام الإجرامي العميل السبيل للوصول إلى فلسطين، وكان هو ممن اقترح عند تأسيس (مؤتمر الأمة) أن ينص على أن مقر المؤتمر الدائم (القدس)، وتم النص على ذلك في نظام المؤتمر الأساسي!

وقد وقف مع الشيخ أبو أشرف محمد العثامين في دعم لواء (جند الأقصى) بعد تأسيسه، وكان قد رتب لعقد مؤتمر إسلامي عالمي في تركيا عن فلسطين، وكان عضوا في هيئة استشارية تم تشكيلها لهذا العمل، كما كان عضوا في حملة (أسطول الأمل) لفك الحصار عن غزة، وكان قد بدأ الترتيب لاستئجار السفن لهذا



الشيخ المفرح مع أ.د. حاكم المطيري ود. باسم خفاجي والشيخ نعيم التلاوي والشيخ محمود عبد الجبار في المؤتمر الإعلامي لحملة أسطول الأمل التي كانت تهدف إلى فتح ميناء غزة ٢٧/ ٨/ ٢٠١٤م.

الغرض، وكان عازما على السفر إلى غزة بحرا، وكان ينوي ألا يعود إذا وصلها، لولا تحفظ تركيا على انطلاق الأسطول من أراضيها بسبب الظروف والضغوط السياسية الدولية والداخلية التي تواجهها تركيا.

وقد ظلت قضية فلسطين تؤرق الشيخ محمد ويرى أن الجهاد ما لم يصل حدودها لتحريرها فلم يحقق أهدافه، كما قال الشيخ نعيم التلاوي عنه بعد اللقاء بينهما على هامش مؤتمر (غزة النصر) يوم ١٣ فبراير سنة ٢٠٠٩م بتركيا: (قال لي تعودون إلى الأردن ونحن نلحق بكم سريعـًا، لأني سمعت أن منارات ومآذن القدس ترى من عندكم من مرتفعات السلط، وأنا أتوق شوقا من سنوات لأرى منارات القدس، وأشاهد فلسطين، وفعلًا بعد أسبوعين من عودتنا إلى الأردن، وإذا بالشيخ محمد ومعه بعض إخوانه من (حزب الأمة الإسلامي) يتصلون بنا من عمان، ويقولون ها نحن وصلنا إلى عمان، فأين وعدك لنا برؤية مآذن القدس؟



وكان ذلك فور وصولهم! وفعلا اتصلنا بالأخ أبو محمد الجهالين الذي يسكن في غرب مدينة السلط على طريق الستين المطلة على الغور الأردني والفلسطيني، واستغربت أنا من هذه السرعة في إنفاذ الشيخ محمد وعده بالزيارة، وقد وصلتهم أنا والأخ حيدر وعبد المنعم أبو سردانة، بعد اتصالهم بساعة تقريبـًا، وتوجهنا إلى مدينة السلط مباشرة، فوجدنا الأخ أبو محمد الجالهين قد حضر لنا طعام الغداء، على طريقة أهل السلط الكرام، إلا أن الشيخ محمد كان متعجلًا يريد أن يرى مآذن القدس، وفعلا تناولنا الطعام على عجل وخرجنا الى طريق الستين، وعند ذلك حدث الأمر العجيب فلم يتمالك الشيخ محمد وصاحبه نفسيهما، وأخذا يرددان بشغف أيعقل نحن نقف أمام القدس حقا؟ أتلك هي القدس! وتلك بيسان! وهذه أريحا! نعم نعم أصر الأخوان على الوصول إلى أقرب نقطة من فلسطين، عند ذلك اتصل الأخ حيدر بأحد زملائه المحامين وهو الأستاذ أبو محمد، وكان يمتلك مرزعة وبيارة من الحمضيات على ضفة نهر الأردن الشرقية، طار الشيخ محمد فرحـًا عندما سمع أن الأستاذ أبو محمد في مزرعته وهو ينتظرنا هناك، وكان الشيخ محمد رحمه الله قد قدم بسيارته الجديدة إلى الأردن، وهو الذي يقود السيارة بنا، وفي أقل من ثلث ساعة وجدنا أنفسنا على نهر الأردن مقابل غور فصايل التابع لبلدة عقربا الفلسطينية، ذهل الشيخ محمد، أهذه فلسطين فعلًا ما الذي يمنعكم عنها؟ وقال لصاحبه: توكل على الله سنكمل طريقنا إلى القدس؟، فقلنا له: الله يهديك يا شيخ محمد اهدأ قليلا، حتى نشرح لك الأمر، فلم يقتنع بأعذارنا وغضب كثيرًا، وأخذ يردد أيعقل تلك القدس؟ وهذه فلسطين؟ ونحن على نهر

الأردن ولا نستطيع أن نفعل شيئًا؟ رحمك الله يا عمر بن الخطاب! ورحمك الله يا صلاح الدين! واغرورقت عينا الشيخ محمد وصاحبه بالدموع، وتعالت آهاتهما، وهمهما طويلًا بدون كلام، عند ذلك أقسم الشيخ محمد أن مشروعنا سوف يقوم وينفذ حتى نحرر القدس وفلسطين، وأن هذا الأمر قائم على وعد الله لنا في سورة الإسراء، وعلى بشارة رسول الله ﷺ في حديث: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا يهود أنتم شرقي النهر وهم غربيه)، نعم لقد وقف أبو عبد الله رحمه الله شرقي النهر، وأقسم على إنفاذ وعد الله، والعمل على ذلك، وأهدانا المحامي الأستاذ أبو محمد ليمونـًا وبرتقالًا من بيارته، وأخذها الشيخ أبو عبد الله رحمه الله، ووزعها على أحبته في الحجاز، عندما عاد، وفعلًا بعد شهرين من ذلك الزمان قام (مؤتمر الأمة) في أبريل ٢٠٠٩م، والتقينا من جديد في إسطنبول وتم تحديد إسطنبول مكانا مؤقتا للمؤتمر، على أن تكون القدس هي المقر الدائم له عند تحريرها، وهذا يعني أن من أهداف المؤتمر العمل على تحرير القدس، بعد ذلك تابعنا المسيرة مع الشيخ محمد لتحقيق أهداف (مؤتمر الأمة)، وقد خرج من بلاد الحرمين مهاجرا، وجاءنا مرة أخرى إلى الأردن، وأصر على أن يرى القدس وفلسطين مرة أخرى، وقبل شهرين من الآن وبعد هذا المسيرة دعاني الشيخ محمد المفرح، إلى بيته بإسطنبول وجلسنا نتذاكر التجربة، وكيف أن هذا المشروع كان له دور طيب في الثورات العربية المباركة، وكان له دور رائع في جهاد الشام، ولا أنسى أن محمد المفرح كان قد أصر على أن نكون أول الداخلين إلى الشام أواخر سنة ٢٠١١م، وما زلت أذكر تلك الرحلة الصعبة التي قطعناها نحن والشيخ محمد، وأبو همام وأبو عبد العزيز القطري محمد يوسف العثامين، تقبله الله، ووصلنا إلى أطراف الشام في بداية العمل، والتقينا بقيادات أحرار الشام تمام وأبو عبد الله الحموي رحمهما الله، ولا أنسى أن الجهاد الشامي أصبح شغل الشيخ محمد الشاغل، حيث كان يقول إن الطريق إلى القدس يمر من دمشق، فلا بد من دمشق!

أصر علي الشيخ محمد في آخر لقاء في بيته في شهر ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٤م أن لا ننسى العمل باتجاه القدس، وكان قلقا على الجهاد الشامي، وكان متفائلًا ومتيقنـًا من نصر الله، رحمك الله يا أبا عبد الله، لقد ساهمت في بناء مشروع إسلامي رائد رائع واعي، نسأل الله أن يوفقنا ويسددنا للوصول إلى أهدافه، ولا



أنسى أنك ما زلت تتصل بي دوما، تسألني عن ابني المريض عثمان، ولا أنسى أنك كنت تقطع جل وقتك في الذكر والتفكر، وأنا أشهد أنك كنت مجاهدًا، تقيًا، نقيًا، وكنت من أتقانا، وأعد كل أحبتنا أن أسطر تجربتي مع الشيخ محمد في كتاب كامل إن شاء الله).

## وفاء الشيخ محمد المفرح لأصحابه وعاطفته تجاه أهله:

ومع كون الشيخ محمد رحمه الله مجاهدا كبيرا، وبطلا من أبطال الأمة في ثورتها المعاصرة، ومن وزعمائها التاريخيين، فقد كان عاطفيا، وفيا، يتأثر بكل خلق جميل، وموقف نبيل، وقد نذر الشيخ محمد نفسه، وسخر كل طاقته وجهده وعمله، في الدفاع عن إخوانه من قيادات (حزب الأمة الإسلامي) في سجون المملكة، وسخر مجمل حسابه في التويتر للتعريف عن معتقلي حزب الأمة الإسلامي وقضية المعتقلين في المملكة ونصرتها وكان مما كتبه رحمه الله: "اعتقال أعضاء حزب الأمة الإسلامي وإصلاحيي جدة (د. سعود مختار وزملائه) وحركة الإصلاح وجمعية حسم والمستقلين كان على خلفية مطالبهم في الإصلاح السياسي"[1]، وكان يطالب بالحرية لجميع معتقلي الرأي على اختلاف أطيافهم فكتب: "الحرية لجميع المعتقلين الأحرار أعضاء حزب الامة الإسلامي وجمعية حسم وحركة الإصلاح والجهاديين والحرائر"[2]، كما كان يشير إلى خطورة ملف المعتلقين وتأثيره بقوله: "إن الاستخفاف بمشكلة المعتقلين من قبل وزارة الداخلية هو الذي سيؤجج السخط الشعبي ضد طغيان السلطة"[3]، وكتب داعيا الجهات الحقوقية للقيام بمسئولياتها تجاه هذه القضية: "أدعو جميع المنظمات المعنية بحقوق الإنسان المحلية والدولية إلى اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لرفع هذا الظلم عن المعتقلين"[4]، وكان يتعهد بنصرة المعتقلين بكل الطرق المشروعة وأن ذلك حقهم على مجتمعهم: "حق المعتقلين أن ننصرهم ولو أضطر الأمر للوقوف والتصدي لطغيان السلطة بكل وسيلة مشروعة ولن نتخلى عن نصرتهم مهما كلف الأمر"[5].

وكان لا يواجه في تركيا عالما ولا مفكرا ولا سياسيا ولا مسئولا في حزب أو منظمة إلا ويعرفه بقضيتهم، ويدعوه للوقوف معهم، وقد زار منظمة (دار مظلوم) لحقوق الإنسان لهذا الغرض، وقد فسح له المجال بعد ذلك ليلقي كلمته في مؤتمر المنظمة السنوية، بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣م، وهي مسجلة منشورة بالصوت والصورة،

(١) تغريدة بتاريخ: ٣/ ١/ ٢٠١٣م
(٢) تغريدة بتاريخ: ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٢م
(٣) تغريدة بتاريخ: ٦/ ٧/ ٢٠١٢م
(٤) تغريدة بتاريخ: ٨/ ٧/ ٢٠١٢م
(٥) تغريدة بتاريخ: ٨/ ٧/ ٢٠١٢م

ومترجمة للتركية بترجمة فورية، وكان مؤتمرا تاريخيا في حضوره وفعالياته، وكانت كلمة الشيخ محمد هي الأبرز، مع كلمة الشيخ حسن الدقي.




الشيخ محمد المفرح يلقي كلمة حزب الأمة الإسلامي في المؤتمر السنوي لمنظمة مظلوم دار لحقوق الإنسان




في زيارة مع الشيخ حسن الدقي لمقر منظمة مظلوم دار ومديرها السيد جنيد للتعريف بمعتقلي حزب الأمة الإسلامي وقضية المعتقلين بالملكة

وكان كلما جاءه وفد يصر عليهم أن يأخذوا الصورة معه ووراءه صورة الشيخ الوهيبي والشيخ الغامدي، حتى صارت أكثر صوره المنشورة بتلك الخلفية، وقد أقام لهذا الغرض معرضا دائما في (منظمة الأمة للتعاون العربي التركي)، بقصد التعريف بالحزب وأهدافه وقضيته.









مع الشيخ مهدي الحاراتي من ليبيا والشيخ حسن الدقي في معرض حزب الأمة الإسلامي

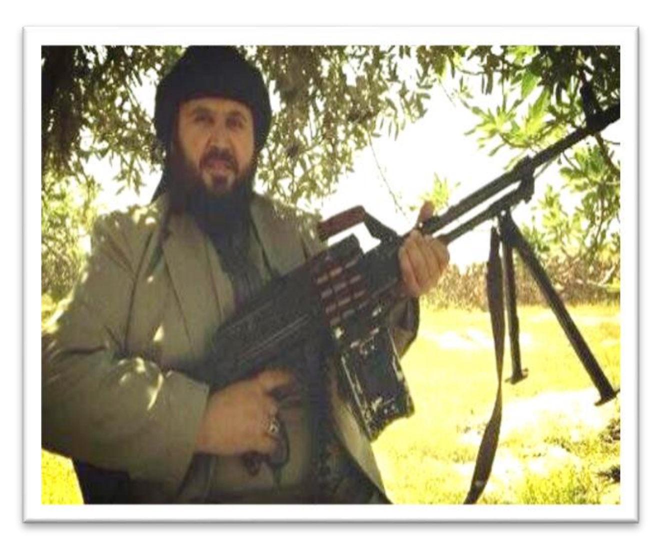





**وكان يحتفظ بكل ذكرى له معهم، وقد أرسل لي بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ٢٠١٤م، على الهاتف صورة له ولأحمد الغامدي وكتب: (صورة تجمعني بالشيخ أحمد الغامدي أثناء زياراتي إلى سنغافورة)!**

كما أرسل لنا رسالة وهو في أرض الشام يقول فيها:

(رسالة مؤثرة وصلتني في أرض الجهاد، من صغرى أخواتي، وكان لها بالغ الأثر على قلبي)، ونص الرسالة وهي مقالة منشورة في حينها: (إنها صورة رجل من أرض الحرمين، لبس لبس الجهاد، وعصب رأسه بعصابة سوداء، في عارضيه لحية كثة، وفي جبهته سيما السجود، في جيب قميصه الأسود مصحف صغير، ما فارقه منذ نذر حياته لدينه، تأبط الكلاشينكوف وفي حزامه بعض خزانات الرصاص، أقبل مع مجموعته بعد منتصف الليل، آووا إلى مبنى تهدمت أرجاؤه، ولم يبق منه إلا بعض الجدران، احتمى كل واحد منهم بزاوية، مترصدين لقافلة جنود، رمى بنفسه في زاوية حجرة من تلك الحجر، تنفس عميقا، ثم وضع الكلاشينكوف عن كاهله، وأمسك بمصحفه يرتل، حتى بلغ قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، ارتخت يده التي تمسك بالمصحف، ومال رأسه، ومال عنقه على كاهله، وأسبل الدمع، أين أنت الآن يا أماه؟ هل أنت راضية عني يا أماه؟ خرجت من جوفه بنبرة صافية! رفع رأسه ينظر إلى السماء من بعض سقف ذلك البيت الذي دمرته صواريخ الغدر، شردت عيناه إلى أعماق زرقة السماء الداكنة، ونفذت مشاعره إلى تلك النقط البيضاء اللامعة في بطن السماء، تساءلت في نفسي في أي شيء تفكر يا مجاهدي؟



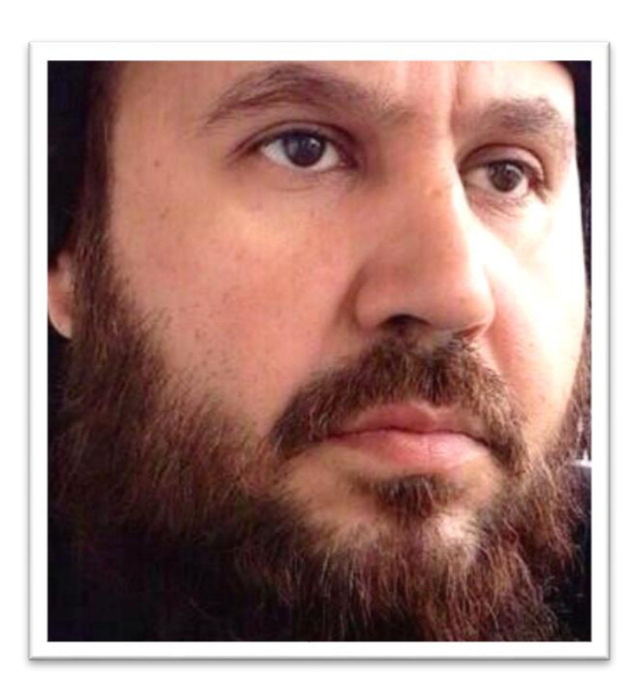
أجاب مجاهدي: أفكر في أمتي المسكينة المغلوبة، أفكر في المسلمين، كيف ظُلموا وأهينوا؟ أفكر في كل أرملة وطفل ويتيم ومسكين!

يا لهذا القلب! وهل تسمح مشاعرك وأنت تنتظر الموت أنت تفكر فينا؟ أتعجبُ في نفسي!

أتاني رده: كيف لا أفكر فيهم وأنا ما تركت بيتي وأهلي إلا لهم!؟

قلت لمجاهدي: بماذا تشعر؟

قال: أني وحيد! كأن العالم كله لا يريدني، أشعر أن المسلمين بعيدين عني لا يفهمونني!



قلت له: إن منزلتك لا تدانيها أي منزلة، بل وأنت في وحدتك تنظر إلى السماء، وتنتظر رتل الأعداء أقول لنفسي ولمن حولي ألا ترون هذا الجلال الباهر إن قلبي معك أشعر بك! وبقطرات عرقك وهي تتحدر من جبينك، فَتَنْسَلُّ من شُعَيْرَات عارضيك، وتَنْدَاح على قميصك فيبتل بتلك القطرات، أشعر بك، وحزامك الذي شددته على حِقْوَيْكَ قد أثر في جلدك، وأنت تتصبّر ممنيا نفسك بأحد الحسنيين، فما جرح يدمي في جنب جنة عرضها السماء والأرض؟

أشعر بنبضات قلبك الذي يرجف طربا، حينما سمعت صوت رتل الدبابات، وقد أقبل ناحيتك ومجموعتك، أشعر بك وأنت تتحفز، أشعر بك وأنت تثني ركبتك، وتشرئِبٌّ برأسك، تختلس نظرة من فوق آخر لَبِنَةٍ متهدمة، تقيس بعينك المُتَمَرِّسَة بُعْدَ المسافة عن الدبابات!

هذا مجاهدي هل مللتنا؟ هل مللت دنياك هذه؟ ويحك! هل سترمي بنفسك إلى الهلكة؟

هكذا نظر إلي! طأطأت رأسي حياء وخجلا، بماذا سينطق لساني أمام هذا الإقدام؟ عاود النظر إلى الدبابات، أشعر بك وأنت تقول لنفسك: إلى الجنة، ولكن بعد أن نثخن فيهم!

هذا أخي فليرني كل مِنكُم أخاه)، انتهت الرسالة!

كما كان يحتفظ برؤيا قديمة قبل الثورة العربية وكانت بخط ابنته شيماء، وقد أرسلها لي بتاريخ ١٨/ ١١/ ٢٠١٣م، ونصها: (رأيت في المنام أن أبي كان مضطجعا، وعماتي جلوس حوله، يكلمنه عن أحد مواضيعه، وأن أبي من كثرة ما هو متأكد، ويريد أن يؤكد الموضوع، قال لهم أبي: أنا من أوصل الموضوع لمحمد ﷺ، وعمتي آرام قريبًا منه وسألته كم وصل عدد الجاهدين؟

فأجابها أبي: لقد وصل عددنا مع محمد ﷺ ٤٠٠ مجاهد!

فقالت عمتي آرام: لماذا لا تحاربون وتفتحون قنصلية وتبدؤون بالتدرج؟

فأجبها أبي بما معنى كلامه: لو أننا فتحنا قنصلية سيقضى علينا، ولكننا سنجتمع مرة واحدة، ويصير الفتح والجهاد كبير...) وصلى الله وسلم على سيدنا محمد!

كما كان يتفقد أصحابه وأسرهم ويوصي بهم خيرا، وربما أرسل لهم كل ما لديه من مال، كما يقول الشيخ سيف الهاجري: (رأيت منه الوفاء لأصحابه، وإن بعدوا عنه، وقد حدث قبل وفاته أن بقي معه فقط ٥٠٠ دولار من مصروفه الخاص، فبعثها لصاحبه (أبو حسن اللبناني)، الذي كان معه في فترة سكنه في العمرانية، وأخبرني - بعد سؤالي له عن وضعه المالي وبعد إلحاح مني- أنه شعر في نفسه أن أبا حسن محتاج فبعث إليه الذي معه من المال).

وهذه طبيعة في الشيخ محمد رحمه الله فهو جواد كريم النفس واليد، يصدق فيه قول الأول:

تـراه إذا مـا جـئـتـه مـتـهـلـلا *** كـأنـك تـعـطـيـه الـذي أنـت نـائـلـه

ولـو لـم يـكـن في كـفـه غـيـر روحـه *** لـجـاد بـهـا فـلـيـتـق الله ســائـلـه

## عودته إلى تركيا ثانية:

وبعد تعرض الشيخ محمد المفرح للحريق، اضطر لمغادرة سوريا إلى تركيا للعلاج، وقد أرسل لي رسالة بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠١٤ م قال فيها: (العام الماضي في مثل هذا اليوم - أي ٢٩/ ٦/ ٢٠١٣م- تم نقلي من سوريا إلى تركيا بعد الإصابة التي تعرضت لها في إدلب).



وقد شهد حادثة الحريق الشيخ حامد العتيبي الذي كان في زيارته مع وفد الهيئة الشعبية لإغاثة الشعب السوري فقال عنه: (حضرت حادثة إصابة جسد الشيخ محمد رحمه الله بالحريق، الذي قدره الله عليه، وكان الحريق مؤلما جدا، كما لا توجد رعاية طبية كاملة تامة، ومما أدهشني عقب إصابته أنه ما فتر لسانه عن الدعاء للأمة ولأهل الشام ومصر على وجه الخصوص بسبب الثورة المضادة فيها آنذاك، مع أنه كان في موطن أحوج فيه أن ينشغل بنفسه إلا أن هم الأمة الذي خرج من أجله طغى على ذلك، وكان من حوله من مجاهدي الشام يبكون بأسى لمصابه، كما كانوا يتفانون لخدمته والاعتناء به، فسبحان من سخرهم له، وزرع حبه في قلوبهم).

وقد نقل بعد أيام من الحريق إلى تركيا عبر الحدود الوعرة، واجتاز به حاملوه نهرا محمولا على خشبة على برميل، وتعرض لأهوال شديدة حتى وصل إلى مستشفى في شمال تركيا على الحدود، وبقي في المستشفى نحو شهر، أجريت له عدة عمليات...

ثم رجع لأهله وإلى شقته في بشاك شهير مستخفيا مرهقا قد أجهدته العمليات الجراحية في قدميه وساقيه وفخذيه وبطنه، وبقي مدة، ثم قدم بناء على نصيحة المحامي طلبا لمفوضية اللاجئين في أنقرة، وبعد أشهر تم رفض الطلب.

وبينما هو يسير بالطريق مع أهله حيث يسكن، استوقفه رجال الأمن، وقالوا له: عليك أن تغادر تركيا، ونرجو ألا نراك هنا مرة أخرى!

فقال لهم: وأنا أرجو ألا أراكم هنا مرة أخرى!

فكان ما رجاه رحمه الله، فلم يرهم حتى توفاه الله إلى رحابه بإذن الله، وجناته التي عرضها السموات والأرض!

## تحقيق مفوضية الأمم المتحدة معه:

وقد قص علينا أنا والشيخ سيف قصة التحقيق معه في مفوضية الأمم المتحدة للاجئين، بعد عودته من سوريا، حيث اقترح عليه المحامي تقديم أوراقه إليهم في أنقرة، لوقف أي ضغوط من الحكومة التركية حتى يتشافى من الحريق!

وأخبرنا - وكنا معه بسيارته في الطريق إلى أنقرة لمراجعة المفوضية في آخر مرة راجعهم فيها - كيف أن مفوضية الأمم المتحدة ليست سوى جهاز استخبارات لخدمة أمريكا، فقد كان المحقق وهو أردني، يسأله عن كل شيء، فسأل عن (مؤتمر الأمة)، وكيف عقد مؤتمر (مصر الثورة)؟ ومن الذي يدعمه؟ وعن (حزب الأمة الإسلامي)، وعن نشاطه في سوريا...إلخ!

قال: ثم ما زال يسألني حتى فاجأني بقوله: لماذا تغرد عن أوباما وتصفه بأنه (قيصر الروم)، وأنه يشن (حملة صليبية) على الأمة؟

ولماذا تعمل إعادة نشر لتغريدات د. حاكم المطيري!

يقول فقلت له: هل أنا في مفوضية للاجئين أم أمام جهاز استخبارات عربي!

ثم لم يعد إليهم ورفضوا طلبه بدعوى الإرهاب!

## دوره في توحيد فصائل المقاومة العراقية ووقوفه مع الثورة في العراق:

ولم يقتصر اهتمام الشيخ محمد المفرح على القضية السورية، بل شارك في رعاية المؤتمرات التي عقدت لتوحيد صفوف الفصائل العراقية، فقد تمت دعوتي كمنسق عام لمؤتمر الأمة من طرف الشيخ فالح الشبلي والدكتور محمد الجبوري لحضور اجتماع الفصائل العراقية - بطلب من الفصائل نفسها - في إسطنبول بتاريخ

١٤/ ٥/ ٢٠١٢م، وقد اعتذرت عن الحضور آنذاك لمشاركتنا في مؤتمر تشكيل (جبهة ثوار سوريا) في اليوم نفسه، ثم قام الدكتور محمد الجبوري بترتيب موعد آخر في اليوم التالي بتاريخ ١٥/ ٥ بحضور عدد من ممثلي فصائل المقاومة العراقية التي كانت قد أنهت أعمالها، فحضرنا اللقاء في مكتب قريب من جامع السلطان محمد الفاتح، للتشاور حول ما يجري في العراق، وكان معي الشيخ محمد المفرح، والشيخ سيف الهاجري، وتم فيه مناقشة موضوع توحيد الفصائل العراقية، والاستعداد لتداعيات سقوط النظام السوري، واستثمارها لصالح تحرير العراق، وتم الاتفاق على لقاء تشاوري تحت رعاية (مؤتمر الأمة)، وتم بالتنسيق مع الدكتور محمد الجبوري وضع تصور لجدول أعمال مقترح للقاء، وإرساله إلى الفصائل، وتحديد موعد مناسب للجميع، وتم عقده بالزمان والمكان المحددين، وبحضور أكثر الفصائل، في يومي الخميس والجمعة ٢٣-٢٤ رجب ١٤٣٣هـ الموافق ١٤ - ١٥/ ٦/ ٢٠١٢م، بمدينة كمبركاز - إسطنبول فندق آرتميس، والذي حضره أكثر الفصائل العراقية، وتم بعده الإعلان عن (جبهة تحرير وإنقاذ العراق).

وقد كان الشيخ محمد أثناء تلك اللقاءات يحث ويحرض قيادات المقاومة العراقية على وحدة الصف، وكلما رأى في مواقف أحد تردد ذكّره بالله، وبشرهم بالنصر، وكان يقول لهم هذا العراق، وهذه بغداد، لا يمكن تحريرها إلا بالأمة كلها، وقد ذكر الأستاذ إياد العطية عنه ذلك فقال: (وما زالت كلماته ترن في أذني وهو يقول: أيها العراقيون ابشروا بنصر الله القريب، امضوا والأمة كلها خلفكم، وكان يردد كثيرا وقبل ثورة العراق الأخيرة: إن أحداث الشام لها انعكاسات على واقع العراق، وثورة العراقيين قادمة، ووجهة المجاهدين بعد الشام إلى بغداد، حتى تحققت قراءته للأحداث، وقامت ثورة مسلحة في العراق... وكان حريصا رحمه الله على التواصل مع الجميع بخاصة في العراق وسوريا، ويحثنا على التواصل والاجتماع مع الآخرين، وإن اختلفنا معهم في بعض الجزئيات، وكان يردد كثيرا: هذه ثورة العراق، ثورة الشعب، وثورة الأمة، منها ستخرج الجيوش لتحرر الأمة من طغاتها، وليس ثورة جماعة أو فصيل).



في زيارة لجبهة تحرير وإنقاذ العراق ١٦/ ١٠/ ٢٠١٤م

وقد كان الشيخ المفرح يتابع تفاصيل ما يجري في العراق وأحداثه وتطوراته، ويخشى عليه من المؤامرات، فقد زاره وفد من بعض الفصائل، وطرحوا رؤية حول مستقبل العراق، قبل الثورة المسلحة الأخيرة، فأرسل الشيخ محمد المفرح يسألني عن رأيي في مشروعهم، فأجبته يوم الأحد ٢٠/ ١/ ٢٠١٣م: (هذا مشروع مشبوه يفضي لتقسيم العراق، فلا يتورطوا فيه، ولا يقفوا ضد من يريده من أهل السنة دفاعا عن وجودهم، وليتمسكوا بوحدة العراق، وتغيير النظام كله، ضروري تصل الرسالة الآن...).

وقد شهد للشيخ محمد ودوره في نصرة قضايا الأمة كل من عرفوه، كما جاء في شهادة الشيخ محمود فتحي (كان الشيخ محمد المفرح رحمه الله صاحب جهد وافر في عدد من قضايا أمته، فلقد رأيته صاحب جهد وبذل في القضية السورية، وقد قص هو علي طرفا من رحلته إلى سوريا، ثم قص علي إخوانه وأصحابه طرفا آخر من عجيب ما رأوا منه، ولعلهم يسجلون شهاداتهم لننتفع بها إن شاء الله تعالى، كما أشهد أنه كان صاحب جهد وبذل في القضية العراقية، والمصرية، واليمنية، والليبية، والسورية، بل وحتى الإريترية، فحيثما كان للمسلمين حراك ضد الظلم والطغيان فثم أبو عبد الله بالجهد والوقت والمال).



الشيخ محمد المفرح مع الشيخ سيف الهاجري/ العقيد رياض الأسعد/ د. حاكم/ الشيخ فيصل مناع شيخ مشايخ قبائل سحار باليمن/ الشيخ رشاد محمد سعيد – اليمن/ الشيخ مهدي الحاراتي – ليبيا/ الشيخ عبد الناصر الجنابي – العراق وحديث عن الثورة العربية وأحوال الأمة الإسلامية.





مع الشيخ فيصل مناع شيخ مشايخ قبائل سحار باليمن وحديث عن الوضع في العالم العربي



في مؤتمر "مستقبل الربيع العربي في ظل التحالف الدولي" ٤/ ٩/ ٢٠١٤م



مع مستشار الرئيس الليبي د. محمد بعيو في آخر لقاء استضافه الشيخ المفرح ببيته وبعدها نقل للمستشفى

**فقد كان الشيخ محمد يدرك طبيعة الصراع وأن الأمة واحدة، وعدوها واحد، وقضيتها واحدة، ولهذا وقف مع الثورة العربية، ومع كل مكوناتها، على اختلاف توجهاتها، وبكل ما يملك، حتى قدم نفسه رخيصة في سبيل نصرتها، وفي سبيل ثورة الأمة وتحررها، كما قال الشيخ سيف عنه: (من مقولاته المشهورة، وكثيرا ما كان يكررها، هو أن الثورة العربية ستطهر الأمة من الاستعمار والظلم والطغيان، وفساد الأنظمة والجماعات).**




الشيخان المفرح والدقي مع قيادات منظمة مظلوم دار التركية يرفعون إشارة "رابعة" التي ترمز لرفض الانقلاب العسكري والتضامن مع الثورة بمصر في مؤتمر منظمة مظلوم دار لحقوق الإنسان بإسطنبول١٥/ ١٢/ ٢٠١٣م



مع د. حاكم ود. عبد الرحمن النعيمي أمين عام الحملة العالمية لمقاومة العدوان ورئيس منظمة الكرامة لحقوق الإنسان والشيخ حسن الدقي والشيخ سيف الهاجري والشيخ محمود فتحي ٨/ ٢/ ٢٠١٤م



الشيخ المفرح والشيخ حسن الدقي مع بعض قيادات تحالف دعم الشرعية المصري

## وقوف الشيخ محمد مع ثورة مصر ومؤتمر (مصر الثورة ومستقبل الأمة):

كما كان للشيخ محمد المفرح دور بعد رجوعه من سوريا في وقوف (مؤتمر الأمة) مع تحالف دعم الشرعية المصري ضد الانقلاب العسكري، ودعم بقوة عقد مؤتمر (مصر الثورة ومستقبل الأمة) في تركيا، وكان في اللجنة التحضيرية، وأشرف هو والشيخ حسن الدقي على الإعداد للمؤتمر، ورشح قائمة من الفصائل السورية المجاهدة لحضور المؤتمر، كما كان وجود اسم (حزب الأمة الإسلامي) السبب في منع إقامة المؤتمر في الفندق وفق البرنامج المعد له، مما اضطرنا إلى عقده في عرض البحر على ظهر سفينة (الفاتح)!



الشيخ المفرح والشيخ سيف الهاجري والشيخ وجدي غنيم ود. حاكم في مؤتمر (مصر الثورة ومستقبل الأمة)

وقد كانت موافقة الجهات المسئولة في تركيا في بادئ الأمر على إقامة مؤتمر (مصر الثورة ومستقبل الأمة) تحت رعاية (مؤتمر الأمة) أمرا مفاجأ لنا، إذ كنا نحاول قبلها بأشهر عقد مؤتمر عن سوريا ولم تتم الموافقة، كما مع هذا المؤتمر بعد الانقلاب العسكري في مصر، ووجدت تركيا أن المؤامرة الغربية العربية الخليجية وصلت إلى ميدان تقسيم في وسط إسطنبول، وهو ما كنا نتوقعه ونحذر منه إذ لن يقر للغرب وأنظمته العربية الوظيفية قرار حتى تئد الثورة العربية في مهدها!

وقد بدأت الاستعدادات مبكرا لعقد مؤتمر (مصر الثورة) – وذلك بعد عودة الشيخ المفرح من سوريا – طوال شهري ٨ و ٩ وتم تحديد موعده بتاريخ ٢٠/ ٩ / ٢٠١٣ م، ثم تم تأجيله إلى يوم ٢٧/ ٩ حتى لا يتعارض مع مؤتمر المفكرين المسلمين في الفترة نفسها.

وقد طلب الأتراك من (مؤتمر الأمة) – من خلال حلقة الوصل بيننا وبينهم – الاطلاع على برنامج مؤتمر (مصر الثورة) ومن سيشارك فيه من القوى!

فقلنا لهم سيتم دعوة جميع الجماعات والأحزاب والهيئات الإسلامية في العالم العربي لمناقشة قضية مصر وما يجري فيها، فهي قضية الأمة كلها، وليست خاصة بمصر وحدها، وتداعياتها ستشكل خطرا على الثورة العربية كلها!

وقد قلنا لهم ستوجه الدعوة لجميع التيارات والجماعات من الإخوان المسلمين وحزب التحرير إلى الجهاديين والسلفيين... إلخ فهذه هي مكونات الأمة، ولن يستثنى أحد منهم، وسيكون للجميع كلمة في المؤتمر!

فأبدوا تحفظهم على أن تكون للجهاديين أو التحريريين كلمة في المؤتمر، مع موافقتهم على حضور من يمثلهما بشكل غير مباشر!

وقد تم الاتفاق النهائي على قائمة المشاركين في الكلمات في المؤتمر، وتم ترجمة القائمة إلى اللغة التركية، وتم حجز الفندق وإصدار التأشيرات لوفود الدول التي تحتاج إلى موافقة مسبقة، كاليمن والسودان، وتمت مخاطبة الخارجية التركية التي خاطبت سفاراتها في اليمن والسودان لإصدار التأشيرات للوفود المشاركة في مؤتمر (مصر الثورة) بتاريخ ٢٩/ ٩/ ٢٠١٣م!

وقد كانت آخر التأشيرات صدورا تأشيرات وفد السودان الذي كان عدده نحو ٦٠ مشاركا، حيث صدرت قبل المؤتمر بيوم!

ثم كانت المفاجأة الثانية حين اتصل الكاتب محمد زاهد جول – يوم الاثنين ٢٣/ ٩ قبل موعد المؤتمر بخمسة أيام – وقال للأخ سيف الهاجري، بأن لديه خبرا غير سار بخصوص منع عقد المؤتمر!

وتم عقد اجتماع طارئ في مكتب (منظمة الأمة للتعاون العربي التركي) وكان بحضوري وحضور كل من:

الشيخ حسن الدقي الأمين العام لحزب الأمة الإماراتي

والشيخ محمد المفرح الأمين العام لحزب الأمة الإسلامي

والشيخ سيف الهاجري الأمين العام لحزب الأمة في الكويت

والأستاذ محمد زاهد جول

وتحدث جول عن اتصال الأمن بالفندق وإخطاره بمنع عقد المؤتمر!

وقلنا له لن نقبل مثل هذا التصرف غير القانوني إلا بخطاب رسمي، وحتى يتأكد لنا أن الموضوع فعلا قرار سياسي وليس أمنيا!

وفي الغد تم عقد اجتماع ثان في المنظمة حيث ذهب مدير الشركة المنظمة للمؤتمر الأستاذ جمال الدين إلى مكتب أمنيات منطقة الفاتح، واستلم خطابا رسميا بمنع المؤتمر موجها للفندق، وكانت المفاجأة الأخرى أن الخطاب يمنع من عقد مؤتمر (حزب الأمة الإسلامي)، الذي لم يكن له أي ذكر في الموضوع الذي يشرف عليه (مؤتمر الأمة) بالتعاون مع (منظمة الأمة للتعاون العربي التركي)، من خلال شركة سياحية تركية هي التي خاطبت الجهات المختصة لعقد المؤتمر!

وقد كان آنذاك وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قد اجتمع بوزير الخارجية التركي داود أغلو في واشنطن قبل صدور خطاب المنع بيومين!

وقد أخبرنا زاهد جول بأن قرار المنع هو بالفعل قرار سياسي، وأن هناك سؤالا يتردد لماذا لم يكن في برنامج المؤتمر أي حديث عن الديمقراطية كي يكون أكثر قبولا!

وأضاف جول بأن الأمر لم يقتصر على منع المؤتمر، بل ومنع الضيوف من دخول الفندق، وأن الحل في تأجيل المؤتمر!

فقلت له: لا يمكن تأجيل المؤتمر، ولا يمكن منع الضيوف من السكن، فقد تم حجز الغرف لنحو ٦٠٠ مشارك، وتم دفع أجرتها وعلى الحكومة التركية تحمل مسئولية قرارها!

وكيف تسمح بإقامة مؤتمر بالأمس للبرلمانيين الإسلاميين عن مصر، وترفض مؤتمر الأمة عن مصر!

وقد جرت اتصالات مع عدد من الشخصيات التركية النافذة التي باشرت الاتصال بالمسئولين الأتراك للاستفسار عن منع مؤتمر (مصر الثورة)، الذي جاء مؤيدا لموقف الحكومة التركية تجاه القضية المصرية،

والذي تقرر فيه مشاركة الحكومة التركية وحزب العدالة بكلمة، كما كان لتحالف دعم الشرعية المصري كلمة، وكذا كان لحزب الحرية المصري كلمة، وحركة حماس... إلخ

وقد اتصل البروفيسور أحمد أغير جيه بمكتب الأمن يوم الأربعاء ٢٥/ ٩ واستفسر عن سبب المنع، وزاره وفد من مكتب أمن الفاتح الذين أخبروه بأن هناك تقارير تفيد بأن هناك بعض الأحزاب المشاركة لها علاقات بالقاعدة والإرهاب ومنها (حزب الأمة الإسلامي)!

فأخبرهم البروفيسور أحمد بأنه يعرف قيادات المؤتمر، واطلع على مؤلفاتهم الفكرية والسياسية ككتاب (الحرية أو الطوفان) و(ملامح المشروع الإسلامي)، وكلها تدعو للإصلاح بشكل سلمي، وقيادات المؤتمر علماء ومفكرون وسياسيون وهذه التقارير التي عندكم كيدية!

وقال لهم: أنتم بهذا المنع ستضرون بالحكومة التركية نفسها وبمصداقيتها أمام العالم العربي، ولن يفهم أحد سبب هذا التناقض في الموقف!

وتم الاتصال بمكتب وزير الخارجية فنفى مستشاروه أن يكون لهم علاقة بالموضوع، وأجرى عدد من قيادات المجتمع التركي اتصالاتهم بمكتب أردوغان الذي أكد بأنه لا مجال لعقد المؤتمر فالموضوع يتعلق بالأمن القومي التركي!

وقد جاءت التبريرات من المسئولين مختلفة:

فمنهم من يقول بأن هناك ضغطا أمريكيا مباشرا لمنع المؤتمر!

فإذا كانت الجامعة العربية لا تستطيع عقد اجتماع لدولها إلا بمعرفة واشنطن وحضور سفيرها وموافقته على ما يصدر من قراراتها، فكيف بمؤتمر على مستوى الأحزاب والتنظيمات العربية من كل بلد لمناقشة قضية مصر وثورتها فهذا خط أحمر!

فلا توجد مشكلة كبيرة في عقد مؤتمر يمثل تيارا واحدا من عدة أقطار، أو مؤتمر يمثل عدة تيارات من قطر واحد، أما مثل هذا المؤتمر فلا تتحمل واشنطن عقده، ليتدخل في ملف قضية هي التي تديرها وتتحكم فيها!

ومن المسئولين من يرى بأن الضغط الخليجي، والسعودي خاصة، كان وراء منع المؤتمر بسبب مشاركة (حزب الأمة الإسلامي) المعارض للنظام، وأن الخلاف التركي السعودي في الملف المصري لا يعني تجاوز ذلك إلى فتح ملفات أخرى بين البلدين... إلخ

ومن المحللين من يرى بأن الحكومتين التركية والقطرية لا تريدان في المشهد السياسي المصري إلا الإخوان المسلمون، دون باقي ألوان الطيف الإسلامي في تحالف دعم الشرعية المصري، كالجماعة الإسلامية في مصر (حزب البناء والتنمية)، والجهاد (الحزب الإسلامي)، والفضيلة والإصلاح والراية... إلخ

ولهذا حاولنا بكل وسيلة أن يكون مؤتمر (مصر الثورة) تحت رعاية مؤتمر البرلمانيين المسلمين الذي رعته قطر، وكان قد حدد لاحقا ليكون قبل مؤتمر الأمة بيوم وذلك في يوم ٢٦/ ٩ لولا أن مؤتمر الأمة رفض هذه الفكرة، ليظل بعيدا عن الأنظمة وأجنداتها، وليكون المؤتمر فعلا مؤتمر أمة، لا يعبر إلا عن الأمة، وصوتها بعيدا عن الأنظمة وحساباتها وصراعاتها وتفاهماتها!

وقد كان يوم الأربعاء ٢٥/ ٩ يوما عصيبا على قيادات المؤتمر، حيث بدأت الوفود تصل، وما زال الفندق يواجه مشكلة قرار منع دخول الضيوف إلى غرفهم!

وقد تم عقد اجتماع آخر في مكتب (منظمة الأمة) للبحث عن حلول للمشكلة وجاء الأستاذ محمد زاهد جول وعرض عدة خيارات وتحفظ عليها الإخوة...


أ.محمد زاهد جول متحدثا

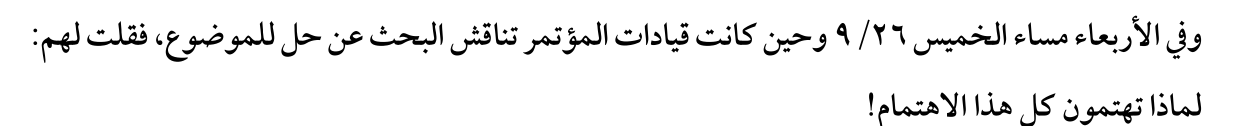
وقد قلت له: ما سبب منع الضيوف المشاركين في المؤتمر من دخول الفندق؟

فقال: السبب هو الخوف من قيامهم بعقد المؤتمر وهنا ستكون مشكلة كبيرة!

فقلت له: نحن الآن ما زلنا نحاول مع الحكومة التركية لتتراجع عن قرارها بالمنع، فإن جاء موعد المؤتمر ابتداء من يوم الجمعة ٢٧/ ٩ ولم تتراجع فسنلتزم بالمنع، ولن نعقد المؤتمر مهما حصل، فنحن ضيوف ونحترم قرار الحكومة، أما الذي لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال فهو منع الضيوف من السكن، وقد جاءوا من كل أنحاء العالم، وبعضهم جاء من الهند ومن كندا، فلا يعقل أن يأتوا ليباتوا بالطرقات، فهذا سلوك غير أخلاقي، وتصرف غير قانوني، ولن يكون في صالح سمعة الحكومة التركية!

وبعد اتصالات جاءت الموافقة على دخول الضيوف للفندق مع قرار بإرسال قوات للأمن خمسين عنصرا لمنع تجاوز قرار المنع!

وقد قلت للأستاذ جول: لا يليق بنا كمؤتمر الأمة ولا بالحكومة التركية أن نبحث عن حلول أخرى، فإما أن توافق الحكومة على عقد المؤتمر في موعده ووفق برنامجه وفي المكان نفسه، وإلا سنلتزم نحن بالمنع وعلى الحكومة تحمل مسئولية قرارها!



وفي الأربعاء مساء الخميس ٢٦/ ٩ وحين كانت قيادات المؤتمر تناقش البحث عن حل للموضوع، فقلت لهم: لماذا تهتمون كل هذا الاهتمام!

فقالوا: ولماذا لا نهتم والمؤتمر يبدأ غدا ولم تحل المشكلة!

فقلت لهم: أنتم بذلتم الأسباب المقدورة لكم في الأرض، فدعوا من في السماء يدبر أمركم!

فوالله إن أمركم يدبر في السماء، وكما أن هؤلاء يمكرون بكم، فسترون كيف يمكر الله لكم! وسيكون من شأنكم ما لم يخطر لكم على بال، فناموا ودعوا المقادير الربانية تجري وستدهشكم!

فرأى الشيخ محمد المفرح رؤيا استبشرنا بها خيرا!

وفي صباح الخميس ذهبنا إلى الفندق وإذا الأمن التركي قد حاصره، وإذا هم منتشرون في جنبات الفندق على نحو غير مسبوق في تاريخ تركيا!

وقد قال لنا بعض القيادات السياسية التركية بأنه لم يمنع أي مؤتمر منذ وصول حزب العدالة إلا مرتين سنة ٢٠٠٦ و٢٠١٠م وكلاهما عقدا، ولم يلتزم المنظمون وهم أتراك بالمنع، وأنتم المرة الثالثة، وبإمكانكم عقد المؤتمر فقرار الحكومة غير دستوري وغير قانوني!

وقلنا له بأننا وعدناهم باحترام قرار المنع ولن نخالفه!

ثم بعد ذلك جاءت الوفود وجاء د. عزام التميمي مدير قناة الحوار، الذي أزعجه الخبر، فاتصل بالمسئولين الأتراك، ولم يجد تجاوبا، وعمل معي مداخلة في القناة حول أسباب المنع، وبعدها جاءنا مدير منظمة دار مظلوم الأستاذ جنيد، واقترح حلا وسطا، وهو استئجار سفينة يقام عليها المؤتمر في البحر خارج الأراضي التركية، ثم وافق الإخوة جميعا على ذلك، بعد أن تحفظ بعضهم خشية تعرض السفينة للقصف من أي جهة، وتم عقد المؤتمر وكانت المفاجأة أن اسم السفينة (الفاتح)!



وقد ألقى الشيخ محمد رحمه الله كلمة (حزب الأمة الإسلامي) وكانت كلمة تاريخية مسجلة بالصوت والصورة.

وقد كتب بعد تلك الحادثة الفريدة الكاتب جمال الباشا "مؤتمر على الماء" وجاء فيه:

(اليوم هو الجمعة الثاني والعشرون من شهر ذي القعدة لعام ١٤٣٤هـ، وهو اليوم الذي ينبغي أن يقف عنده التاريخ، ليسجل موقفا مخزيا جديدا في الحرب على الحريات، وقمع الأصوات الشريفة التي تعارض الاستبداد، اليوم هو موعد انعقاد مؤتمر الأمة، الذي تم الإعداد له منذ أشهر، وقد وصل المؤتمرون إلى إسطنبول قادمين من ثلاث عشرة دولة، وعددهم جاوز الثلاثمائة، ونزلوا منازلهم في الفندق منذ الأمس، واستعدوا للجلسة الافتتاحية في الساعة العاشرة صباح اليوم في قاعة الفندق.

فماذا كان يا ترى!

جاء الأمر بإلغاء المؤتمر وبدون ذكر الأسباب بالرغم من وجود موافقة مسبقا!

أخبرونا لاحقا أن الضغوط كانت كبيرة عليهم من دول (إسلامية) لا ترغب بانعقاده لأن موضوعه الثورة المصرية والانقلاب عليها!

وبعد مداولات قررنا أن نعقد المؤتمر في البحر على متن باخرة!

أخذ الجميع مقاعدهم بعد العصر، وانتظروا الافتتاح الذي تأخر لسبب تبين لنا لاحقا، فقد جاءت الأوامر بالمنع من استخدام أجهزة تكبير الصوت الموجودة أصلا في الباخرة!

لم يستسلم المؤتمرون وتحدوا كل المعوقات، وألقيت الكلمات بالصوت المجرد الذي لا يتجاوز مداه الأمتار بسبب ضجيج المحركات، وقد استخدم الإخوة المنسقون الهواتف اللاسلكية في نقل الصوت بوضعها على الطاولات في كل مكان...

ووصل الصوت الخافت المتقطع، وكانت الكلمات فوق العادية، لأن الظروف لم تكن عادية، وقد كتبت هذه المقالة العاجلة لفضح هذه الممارسات غير العادية، وليكون صدى هذا المؤتمر المقموع غير عادي... فلعله أول مؤتمر ينعقد على الماء بدل أن يبث على الهواء)!

## موقف الشيخ محمد من الثورة العراقية:

فرح الشيخ محمد المفرح فرحا عظيما بالثورة الشعبية العراقية في الأنبار والمحافظات السنية، التي هزمت جيش حكومة الاحتلال الطائفية منذ مطلع سنة ٢٠١٤م، والتي أدت بعد ذلك لسقوط عصابة نوري المالكي، وكان يتابع الشأن العراقي أولا بأول؛ لكونه عضوا في (الهيئة الاستشارية العراقية) مع عدد من القيادات العراقية، وكان يحلم بتحرير بغداد من الاحتلال الأمريكي، المحمي بالحكومة الطائفية الصفوية، وقد أرسل رسالة

بتاريخ ١١/ ٦/ ٢٠١٤م قال فيها: (فتوحات الموصل مرة وحدة! سجدت لله شكرًا على ثورة العراق، وثورة سوريا من قبل، وإنني على يقين أنني سأسجد له شكرًا عندما تتحرر جزيرة العرب، الله أكبر زلزال ضرب أمريكا اليوم في العراق! سألت أبو ... عن بغداد فأجاب: الله يسلمك ومشتاقين لكم، الهدف النهائي بغداد، ونسعى لذلك، وهي تحتاج ضغط من الفلوجة وجنوب بغداد، نراهن على انهيار القوات، المالكي يراهن على المليشيات، الخطط باتجاهها موجودة ومن الله التوفيق).

ونشر بعدها في حسابه بتاريخ ١٢/ ٦/ ٢٠١٤م: (الثورة السورية هي الكاشفة الفاضحة، وستكون الثورة العراقية هي الصاعقة، والثورة التي بعدها ستكون هي القاضية على المستعمرين لبلاد المسلمين).

وكان يتخوف رحمه الله على الثورة العراقية أن يتم اختراقها والعبث بها كما جرى للثورة السورية، وتحت شعارات خداعة، حتى إذا تم القضاء على ثورة الشعب باسم الجهاد، جاء العالم للقضاء على الجهاد باسم مكافحة الإرهاب، وهو ما حدث فعلا!

وقد أرسل الشيخ محمد رسالة بتاريخ ١٤/ ٦ / ٢٠١٤م، جاء فيها (الأفضل قبل نزول أبو... لأربيل أن يتصل بالحكومة التركية، ويحيطهم علمـًا بما يحدث في العراق، ويؤكد لهم أنها ثورة شعب، وليس كما يسوقه الإعلام العالمي، ويطلب منهم دعم خيار الشعب العراقي في حرب التحرير من الاحتلالين الأمريكي والإيراني! ملحوظة: يجب أن يكون خطاب أبو... للمسئولين الأتراك قوي، وبندية، ومصالح تركيا في العراق والحفاظ عليها مرهون بوقوف تركيا مع الشعب العراقي وثورته).

## موقف الشيخ محمد من اعتقالي:

بعد تفجر الثورة العراقية وأحداث الموصل، حاول الإعلام الغربي والعربي الوظيفي تصوير المشهد على النحو الذي يخدم مصالحهما، لتختفي فيه من المشهد الثورة الشعبية والعشائرية إعلاميا وسياسيا - وهي التي نجحت في هزيمة عصابات المالكي في الأنبار طوال ستة أشهر، حتى انهارت ميليشياته في وسط العراق، وأصبح الموصل والمحافظات الشمالية تلقائيا في حكم المحرر - ليبرز الإعلام الغربي مشهد دور الإرهاب، ليتسنى له بعد ذلك - وهو ما حدث فعلا - حشد العالم من جديد، لشن حملاته الصليبية على الأمة وشعوبها ودولها، بذريعة مكافحة الإرهاب، إذ لا يمكن له تحقيق ذلك في ظل ثورة شعب يريد الحرية والاستقلال!

وقد حاولت من خلال حسابي في التويتر نقل الأخبار من داخل العراق، بما يؤكد حقيقة ما يجري على الأرض، فحدث تفاعل إعلامي خليجي شعبي مع ما كنت أنشره، وهو ما لا تريده الأنظمة الوظيفية، التي أرعبتها الثورة العربية وتداعياتها في كل بلد، مما يجعل خيار مواجهة الإرهاب للقضاء على ثورة الشعوب هو أفضل

الخيارات للأنظمة العربية، تماما كما حدث في سوريا، التي حذر فيها بشار الأسد ووزير خارجيته العالم من خطورة نجاح الإرهاب في إقامة دولة إسلامية وإعلان خلافة، سيدفع العالم ثمنا غاليا للتخلص منها، فلم يمض على تصريحه ذلك سنة حتى تحقق ما حذر منه في فيلم هوليودي هزلي بائس!

ولم يمض على التفاعل الشعبي الخليجي مع ما كنت أنشره يومان حتى تم اختراق حسابي، وإحالتي لأمن الدولة للتحقيق معي، ليس فيما نشر في حسابي بعد اختراقه، بل عن الثورة العربية في كل بلد!

وقد أرسلت إلى الشيخ محمد المفرح وإلى قيادات المؤتمر بتاريخ ١٤/ ٦/ ٢٠١٤م الساعة ١١:٢٤ ظهرا رسالة نصها: (أنا مطلوب الآن لأمن الدولة وذاهب معهم للإدارة العامة)!

فرد علي الشيخ محمد فورا: (الله يحميك من كل سوء ومكروه)!

وكان للشيخ المفرح رحمه الله مع الشيخ حسن الدقي وباقي قيادات (مؤتمر الأمة) دور كبير في الحملة الإعلامية التي قامت بها تنظيمات (مؤتمر الأمة) ليلة اعتقالي بتاريخ ١٥/ ٦/ ٢٠١٤م، في أمن الدولة في الكويت، فقد أرسل الشيخ محمد لقيادات المؤتمر رسالة نصها: (مازال الشيخ في قبضة الطغاة... ضروري تعد خطابات للأحزاب بخصوص اعتقال الشيخ، يوجه لسفارات الكويت في الخارج ويطلب من الأحزاب يذهبوا بشكل وفود رسمية).

## محاولات اغتيال الشيخ المفرح:

وقد تعرض الشيخ محمد أثناء هجرته لثلاث محاولات اغتيال في تركيا، والرابعة في سوريا، وكان الشيخ محمد يتهم بها كلها الاستخبارات السعودية!

قال الشيخ أبو الفداء رشاد محمد سعيد، وكان صحبه مدة في الشام: (تعرض لمحاولات اغتيال متعددة، وبوسائل دنيئة وجبانة، فما كسرته، ولا خنعته، ومات شهيدا متأثرا بسم من إحدى المحاولات الآثمة).

وأخبر أبو حسن العرجاني في شهادته عن حادثة اغتياله في سوريا فقال: (ولعلي هنا أذكر أمرا مهما ليسجله التاريخ، في أحد المرات كنت أنا والشيخ محمد في بعض الزيارات، فأخبرني أحد الإخوة من أصحابي الثقات فقال: صاحبك هذا قد رأيت صورته عند جهة ما هنا في سوريا، وقد دفع مبلغ مالي لتصفيته من قبل دولة... وأخبرني بهذا الأمر شخص مزروع من طرفنا في هذه المجموعة، وقد أراني صورته لأتعرف عليه، علما أن هذه المجموعة لا تفعل شيئا، وإنما تخادع الأنظمة من أجل أخذ المال، وأبلغ صاحبك ينتبه على نفسه ويحذر)!

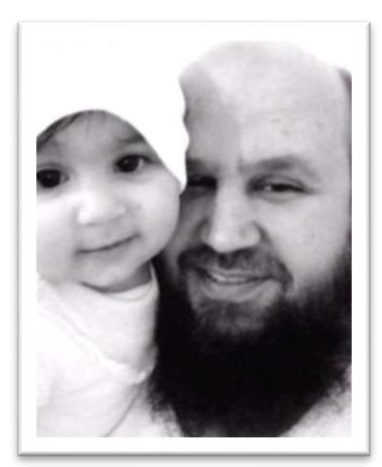
وقد تعرض الشيخ محمد بعد عودته من سوريا إلى محاولة اغتيال في أواخر سنة ٢٠١٣م، قال الشيخ سيف الهاجري: (بعد تعرضه لمحاولة الخطف والاغتيال الأولى في ٢٠١٣م، لازمته في شقتنا بالفاتح مدة، لم نخرج منها، ولم نشعر بالملل والضيق من البقاء في البيت، بل وجدت الانشراح والسرور باديا على محياه، فرأيت انعكاس هذا على حالنا).

وقد كان آخر عملية اغتيال تعرض لها الشيخ محمد في منطقة سكنه (مترو كنت – بشاك شهير)، وهي ثالث عملية في تركيا كما أخبرنا، وذلك بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠١٤م، وكان يومها قد خرج عصرا ليستقبلنا أنا والشيخ سيف الهاجري في مطار أتاتورك قادمين من الكويت، وعند نزوله لمواقف سيارات المجمع الذي فيه سكنه، شعر بحركة مريبة فرجع إلى شقته وطلب من زوجته النزول معه فنزلت، وحين ركبا السيارة هجم عليه خمسة مسلحين أرادوا اختطافه، فأغلق باب السيارة، ففتحوا الباب الذي من جهة زوجته، فنزلت وصرخت بهم، وشاغلتهم بالتشاجر معهم؛ ليتمكن الشيخ محمد من الابتعاد عنهم بسيارته، ثم أوقف السيارة لدى محطة المترو وتركها، وأخذ المترو إلى شقة خاصة به للاختفاء، واتصل بهاتف الشيخ سيف، وكنا ساعتها قد تأخرنا بالمطار انتظارا للحصول على تأشيرة الدخول، فأخبر الشيخ محمد هاتفيا الشيخ سيف بما تعرض له، وطلب منه الاتصال بزوجته والاطمئنان عليها وتطمينها عنه، وأنه بخير وفي مكان آمن، فاتصل الشيخ سيف بزوجة الشيخ محمد فأخبرته أنها الآن في مركز الأمن القريب من السكن في منطقة (بشاك شهير) لتقديم بلاغ بالهجوم الذي تعرض له زوجها، حيث تضررت من ضربات حدثت لها أثناء مشاجرتها مع المهاجمين لإشغالهم عن زوجها، وكانوا يحملون مسدسات، إلا أنهم لم يستخدموها، لأن الهدف كما يبدو اختطاف الشيخ محمد.


الشيخ المفرح بعد تعرضه لمحاولة الاغتيال في مايو ٢٠١٤م

وقد توجهنا بعد خروجنا من المطار نحو مركز الأمن في بشاك شهير القريب من شقته، برفقة الأستاذ محمد زاهد جول، حيث تم اعتقال زوجة الشيخ محمد بدعوى انتهاء الإقامة، وقد رفض مركز الأمن إطلاق سراحها، وكان معها ابنتها الصغيرة الرضيعة ندى، فأخذ الشيخ سيف ابنها عبد الملك لدى سكن المهندس محمود

فتحي رئيس حزب الفضيلة المصري، وتركه عنده في رعاية أسرته، وبعدها ذهبت أنا والشيخ سيف إلى الشقة التي كان لجأ إليها الشيخ محمد، وسمعنا منه تفاصيل الحادث، وسكنا معه أياما، ثم أخذناه ليلا لبيت المهندس محمود فتحي للاطمئنان على ولده، وعاد لشقته الخاصة، وبقي فيها نحو شهرين لم يخرج منها، وظللنا جميعا أنا والشيخ حسن الدقي والشيخ سيف الهاجري نتابع موضوع زوجته لإطلاق سراحها من الحجز، وتم توكيل محامي الشيخ محمد بمتابعة الموضوع، حتى تم الإفراج عنها بحكم محكمة مستعجلة بعد ثلاثة أسابيع.


الشيخ المفرح مع ابنته الصغيرة ندى

وقد ذهب د. محمد الجبوري وأهله بتاريخ ٤/ ٥/ ٢٠١٤م إلى مركز الاحتجاز لاستلام ابنة الشيخ محمد ندى من أمها، ووقعوا تعهدا بذلك، وتم أخذها إلى بيت المهندس محمود فتحي في رعاية أسرته...

وقد طلب بعدها (مؤتمر الأمة)[١] - وكل تنظيماته في كل بلد وبخطابات رسمية تم تسليمها للسفارات التركية[٢]- من الحكومة التركية تأمين حماية للشيخ محمد، وقد أخبره مسئولون أمنيون أتراك كما أخبرنا الشيخ محمد بأن الحكومة السعودية كانت وراء هذه العملية، وأنها سبق أن أرسلت طائرة خاصة لاستلامه ونقله للسعودية قسرا، ورفضت الحكومة التركية تسليمه، لأن القانون التركي لا يسمح لها بذلك...

وقد جاءت الموافقة من الحكومة التركية بتأمين حماية للشيخ محمد المفرح مع ضرورة معالجة موضوع إقامته بشكل قانوني، وتم منح زوجته اللجوء مراعاة لظروف زوجها كمعارض سياسي يتعرض للخطر في بلده، بشرط الإقامة في سامسون على بعد سبعمائة كيلو من إسطنبول، وظلت منذ ذلك التاريخ فيها، حتى رجعت إلى إسطنبول بتاريخ ١٥/ ١٠/ ٢٠١٤م، وظل الشيخ محمد طوال تلك المدة صابرا محتسبا، مع ما كان يعانيه من المرض.

---

(١) راجع خطاب مؤتمر الأمة المقدم للحكومة التركية بخصوص عملية اغتيال الشيخ محمد المفرح بتركيا في الملحقات بآخر الكتاب.

(٢) راجع رد سفارة الجمهورية التركية بالقاهرة على الخطاب الذي قدمه حزب الفضيلة الإسلامي بخصوص عملية اغتيال الشيخ محمد المفرح بتركيا في الملحقات بآخر الكتاب.

**ظروف وفاته:**

وقد ظل الشيخ محمد بعدها متخفيا حذرا من الاختطاف أو التصفية، وبعدها بشهرين تقريبا، في أواخر شهر رمضان، حضر قريب له للمرة الثالثة، كوسيط بين الشيخ محمد وبين النظام السعودي، وكان هذه المرة بحضور الشيخ سيف الهاجري - الأمين العام لحزب الأمة في الكويت - الذي طلب منه الشيخ محمد حضور اللقاء كشاهد، وجرى اللقاء في (منظمة الأمة) في منطقة الفاتح بإسطنبول، وقال قريبه له بأن الحكومة أرسلت وفدا للتفاهم معه، وفيهم لواء في الداخلية السعودية لترتيب عودته، وأنهم جاهزون لدفع ما يطلب من مال، فرفض الشيخ محمد رفضا قاطعا هذا العرض، واشترط أولا الإفراج عن الشيخ عبد العزيز الوهيبي رئيس حزب الأمة الإسلامي، والشيخ د. أحمد الغامدي نائب رئيس الحزب، وباقي السجناء السياسيين، والبدء بتنفيذ الإصلاحات السياسية، وبعدها لا مشكلة لديه في العودة للسعودية...

وقام بعدها قريبه بتسليمه هدية في ظرف، وبعد خروجه من المنظمة دعا الشيخ محمد المفرح علي القاضي الموظف في (منظمة الأمة) وأمره - أمام الشيخ سيف - بوضع الهدية في قصدير وحفظها بعيدا، فسأل الشيخ سيف الهاجري الشيخ محمد عن سبب هذا التصرف؟

فقال: لا أثق بهم فقد تكون وسيلة للاغتيال بالأشعة أو السم!

وقد أخبرني الشيخ محمد بموضوع اللقاء والهدية في الليلة نفسها، وبما جرى مع قريبه بحضور الشيخ سيف الهاجري.

وتم تسجيل شهادة بهذا الحادث لدى (مؤتمر الأمة)، ولدى (حزب الأمة الإسلامي).

وقد جاء قريبه مرة أخرى بعد اللقاء بيوم إلى (منظمة الأمة) وعرض علي وعلى الشيخ محمد والشيخ سيف العشاء على يخت بحري تم تجهيزه لهذه المناسبة!

وألح بالطلب بدعوى أنه تم حجز اليخت!

فاستغربنا جميعا من هذا العرض المفاجئ بلا سابق موعد، وبلا وجود علاقة وثيقة بيننا وبينه، وتم الاعتذار عن العرض المذكور...

وقد أخبرنا الشيخ محمد بعد ذلك بأنه جرى لقاء آخر بينه وبين الوفد الأمني السعودي بواسطة قريبه، - وكان اللقاء ما بين أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر سنة ٢٠١٤م - وبأنهم عرضوا عليه صفقة مقابل عودته فرفض، وكان الشيخ محمد قد قبل الجلوس معهم على أساس التفاوض معه للتوصل لحل سياسي، والإفراج عن الشيخين الوهيبي والغامدي، كما فهم من الدعوة للقاء، إلا إنه تفاجأ بالعرض مرة أخرى لعقد صفقة معه، وهذا هو اللقاء

الوحيد الذي حضره الشيخ لوحده ثقة بقريبة، كما قال لي بأن اللواء كان من قبيلته أو من بلده، وهذا ما شجعه للموافقة على اللقاء، إلا أنه ندم على لقائه بهم، وبعده تدهورت صحته فجأة!

بعد ذلك اللقاء أصبح الشيخ محمد أكثر حذرا، وأمر باتخاذ احتياطات أمنية أشد صرامة لمقر منظمة الأمة، فقد وصلته رسالة -فيما يبدو- بعد رفضه لكل العروض بأن حياته قد تكون في خطر!

وكان قد اتخذ بعض الإجراءات -بعد تعرضه لمحاولة الاغتيال في مايو ٢٠١٤م- وذلك بتاريخ ٣٠/ ٨/ ٢٠١٤م، بغير مشاورة لقيادات المؤتمر، كما هي العادة، وكان حازما صارما، وقال للشيخ سيف: (لا علاقة للشيخ حاكم بموضوع الإجراءات، فأنا المسئول عنها، الوضع خطير جدا، نحن مستهدفون، والمشايخ لا يدركون خطورة الموقف)!

وقد عاتبته بعدها وقلت له بأن قيادات المؤتمر لم ترض عن هذا التصرف!

فقال لي بكل حزم: (شيخنا هناك اختراق خطير وقع، ونحن جميعا في خطر، أرجو تقدير الموقف، لا مجاملة في هذا الأمر)!

وقد وثقنا به وبحزمه وإجراءاته وأنه أدرك اقتراب الخطر، غير أنه لم يكشف لنا عن السر!

وبعدها صار قليل الخروج من البيت، ولا يذهب للمنظمة، وأصبحت اجتماعات قيادات المؤتمر وضيوفهم تجري عنده في بيته، وبدأت عليه أعراض التعب، وكنا نظن أنه بسبب الصوم، حتى أنه على غير عادته لم يستطع الذهاب معنا لتوديعنا ومرافقتنا للمطار، حيث ودعناه في بيته، وكان ذلك آخر لقاء بيني وبينه حين ودعني وعانقني قبل خروجي من شقته للذهاب للمطار، بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٤م، وكأنه يقول هذا آخر العهد بيننا!



وقد صارحني قبلها بيوم ونحن في شقته، وقد بدت عليه علامات الحزن، وبدأت عليه أعراض المرض بأن هناك سمسارة يتاجرون في قضيته، ويتقربون به كقربان للنظام السعودي لمصالح دنيوية، وأخذ يسبهم ويلعنهم على غير عادته!

فقلت له أطيب خاطره على قريبه: لا أتصور بأن فلانا يفعل ذلك!

فقال: كلهم تجار وسماسرة!

وبعد مرضه قال لي وهو في المستشفى - وكان قد أخبر أهله قبل ذلك - بأنه أكل طعاما شعر بعده مباشرة بأنه كالخنجر يقطع أمعاءه!






وكان آخر نشاط سياسي للشيخ محمد استضافته في بيته لمستشار الرئيس الليبي د. عمر بعيو، بحضور قيادات مؤتمر الأمة، بتاريخ ١٥/ ١١/ ٢٠١٤م، وقد رأى الإخوة جميعا عليه أعراض المرض، إلا أنه كعادته، تكلف القيام على خدمتهم، وإكرامهم، وبعدها بيوم ذهب للمستشفى ولم يخرج منه!

## دخوله المستشفى:

اتصل بنا الإخوة ونحن في الكويت يخبروننا عن دخوله المستشفى للمرة الأولى، يوم ١٧/ ١١/ ٢٠١٤م، وتم أخذ الفحوصات الأولية، وقد لبث فيه نحو أسبوع، وكان يرافقه السيد علي القاضي، ثم تم نقله إلى مستشفى آخر، وهو من أفضل المستشفيات على مستوى أوربا، وتضاربت أقوالهم في حالته، فتارة يقولون ربما يحتاج إلى زراعة كبد، وتارة يقولون قد يحتاج إلى علاج كيماوي، ثم قالوا بأن الكلى تعطلت، ثم الرئة، وفجأة توفي بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠١٤م دون أن يستطيعوا تقديم أي علاج خلال شهر كامل!



وقد أخبرني أهله بعد ذلك بأن أحد الأطباء، قد شك بأن الحالة التي تعرض لها بدأت منذ ثلاث أشهر فقط، ويشتبه بأنها تسميم، وهي تقريبا المدة التي تم فيها اللقاء مع الوفد الأمني السعودي، والتي اتخذ بعدها الإجراءات الأمنية الصارمة!

وكان الشيخ بعد دخوله للمستشفى قد رفض أن يعرف أحد عن مكانه وطلب من قيادات (مؤتمر الأمة) التكتم على أمره حتى لا تصل إليه يد الاستخبارات في المستشفى، وطلب من المحامي الخاص به متابعة قضيته، وأخبر المحامي بحضور زوجته وولده الصغير عبد الملك بأنه يشعر بأنه تعرض للتسميم، وهو ما أشار له بعض الأطباء في الفحص الأولي!

وقد أخبرني الشيخ محمد وهو في المستشفى وكان عنده الشيخ حسن الدقي والشيخ سيف الهاجري والشيخ ارشيد الهاجري بأن الوفد الأمني عرضوا عليه سبعين مليون ريال ورفض العرض وأخذ يدعو عليهم بأن ينتقم الله منهم!

وقد كان الأطباء في المستشفى وطاقم التمريض والموظفون والمرضى يحبونه ويعظمونه، وهم لا يعرفونه، قال الشيخ ارشيد: (كان كل من حوله من الممرضين والمرضى يحبونه، ويسألون عنه، وكانت هناك مترجمة للمستشفى اسمها ملك، قالت لنا: هذا الرجل، رجل عظيم، أحببناه جميعا من أول ما رأيناه، فوجهه وجه الصادق)!

## أحواله قبل وفاته:

وقد بدأ الشيخ محمد يفقد وعيه قبيل وفاته بنحو عشرة أيام وذلك بتاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠١٤م، حيث تم نقله إلى العناية المركزة، وكان آخر ما سمعه الشيخ سيف والشيخ ارشيد منه – حيث كانا يلازمانه وينامان عنده – البراءة من الطغاة ومن جرائمهم وظلمهم، والدعاء عليهم بأن يزلزل الله عروشهم، وأن يمكن الله للأمة وثورتها، وأن يقيم الخلافة الراشدة في الأرض...

وقد تعرض وهو في المستشفى لحادث أليم، حيث عثر بأنبوب تم تركيبه في جنبه، فاشتد عليه الألم، فما زاد على قوله: (يا حبيبي يا الله)، كما ذكر ذلك الشيخ سيف الذي كان معه حينها حيث يقول: (أجريت له عملية لوضع أنبوب تصريف للصفراء يخرج من جنبه، فعثر بسلك الأنبوب وآلمه ألما شديدا، مضافا على ألم المرض، فكان ما سمعته منه عند تعرضه للحريق في سوريا، سمعته منه مرة أخرى ورأيته رأي العين في مرض موته، وكان يكثر من قول: يا حبيبي يا الله).

كما أخبرني الشيخ سيف بأن الشيخ محمد طلب من أحد الأخوة الأتراك وهو في المستشفى وقبل وفاته بأسبوعين أن يشتري لعبة سيارة تتحرك بالريموت كنترول فاشتراها له وجاء بها للمستشفى فأخذها الشيخ محمد وذهب مع الشيخ سيف إلى غرفة مجاورة، فإذا فيها طفل بحريني مريض بالكبد ومسح الشيخ محمد على رأسه ودعا له وأعطاه السيارة، ففرح الطفل بها وأكبر أهل الطفل هذا الموقف النبيل وشكروا له هذه اللفتة الإنسانية الرحيمة ولم يحل مرضه الخطير رحمه الله دون قيامه بمثل هذا الخلق الكريم.


الشيخ المفرح في المستشفى مع الشيخين سيف الهاجري وارشيد الهاجري

وقال الشيخ سيف كان آخر ما قرأنا مع الشيخ محمد في المستشفى قبل فقده وعيه كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخاري في فضائل الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

وقد أراد بعض الحضور معهم التعليق على الأحاديث فرد الشيخ محمد عليهم لو سمحتم لا تقطعوا علينا السماع فلنا نظامنا في القراءة!

وكان يحرص وهو على سرير المرض ومع اشتداده عليه على أن يصلي الصلوات جماعة مع من كان عنده من مرافقيه...

وقال لي الشيخ ارشيد وكان ينام مع في غرفته في المستشفى: (استيقظت ليلة على صوته، وهو جالس يصلي على سريره، ولم يفطن لي ظنا منه أني نائم، فأخذ بالدعاء والتضرع إلى الله أن ينصر المستضعفين في مصر والشام والعراق، ويدعو على الطغاة والمجرمين، وأن يعيد الخلافة الراشدة)!

قال الشيخ ارشيد الهاجري: (كنت معه في المستشفى، وكنت أنا والشيخ سيف أول من رافقه بعد اكتشاف المرض، ولم يكن يعلم أن المرض قد انتشر، وكان يظن أنه في الكبد، ويمكن استئصاله، فعندما أتيته من الكويت ورأيته في المستشفى عانقني، وضمني ضمة شديدة، وقال لي: والله إني أحبك يا بو فالح، وقد رأيت منه في المستشفى في أيامه الأخيرة أحوالا عظيمة، فذات ليلة وكنت مضطجعا على الكنبة بجانب سريره، استيقظ قبل الفجر، وكان يظنني نائما، فصلى وهو جالس على سريرة، وأخذ يدعو الله أن ينصر الأمة، وأن ينتقم من الطغاة، وأن ينصر المستضعفين في سوريا ومصر، وفي آخر أيامه كان كثير الدعاء للأمة وللمجاهدين، وكان إذا اشتد عليه المرض والألم يدعو ويقول: (اللهم انصر عبادك المجاهدين، اللهم انصر أمة محمد، اللهم عليك

بالطواغيت أعدائك وأعداء دينك)، وكان وهو في سكرات الموت يدعو للإسلام وأهله بالتمكين، ويدعو على أعداء الإسلام، وقبل وفاته بأيام دخل في غيبوبة، فنقل من الغرفة إلى العناية المركزة، فدخلت عليه، ولم يشعر بي، فناديته وقلت: هل عرفتني؟ فهز رأسه بنعم! وكان لا يستطيع الكلام، وقبل أن أخرج منه تكلم بهمهمة وصوت خافت، فرجعت له فقبلت يده وجبينه، فسألني بصوت لا يكاد يسمع: أين الدكتور؟ أين الدكتور؟

فاقتربت منه وقلت له: الآن سأدعو الدكتور الآن!

فأشار لي: لا لا!

فرجعت إليه فقلت: ماذا تريد يا بو عبد الله؟ هل أنادي الدكتور لك!

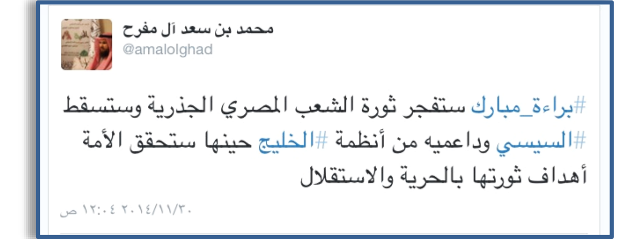
فقبض على يدي وقال بصوت ضعيف: د. حاكم د. حاكم!

فقلت له: بإذن الله قريبا سيصل بعد رفع المنع عنه!

فكان هذا آخر ما سمعته ورأيته من أخي الشيخ محمد المفرح، وعلمت أن د. حاكم هو من أعز الناس عنده).

وقد كنت أنا على اتصال يومي معه مساء صباح، وربما تحدث معي ساعة أو يزيد، وكان يقص علي رؤاه، ويسألني عن الأوضاع في مصر والشام والعراق، وتعذر علي زيارته بسبب منعي من دخول تركيا، بسبب تجاوز مدة الإقامة، وقد اتصل الإخوة بالمسئولين الأتراك للسماح بالزيارة وتقدير الظروف الحرجة التي يمر بها الشيخ محمد، والإسراع برفع المنع عني، فوعدوا خيرا وبحل الموضوع سريعا، غير أن الموت كان أسرع!

وقد أرسل لي بتاريخ ٣٠/ ١١/ ٢٠١٤م وهو في المستشفى قبل فقده وعيه بخمسة أيام رسالة فيها صورة




تغريدته: (براءة مبارك ستفجر ثورة الشعب المصري الجذرية، وستسقط السيسي وداعميه من أنظمة الخليج، حينها ستحقق الأمة أهداف ثورتها بالحرية والاستقلال) ويقول لي: (ما رأيك شيخنا؟) وهي طريقته المعهودة التي كان يستحثني بها على إعادة نشر تغريداته من حسابي، فقلت له: (رائعة)!

وقد غاب عن وعيه ودخل العناية المركزية بعدها، حيث لم يستطع الشيخ حسن الدقي بالزيارة الثانية الدخول عليه، وكان معه الأخ جاسم الشامسي، وكانت زيارتهما له في ٥/ ١٢/ ٢٠١٤م.

**وهو ما ينفي كل الأكاذيب التي حاول بعضهم ترويجها عنه بأنه اعتذر للحكومة السعودية عن معارضته لها، وأنه أوصى بنقله إلى مكة!**



أ. إياد العطية ود. محمد الجبوري والشيخ سيف الهاجري والشيخ أبو سلامة العدوان والشيخ سالم المسلط رئيس مجلس عشائر سوريا، في زيارة الشيخ المفرح بالمستشفى.

**وقد قال عن حالته د. محمد الجبوري – وهو طبيب خبير – حين زاره في المستشفى: (وقبل وفاته بفترة وجيزة دعاني إلى وليمة في بيته لكني تأخرت عن اللحاق بسبب عارض السفر، فاعتذرت منه على الهاتف، ثم علمت بعدها بأيام بأنه موعوك، وكنت أهيئ نفسي لعيادته، لكني تفاجأت بانتكاسة حالته الصحية سريعا، ودخوله غرفة العناية المركزة في المستشفى التي لقي ربه فيها، وهالني ما رأيت من تدهور سريع في صحته من غياب وعيه، واصفرار جسمه، وصعوبة تنفسه من خلال أنبوبة التنفس الصناعي وهو أمر يدعو إلى الاستغراب والاستفهام).**



عبد الله ولد الشيخ محمد المفرح والشيخ سيف الهاجري مع الزوار في المستشفى



محمد بن سعد آل مفرح الأموي القرشي - رحمه الله

وقد توفي الشيخ محمد في الثلث الأخير من الليل ليلة ٢٥صفر ١٤٣٦هـ الموافق ١٧/ ١٢/ ٢٠١٤م وكان آخر ما رآه أهله في آخر زيارة لهم قبيل وفاته أنه أفاق وعرفهم وأخذ يذكر الله وبعدما فرغ من أوراده وأذكاره طلب منهم كأس ماء فلما شربه قال: الحمد الله ثم كان آخر ما سمعوه منه كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله).

## كرامته وتحقق رؤياه بعد وفاته:

وكان من كرامات الله له رحمه الله أنه رأى عدة رؤى قبيل وفاته، تارة يصلي في الحرم المكي، وتارة يصلي الناس بالحرم المكي وهو جالس، وتارة يذهب إلى مكة وفي طريقه يأتي إلى قبر النبي ﷺ ويستظل بقبة الغرفة جهة الظل، وليس جهة الشمس، وتارة يأتي إلى قبر أم المؤمنين خديجة في مكة ويسلم عليها ويدعو لها ثم يمضي إلى منى ويجلس فيها!

وكلها قصها علي وعلى الشيخ سيف وارشيد وهو في المستشفى، وكان الشيخان سيف وارشيد يباتان عنده بالتناوب، ويقومان على خدمته، حتى جاء ولده عبد الله قبل دخوله الغيبوبة بثلاثة أيام تقريبا، ثم فقد وعيه بعدها نحو عشرة أيام وهو في العناية المركزة.

وبادر (حزب الأمة الإسلامي) بعد دخول الشيخ محمد باختيار د. عبد الله السالم الناطق الرسمي للحزب للقيام بمهام الأمين العام بالتكليف، حتى لا يتم إصدار أي بيان باسم الشيخ محمد أو باسم الحزب في ظل هذا الظرف العصيب.

وقد زاره د. عبد الله السالم للاطمئنان عليه في المستشفى، ولبث عند أسبوعا كاملا، حتى فقد الشيخ محمد وعيه، وكان هو محل ثقة الشيخ محمد في شئون الحزب.

وقد وصل للمستشفى بعد ذلك قريب للشيخ محمد قادم من السعودية، بعد أن فقد الشيخ محمد وعيه ودخل في الغيبوبة، فشكر قيادات (مؤتمر الأمة) على كل ما قاموا به تجاه الشيخ محمد، وقال للشيخ سيف والشيخ ارشيد بأن أسرة الشيخ محمد هي التي ستتولى الآن أموره ونقله للسعودية، وستدفع باقي تكاليف علاجه.

فقال له الشيخ سيف بأننا لا نتقدم عليكم، ونحن معكم فيما ترون، ونحن جميعا في خدمة الشيخ محمد.



## محاولات تزوير خطاب باسم الشيخ محمد:

وقد جرت بعد دخول الشيخ محمد في الغيبوبة – كما تم تسجيل ذلك بشهادات الشهود في محضر رسمي لدى مؤتمر الأمة – محاولات من البعض لتزوير خطاب باسم الشيخ محمد لدى السفارة السعودية، والادعاء بأن الشيخ قام بالاعتذار للحكومة السعودية عن معارضته لها، وذلك مقابل سبعين مليون ريال لأسرته، ولم تفلح بحمد الله تلك المحاولات!

## الصلاة على الشيخ في الفاتح ثم في الحرم المكي:

ثم بعد موافقة زوجة الشيخ محمد على نقله ليدفن في مكة بعد وفاته، تم أخذ جنازة الشيخ محمد من المستشفى، وصلي عليه ليلة الجمعة في جامع السلطان محمد الفاتح، وجاء المهاجرون والمجاهدون العرب في إسطنبول من كل مكان ليصلوا على شيخهم، ويودعوا أول من سبقهم بالهجرة إليها.




الصلاة عليه في جامع الفاتح بإسطنبول ليلة الجمعة ١٨/ ١١/ ٢٠١٤م





إخوانه المهاجرون والمجاهدون العرب والأتراك يحملون جنازته، كتب الشيخ حسن الدقي في حسابه بالتويتر: "تعلق الأتراك كثيرا بالشيخ محمد المفرح رحمه الله، هنا جنيد صرياشار رئيس جمعية مظلوم دار الحقوقية يحمل نعشه"










الشيخان حسن الدقي ومحمد الهاجري يستقبلان التعازي من المهاجرين والمجاهدين العرب والأتراك بإسطنبول-تركيا

**وبعد الصلاة عليه في جامع الفاتح تم نقله مباشرة بالطائرة قبل الانتهاء من الإجراءات القانونية لمثل هذه الحالة، وقبل أن يتم دفع باقي حساب المستشفى!**

**وفجأة وبينما ما يزال جثمان الشيخ محمد في الطائرة ولم يطر من إسطنبول بعد، تم نشر إشاعة كاذبة بأن وزير الداخلية السعودي هو من دفع تكاليف العلاج، للإيحاء بأن الشيخ محمد قد تراجع عن معارضته ومواقفه قبل وفاته، مقابل علاجه والعودة إلى وطنه، ليتم اغتياله معنويا وسياسيا، كما تم اغتياله جسديا وماديا! وكثر اللغط وجائتني رسائل من كل مكان تسأل عما جرى، فاتصلت بالإخوة في إسطنبول، فبادر الشيخان سيف الهاجري ومحمد مبارك إلى المستشفى، واستفسرا عن الموضوع، فقالوا بأنه لم يتم دفع المبلغ الباقي، ولم تدفع أي جهة غير المؤتمر تكاليف العلاج، فدفع الشيخ سيف مباشرة ما بقي، واستلم فاتورة بذلك.**

**وانكشفت المؤامرة وأبعادها على الشيخ محمد، وكان الهدف الإساءة لجهاد الشيخ الشهيد، ليتم بعد ذلك توجيه الشكر لمن طاردوه أربع سنوات، وحاولوا اختطافه واغتياله أربع مرات، ويأبى الله إلا الدفاع عن أوليائه حتى وهم في مثل هذه الظروف التي لا حول لهم فيها ولا قوة ليدفعوا عن أنفسهم السوء والبهتان ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.**

**وانتظر (مؤتمر الأمة) و(حزب الأمة الإسلامي) الفراغ من الصلاة على جنازة الشيخ محمد في الحرم المكي بعد الجمعة مباشرة، التي توافد إليها محبوه من كل مكان في السعودية، فلما صلي عليه في الحرم، أصدر (حزب الأمة الإسلامي) بيانه الساعة ٢ ظهرا، وكذا (مؤتمر الأمة)، وكشفا بالأدلة والوثائق كذب وزيف الادعاء بأن الداخلية السعودية دفعت تكاليف علاج الشيخ محمد، وبرأ الله ساحة الشيخ الشهيد، ورفع ذكره حتى عرفه من لم يكن يعرفه!**




جنازته في الحرم محمولة من مسجد المهاجرين في مكة



الصلاة عليه في المسجد الحرام



دفنه رحمه الله في مقبرة العدل بمكة المكرمة



ومن الموافقات الحسنة أنه صلي عليه مرتين، الأولى في جامع السلطان محمد الفاتح الخميس ليلة الجمعة ٢٥ صفر ١٤٣٦ هـ - ١٨/ ١٢/ ٢٠١٤م، والثانية في الحرم المكي من الغد يوم الجمعة بعد الخطبة مباشرة!

وهذه كرامة لم تحدث لأحد قبله، ولا يعرف أن معارضا للسلطة قبله جيء به ليصلى عليه في الحرم المكي!

وقد جيء به إلى الحرم المكي من مسجد المهاجرين في مكة، وصلي عليه في الحرم، ودفن في مقبرة العدل!

فصدق الله له الرؤيا، وأتم له الكرامة، وسخر أعداءه الذين سعوا في تهجيره واغتياله لينقلوه حيث رأى الرؤيا، ثم فضحهم الله على رؤوس الأشهاد، وخاب سعيهم الذي سعوه، في موقف شخصت فيه الأبصار، وأصخت فيه الأسماع، لمعرفة حقيقة ما جرى ويجري لهذا الولي المهاجر المجاهد، كيف رجع يحمله أعداؤه، فهل داهنهم آخر حياته؟ أم ضعف واضطر لهم؟

فإذا محمد هو محمد ولي الله الذي كفر بهم وتبرأ منهم حيا وميتا!

وكما كان الشيخ محمد آية في هجرته ودعوته وحياته، وآية في مقاماته، وكراماته، كان أيضا آية في جهاده ويوم وفاته واستشهاده!

وكان عزاؤه رحمه الله في مكة يوما مشهودا جاءت إليه الناس وفودا من كل بلد أفواجا أفواجا!

## الرؤى التي رؤيت فيه بعد وفاته:

وقد رأى كثير من الإخوة فيه رؤى حسنة، وبشارات طيبة، كما في الحديث الصحيح: (لم يبق إلا المبشرات الرؤيا يراها المؤمن أو ترى له)، ولهذا كان الأئمة المصنفون في السير والرجال يختمون التراجم بالرؤى الصالحة التي رؤيت فيمن ترجموا له، فأرسل لي الشيخ حجاج العجمي بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠١٥م، يقول: (رأيت أننا نحن في (الهيئة الشعبية) و (المؤتمر) وجمعٌ غفير من الناس، نمشي على شكل مثلث، وأنت وحدك على رأس المثلث، حتى وصلنا لمكان مغلق، وعنده رجل أشبه بالحارس فقلت له أنت: (هذي الجنة؟) قال: نعم، قلت له أنت: إيش الدليل؟ فخرج الشيخ محمد المفرح منه فضحكت، ودخلت، ودخلنا كلنا وراءك، والعجيب بعد دخولنا رأيت ... ومجموعة كبيرة من دعاة وعلماء يدخلون مشيا على رؤوسهم! فسألك الناس عن السبب فقلت: قلبهم الطوفان).

كما قال أبو صالح القحطاني: (ومما يحسن ذكره في هذه اللحظات وبين هذه السطور أن أذكر رؤيا رأيتها له بعد وفاته مباشرة وهي أني رأيت فيما يرى النائم أن أبا عبد الله كان على بحر فيه من الصفاء ما الله به عليم، وكان يحوط هذا البحر أشجارٌ شديدة الخضرة، وكنت أنا والدكتور حاكم المطيري ننظر إليه وهو واقف وحوله ما

يقارب المائتين من الرجال منهم من يقلم أظافره، ومنهم من يمسح حذاءه، ومنهم من يمشط لحيته، ومنهم من يزين غترته وثوبه، ومنهم من يطيبه، وكانت أطراف ثيابه طويلة جدًا من جهة أكمام يديه وذيول ثيابه، وتعجبنا من شدة طولها، وكان كهيئة الغاضب وهو يقول لمن يجهزه استعجلوا لا نتأخر على موعدنا مع ملك الملوك سبحانه وتعالى!! فلما التفت رآني فجاء إلي ثم ضمني ضمة أحسست بشعور غريب حينها، ثم قال لي: يا أبا صالح والله ما كنت أتمنى أنه حدث ما حدث بيني وبينك ولكن سامحني وكنت والله أتمنى أن أرى نصر الله وأن أبلغ الخلافة الراشدة ولكنني أبشرك أني قدمت على رب كريم).

## حزن إخوانه عليه ووداعهم له:



جانب من عزاء الشيخ المفرح رحمه الله في مقر منظمة الأمة بإسطنبول ويبدو الحزن والوجوم على ملامح إخوانه من المهاجرين والمجاهدين العرب.

قال فيه الشيخ حسن الدقي: (رحم الله شيخي وأخي أبا عبد الله، ورفع درجته في عليين، ونفع الله بعمله وعلمه الأمة من بعده، وجمعنا به في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله).

وقال في وداعه أبو الفاروق قائد لواء الأمة: (ولم يبق أحد في اللواء أو في تلمنس أو في المنطقة ممن قابلوا الشيخ ولو لمرة واحدة لم يتأثر بخبر وفاته رحمه الله، فرحمك الله يا شيخنا، وجمعنا بك في جنته في الفردوس مع الصديقين والأنبياء والشهداء، ونسأل الله العلي القدير أن يكون جهادنا وحسناتنا في ميزان حسناتك، وأن

يجزيك عنا وعن المسلمين خير الجزاء، فلقد كان لك فيما نحن فيه اليد الطولى، وليعلم الله أننا أحببناك فيه، وصدقناك العهد والوعد، ونرجو من الله أن يغفر لنا تقصيرنا، وأننا لم نوفك حقك فيما كتبنا، وحدثنا عنك، فهذا جهدنا).

وقال الشيخ د. حسن سلمان: (هذا قليل من كثير مما يمكن أن يقال عن الشيخ رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا).

وقال الشيخ محمود عبد الجبار: (كان القدر يخبئ علينا رحيله وفراقه، ونحن لاندري، اللهم ارحمه رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناتك).

وقال الشيخ محمود فتحي: (وكانت في حياتك لي عظات *** فأنت اليوم أوعظ منك حيًا

لم استشعر على المستوى الشخصي تأثرا مؤخرا بفقد حبيب، كما تأثرت بفقد أخي ورفيقي في المهجر الشيخ محمد المفرح رحمه الله تعالى وقدس روحه ونور ضريحه اللهم آمين).

وودعه الشيخ أبو صالح القحطاني بقوله: (اللهم واغفر لأبي عبد الله محمد المفرح مغفرة لا تبقي للذنب أثرًا، وتجاوز عنه، وتقبله في الشهداء، واجمعنا به في الفردوس الأعلى من جنتك، يا سميع الدعاء، اللهم انصر الأمة، واكشف الغمة، واجعلنا سببًا في ذلك، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، واجعلنا أغنى الأغنياء بك، وأفقر الفقراء إليك).

وقال عنه الشيخ أبو الفداء: (ببالغ الحزن والألم فارق أبداننا ودنيانا الفانية حبيبنا، والغالي على قلوبنا، وصرح في الخير والجهاد عاليا، ونبراس في الأخلاق ساميا، أكتب عنه خواطر من الفؤاد، مع جريان العين، وتأوه القلب لفراقه، فاللهم آجرنا جميعا في مصابنا، واخلف الأمة والأهل والأحباب خيرا... إنه الأب والأخ والصديق الشيخ المجاهد الصابر الكريم المربي محمد بن سعد المفرح الأموي القرشي، نم قرير العين أيها الشيخ الوقور، في رحاب الخالدين، وإنا لفراقك لمحزونون، ونجدد العهد أنا على العهد ماضون، فلا نامت أعين الجبناء).

وودعه الأستاذ الأديب أبو سعيد حسن أصلان بقوله: (رحمك الله يا أبا عبد الله! نم قرير العين، مطمئن البال، فإن خلفك إخوة على العهد ماضون، وللأمانة راعون، وعلى مشروع الأمة هم مؤتمنون، ولذكرك وسيرتك حافظون، ومن أخلاقك وأدبك متعلمون ومعلمون، وغدًا عند المليك تحت الظلال وعلى الأرائك مجتمعون ومتقابلون، ويتذكرون ويقولون ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾، اللهم ألهم أخي د. حاكم وإخوانه الكرام الصبر والسلوان، فلا أشك أنهم أمام موقف تعتصر له قلوب الرجال، أعانكم الله إخواني الكرام، وهدأ

بالكم، ورزقكم السكينة والطمأنينة، فلا يغيب عنكم أنه المصير الذي ينتظرنا جميعًا، أعاننا الله على الإعداد له، لنقضي على الدرب كما قضى أبو عبد الله).

وودعه الشيخ حامد العتيبي بقوله: (اللهم إنا نحب عبدك ووليك محمد المفرح، فأحبنا لحبنا إيّاه، اللهم ارحمه وتقبله في الشهداء، وألحقنا به منصورين، وغير خزايا ولا مبدلين).

وقال فيه د. محمد الجبوري وهو آخر من زاره، وقد كان الشيخ فقد وعيه: (بكيته بكاءً مرا، وشعرت أن ركنا من أركاني قد انهد، وعلمت بأنه مفارق، بكيت أخا ورجلا عاش بطلا، مجاهدا، شجاعا، غيورا، صادق اللهجة، ثابت الجنان، قوي العقيدة، ذاكرا لله، موحدا له،كافرا بالطاغوت، وقد آن لك أيها الفارس أن تستريح من عناء الدنيا ووعثائها، وتنتقل إلى رب غفور رحيم، رحمك الله أبا عبد الله، وأدخلك فسيح جناته، ورفع درجتك في عليين، وجمعنا وإياك في جنات النعيم، على سرر متقابلين، وكبت أعداءك، وأذاقهم العذاب الأليم، وعلى مثل أبي عبد الله محمد فلتبك البواكي، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

وقال الأستاذ إياد العطية في وداعه: (لقد رحل البطل من هذه الدنيا الزائلة، إلى جوار رب كريم، اللهم أبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واجزه عن المسلمين خير الجزاء، وألحقنا معه جمعيا في جنات النعيم).

وقال أبو حسن العرجاني مودعا الشيخ محمد: (وأعلم أنني لم أوفيه حقه في ذكر محاسنه، وبيان سيرته، وإنما ذكرت ما شهدته فيه خلال لقائي له، وصحبتي معه لأيام، وقد حزنت على ما ناله من غدر كان سببا في وفاته رحمه الله ونحسبه من شهداء الآخرة، أسأل الله أن يرفع درجته، ويغفر له، ويسكنه مع الشهداء والصادقين والنبيين، وأن يكون قدوة لغيره من الغيورين على دين الإسلام).



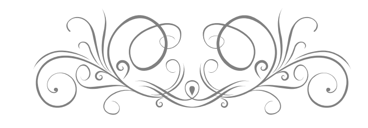
**رثاؤه:**

**وقد رثيته يوم وفاته بقصيدة بعنوان (وداعا أخا الأحرار):**

أنبكي على آثارك المجدَ والعزما *** أم الصدقَ والإقدامَ والحلم والحزما
وأي صفات فيك لا نبكي فقدها *** وقد كنت في الأحرار آيتنا العظمى
وداعا أخا الأحرار فالكل ميتٌ *** سواك فأنت اليوم رائدنا حتما
سموت إلى العلياء همّـًا وهمّةً *** فكنت لنا في ليلها البدر والنجما
مضيت كحد السيف في الحق صارما *** فلم ير حرٌ نبوةً منك أو ثلما
وهال طغاة العُرْب أنك واحدٌ *** دعوت فأمّ الصوت بعدك من أمّا
وزلزلت باسم الله عرش طغاتهم *** فأنعم به ربا وأنعم به اسما
وأحييت في كل الجزيرة أمةً *** تداولها الطغيان من عصره ظلما
يسوسهمُ الطاغوت والغرب فوقه *** ويأمرهم حربا إذا شاء أو سلما
وظنوا بأن المال يغريك فيهمُ *** وضلوا فما يدرون غايتك الأسمى
ودعا شهيد الحق للحق صولةٌ *** تدك عروش الظلم والصخرة الصما
وتبنى على آثارها الدولة التي *** تعم الورى عدلا وتشركهم حكما
عليك سلام الله ما لاح بارق *** وأشرق نور الصبح وانجابت الظلما

٢٥ صفر ١٤٣٦هـ

١٧ ديسمبر ٢٠١٤م



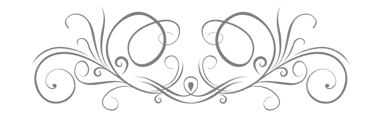


**فهذا ما فتح الله به علي، ويسره لي، في كتابة سيرة أخي وحبيبي الشيخ محمد المفرح رحمه الله، كرامة أخرى من كراماته، ليبعثه الله حيا من جديد، ولتظل سيرته تروى على مر العصور، ودعوته ماضية بعده له أجرها وأجر من عمل بها، فعسى أن أكون قد أديت بعضه حقه علي، أرجو ذلك، وإلى لقاء أخي أبا عبد الله، تحت ظل عرش الله، بإذن الله، وإنا على فراقك لمحزونون، وعلى دربك سائرون، وعلى العهد بإذن الله باقون!**

**وداعا أخا الأحرار!**

**ليلة الاثنين ٦ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ**

**الموافق ٢٦ يناير ٢٠١٥م**



## ملحقات:

### الملحق الأول: رؤية حزب الأمة الإسلامي:

الرؤية الإصلاحية

لحزب الأمة الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده... وبعد:

فهذه رؤية حزب الأمة الإسلامي للإصلاح السياسي لكل بلد عربي وإسلامي عامة، وللمملكة العربية السعودية خاصة، وهو مشروع (الحكومة الراشدة) عملا بقوله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور)، وقد فسر النبي ﷺ تلك المحدثات التي تخالف سننه وسنن الخلفاء الراشدين من بعد فقال: (تكون النبوة، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكا عضوضا، ثم ملكا جبريا، ثم تعود خلافة على منهاج النبوة)، فكل ما عدا الخلافة الراشدة من ملك جبري أو ملك عضوض يقوم على غير شورى الأمة واختيارها فهو باطل لا شرعية له، كما في الصحيح(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، والأمة اليوم في حاجة للخطاب السياسي الراشدي، القائم على الكتاب والسنة في سياسة شئون الأمة، ومن أصول هذا الخطاب الراشدي:

١- أن تكون المرجعية الدستورية والسياسية والتشريعية والقضائية والاقتصادية والإعلامية وكل شئون الدولة هي الشريعة الإسلامية بمصدريها الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ﴾، وقال: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

٢- حق الأمة في اختيار الحكومة والسلطة، اختيارا حرا مباشرا، كما قال تعالى﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، وكما قال عمر رضي الله عنه: (الإمارة شورى بين المسلمين)، وأن تكون البيعة للسلطة بيعة على الرضا والاختيار بلا إكراه ولا إجبار، من الأمة أو من يمثلها تمثيلا حقيقيا من نوابها وعرفائها، كما قال ﷺ: (أيها الناس

إنا لا ندري من رضي منكم ممن لم يرض فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم)، وكما قال عمر في خطبته - كما في البخاري - (من بايع رجلا دون شورى المسلمين فلا بيعة له ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا)، وكان ذلك بمحضر الصحابة جميعا فكان إجماعا قطعيا موافقا للكتاب والسنة.

٣- حق الأمة في الشورى في كل شئونها، فيما لا نص فيه، فلا تقطع الحكومة أمرا عاما في الشئون الداخلية والخارجية، ولا تصدر تنظيمات ولا قرارات إلا برضا الأمة وشوراها، من خلال من ينوب عنها ويمثلها تمثيلا حقيقيا في مجلس الشورى المنتخب انتخابا حرا، والرجوع إلى أهل الاختصاص فيما كان من اختصاصهم، كما قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾.

٤- حق الأمة من خلال من يمثلها بالرقابة على الأموال العامة إيرادا وإنفاقا، ولا تأخذ الحكومة ووزرائها إلا ما تفرضه لهم الأمة من رواتب ومخصصات، فهم مؤتمنون على السلطة والثروة، وهي أمانة للأمة في أيديهم ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾، وقال ﷺ عن الإمارة والولاية (إنها أمانة)، وليس لهم أن يشتغلوا بالتجارة أثناء قيامهم بمسئولياتهم في إدارة شئون الدولة، كما فعل الصحابة مع أبي بكر في أول يوم تولى فيه الخلافة، فقالوا (نفرض لك من بيت المال ما يكفيك وأهل بيتك)، والعمل بسياسة عمر (من أين لك هذا) مع كل من تولى وظيفة عامة.

٥- الفصل بين السلطات والمؤسسات التنفيذية والتشريعية والقضائية والمالية، كما فعل الخلفاء الراشدون، فكان أبو بكر أول من فصل بين السلطات، فاختار عمر على القضاء، واختار أبا عبيدة على بيت المال، لضمان العدل على أكمل وجه في القضاء والعطاء، والأمة من وراء الجميع من خلال نوابها تحاسبهم وتراقبهم وتسددهم، كما في حديث البيعة (وأن نقوم بالحق لا نخاف في الله لومة لائم)، وكما قال أبو بكر (إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني).

٦- ضمان استقلال القضاء وضمان شموليته ومرجعيته الشرعية، وعدم خضوعه للسلطة التنفيذية إداريا أو ماليا، وإلحاق كل إدارات التحقيق والهيئات العدلية للسلطة القضائية، وضمان حق التظلم والتقاضي للجميع أمام المحاكم في كل قضية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾، وتنفيذ الأحكام على الجميع، كما قال ﷺ: (أتشفع في حد من حدود الله والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد).

٧- صيانة الحقوق والحريات العامة والخاصة، فللجميع الحق بالأمر بالمعروف، والدعوة إلى الخير، ورفض الظلم، والصدع بالحق، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وكما قال تعالى: ﴿لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾، وكما في الحديث (إن لصاحب الحق مقالا)، وإبداء النصيحة للسلطة وللعامة على حد سواء كما في الحديث(الدين النصيحة... ولأئمة المسلمين وعامتهم)، والحق في الاجتماع في المساجد والأماكن العامة والخاصة للتشاور في شئون الأمة، كما كان يفعل المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين، فلا يحظر شيء مما أباحه الله، ولا مما لا يتم الواجب الشرعي إلا به، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- احترام حقوق الإنسان وكرامته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، وصيانة حريته، كما قال الفاروق (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)، وكفالة حقوقه المالية، وتأمين حياته المعيشية كما في الحديث (من ترك كَلاً فإليّ وعليّ)، وضمان حقوقه العدلية، فلا جريمة ولا عقوبة بلا نص ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾، وتدفع العقوبة بالشبهة (ادرءوا الحدود بالشبهات)، والأصل في الإنسان براءة ذمته، ولا يحبس إنسان بلا وجه حق، ولا عبرة بالاعتراف تحت الإكراه، كما قال ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)، وكما قال عمر: (ليس الإنسان على نفسه بأمين إن حبسته أو ضربته أو أجعته أن يقر على نفسه بما لم يفعل)، ويحرم استخدام التعذيب، كما في الصحيح: (إن دماءكم وأبشاركم حرام عليكم).

٩- حماية حريات الأفراد وخصوصياتهم في مساكنهم، واجتماعاتهم، واتصالاتهم، وعدم التجسس عليهم، أو انتهاك حرماتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾.

١٠- إرجاع المظالم والحقوق المغصوبة لأصحابها، كما في الحديث: (ليس لعرق ظالم حق)، ولا تسقط الحقوق بالتقادم، وإبطال الأحكام الجائرة ونقضها، وتعويض من تضرر بها بقدر ما لحقه من ضرر.

١١- تحقيق العدل والمساواة وتكافؤ الفرص للجميع، في الوظائف العامة، وأمام القضاء، وفي كل ما يشترك فيه الجميع، دون أي تمييز، كما قال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقال ﷺ: (المسلمون تتكافأ دماؤهم)، وقال ﷺ: (الناس سواسية لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى).

والنهوض بدور المرأة في المجتمع، وتعزيز دورها الإيجابي، وإقرار كافة حقوقها الشرعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمهنية، كما جاء في الحديث: (النساء شقائق الرجال).

١٢- العناية بالإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، وتنمية قدراته ومهاراته العلمية والجسدية والنفسية والروحية، وتهيئة الفرص له بحسب مواهبه، من خلال جعل الأولوية للإنفاق على التعليم وتطوير مناهجه، في كل المستويات، ورعاية الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث، ومن خلال الاهتمام بالمساجد ودورها التربوي والأخلاقي والاجتماعي، والعناية بالمستشفيات والرعاية الصحية.

١٣- حمل رسالة الإسلام إلى العالمين، والدعوة إليه، بكل وسيلة، قولا وفعلا، وتعزيز مكانة الفقهاء والعلماء والدعاة، وتوفير كل ما يساعدهم على القيام بمسئولياتهم، في بيان العلم ونشره، والدعوة وإبلاغها ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وتعزيز القيم الأخلاقية (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وحماية الأسرة والنشء، وإشاعة العلم والثقافة والمعرفة، والعناية باللغة العربية وآدابها، وربط الأمة بدينها وعقيدتها وهويتها وتاريخها وحضارتها.

١٤- تطوير الأوقاف والعناية بها، وعدم التعدي عليها، أو مصادرتها، أو صرفها في غير مصارفها، لتقوم بدورها في خدمة المجتمع ومؤسساته الأهلية.

١٥- فتح المجال للمجتمع الأهلي للقيام بكل نشاط يحتاج إليه، سواء كان سياسيا أو مهنيا أو ثقافيا أو حقوقيا، من خلال السماح بإقامة التجمعات الدعوية، والجمعيات الخيرية، والنقابات المهنية، والتنظيمات السياسية، وكل عمل يحتاج إلى الجماعة لتحقيقه، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وقوله: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

١٦- تطوير الموارد الاقتصادية وتنميتها والحفاظ عليها، واستثمار الثروات الطبيعية، وإعمار الأرض ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، وتنويع مصادر الدخل، وتوزيع الثروة توزيعا عادلا لكل المناطق والفئات، وتعميم مشاريع التنمية والطرق والمواصلات والخدمات في كل المناطق، كما قال عمر: (والله لو عثرت دابة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها لم لم أعبد لها الطريق).

١٧- حماية الملكية الخاصة، وصيانة الأموال العامة للأمة ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾، وتمتع الجميع بالمرافق العامة، واشتراكهم في الثروات الطبيعية في الكلأ والماء والطرق والطاقة، كما في الحديث (الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار).

١٨- حماية الأرض السكنية والزراعية والرعوية، فلا حمى إلا لله ولرسوله، كما قال عمر: (لا حمى إلا لله ولرسوله، والله إنها لأرضهم عليها قاتلوا في الجاهلية وعليها أسلموا، والله لولا إبل الصدقة ما حميت من أرضهم شبرا)، وتأمين الرعاية السكنية لكل أسرة، وتوزيع الأرض على الجميع بالتساوي، وعدم إقطاع أحد شيئا من الأرض دون وجه حق، وجعل الإحياء للأرض مشاعا للجميع، كما قال ﷺ: (من أحيا أرضا مواتا فهي له)، وإنما وظيفة السلطة تنظيم هذا الحق بالمساواة بين المستحقين، وإتاحة الفرص للجميع في الاستثمار في الثروات الطبيعية، وفي كل الأنشطة الاقتصادية، وفق قانون ينظم ذلك بين المستحقين، ومن قبل هيئات اختصاص تراقب ذلك.

١٩- توفير فرص العمل، وتشجيع القطاع الخاص على إيجادها، وتسهيل الاستثمار في الداخل.

٢٠- العناية بالصناعة وتطويرها، ونقل التكنولوجيا وتوطينها، وتشجيع الاستثمار المحلي والخارجي فيها، وتقديم التسهيلات لها، وإقامة مراكز الدراسات والبحوث العلمية، والتدريب المهني، وكل ما من شأنه تحقيق القوة للأمة علميا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وفي الحديث (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)..

٢١- صيانة سيادة الأمة والدولة واستقلالها عن أي نفوذ خارجي، وإعداد القوة، والاهتمام بالجيش، وتعزيز قدراته العسكرية، لمواجهة الأخطار الخارجية، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

٢٢- تعزيز الوحدة والاتحاد بين دول العالم الإسلامي، وتعزيز التكامل والتعاون السياسي والاقتصادي والعسكري معه، للوصول إلى الوحدة الكاملة لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ، لقوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾، حتى تستعيد الأمة كلها وحدتها وسيادتها وخلافتها في الأرض من جديد كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾.

٢٣- مد يد العون لكل بلد إسلامي يتعرض لعدوان خارجي، والدفاع عنه، ومساعدة شعبه، وإغاثته لقوله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله).

٢٤- رفض أي عدوان أجنبي على أي بلد إسلامي، وحق الأمة في مقاومته ورد عدوانه، وتحرير أرضها، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾، ومقاطعة الكيان الصهيوني، ورفض التعامل معه، والعمل من أجل تحرير أرض فلسطين، واسترجاع القدس والمسجد الأقصى، وضمان حق الشعب الفلسطيني المهجر بالرجوع إلى أرضه، وإقامة دولته، ورفض أي اتفاقيات أو معاهدات يتم من خلالها التنازل عن أي حق من حقوق الأمة أو شبر من أرضها أو مصالحها، وعدم الاعتراف بتلك المعاهدات.

٢٥- إقامة العلاقات مع دول العالم وشعوبها على أساس من قيم الإسلام ومبادئه، وتحقيق العدل والمصلحة والتعاون معها على ما يحقق الخير للإنسانية، ورفض كل أشكال الظلم والعدوان، ونصرة الشعوب المظلومة، وإغاثة الشعوب المنكوبة، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، في الحديث: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)، وفي الحديث الصحيح الأمر بنصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، والاستفادة من الحضارة الإنسانية وتطورها وعلومها ومعارفها، وآلياتها ووسائلها، والإسهام فيها، كما استفاد عمر النظم الإدارية وتدوين الدواوين من فارس والروم، عملا بالحديث الصحيح (أنتم أعلم بأمور دنياكم)..

فهذه هي رؤية (حزب الأمة الإسلامي) للإصلاح السياسي وفق أصول الخطاب الراشدي، كما يصدق على الحكومة التي تلتزم به أنها (حكومة راشدة)، فالواجب على الأمة وشعوبها كلها، وفي كل دولة، العمل بهذه الأصول ما أمكن ذلك، كما في الحديث الصحيح (ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)، والحزب يمد يده لكل من يريد الإصلاح سواء كان إصلاحا جزئيا أو كليا، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾، فالسياسة المشروعة هي كل عمل تكون الأمة معه أقرب إلى الصلاح والعدل منها إلى الفساد والظلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الملحق الثاني: خطاب (حزب الأمة الإسلامي) للديوان الملكي:

بسم الله الرحمن الرحيم

خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

نتقدم إليكم نحن أبناء هذا الوطن ممن ساهم آباؤنا وأجدادنا بدمائهم وأموالهم لتوحيد هذا البلد، والدفاع عنه وحمايته من جميع الأخطار الداخلية والخارجية، وقد تحقق خلال مائة عام لهذا الوطن من الإنجازات ما يحمل أبناء أولئك الرجال الأفذاذ مسئولية تاريخية في الإسهام ببناء الوطن وتطويره، والمشاركة في حمايته، والحرص على وحدته واستقراره، والنهضة به...

خادم الحرمين...

لا يخفى عليكم ما يشهده العالم الإسلامي من تطور سياسي كبير، وتعزيز للحريات والحقوق الإنسانية - التي سبق الإسلام إلى تقريرها والدعوة إليها - في كثير من دول العالم الإسلامي، ولقد آن الأوان لتواكب المملكة هذا التطور والإسهام به، ليشارك شعبها في تحمل المسئولية السياسية، وهو ما يقتضي وضع تشريعات متطورة تنظم مثل هذا الاستحقاق...

وإيمانا منا بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ...

وحرصا منا على الشفافية والمصارحة والوضوح في ممارسة حقوقنا السياسية...

فقد قمنا بتأسيس تجمع سياسي شعبي، يهتم بأمر الإصلاح والشأن العام، وقد تم تأطيره في حزب سياسي سلمي باسم (حزب الأمة الإسلامي)، ليمارس دوره في التعبير عن إرادة الأمة في الإصلاح السياسي السلمي، والعمل من أجل الدفع باتجاه النهضة الشاملة من خلال تفعيل دور المجتمع وقيامه بمسئولياته وواجباته، كما جاء في الحديث الصحيح (الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ...

هذا ونقدم لكم يا خادم الحرمين الشريفين البيان التأسيسي للحزب ورؤيته الإصلاحية وأسماء الهيئة التأسيسية...

ونسأل الله لكم الصحة والتوفيق

وللمملكة الأمن والاستقرار

ولشعبها التطور والازدهار

(حزب الأمة الإسلامي)

المملكة العربية السعودية – الرياض

الأربعاء ٥ ربيع الأول ١٤٣٢هـ

الموافق ٩ فبراير ٢٠١١م

## البيان التأسيسي لحزب الأمة الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد...

فإننا نحن الموقعين أدناه وإيمانا منا بشمولية الإسلام، وقدرته على الاستجابة لتطور العصر، وتلبيته حاجة المجتمع وأفراده، ومنها حاجته لتنظيم حقوقه السياسية، ليمارس الجميع مسئوليتهم، في المشاركة في بناء وطنهم على قدم المساواة وعلى حد سواء، لتحقيق النهضة الشاملة، فقد قمنا بتأسيس (حزب الأمة الإسلامي) ليسهم في دفع حركة الإصلاح السياسي السلمي الذي يتطلع إليه الشعب كافة على اختلاف مكوناته، كل ذلك على ضوء هدايات الكتاب والسنة وسنن الخلفاء الراشدين في باب سياسة الأمة، كما جاء في الحديث الصحيح: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)، وحديث: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي).

والله ولي التوفيق.

## مخاطبة تنظيمات مؤتمر الأمة للحكومة التركية بخصوص عملية اغتيال الشيخ محمد المفرح بتركيا:



**مؤتمر الأمـــة**

**خطاب عاجل**

**إلى رئيس الوزراء بخصوص تعرض الأمين العام لحزب الأمة الإسلامي للاختطاف والاغتيال**

بسم الله الرحمن الرحيم

فخامة رئيس الوزراء الموقر

السيد رجب طيب أوردوغان وفقه الله لما يحبه ويرضاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ..

فإننا بمؤتمر الأمة وكافة أحزابه وتنظيماته نبارك لكم تجديد الشعب التركي ثقته بكم وبحزبكم لقيادة تركيا نحو مستقبل أفضل لها وللعالم الإسلامي الذي باتت تركيا اليوم أحد أهم أركانه بما تحقق فيها من نهضة وتطور اقتصادي وسياسي وروحي وحقوقي ودفاعها عن الأمة وقضاياها لتستعيد من جديد دورها الإسلامي والعالمي الذي تستحقه بفضل ما تقومون به من إصلاحات تاريخية كبرى..

كما نحيط سعادتكم علما بما تعرض له الأمين العام لحزب الأمة الإسلامي الشيخ محمد المفرح والذي جاء إلى تركيا منذ بداية الربيع العربي بعد الإعلان عن حزبهم في المملكة العربية السعودية كأول حزب سياسي سلمي حيث تم اعتقال رئيس الحزب الشيخ عبد العزيز الوهيبي ونائب رئيس الحزب الشيخ د أحمد الغامدي وما زالوا في السجن مع صدور أحكام براءة بحقهم من القضاء السعودي وقد اختار الأمين العام الشيخ محمد المفرح القدوم لتركيا لما تتمتع به من حرية وعدل وقد تعرض خلال الفترة الأخيرة إلى اعتداءات متكررة من قبل

1



# مؤتمر الأمــة

مجموعات مسلحة مجهولة عليه وعلى أسرته ومنزله وقد سبق له أن طلب حماية من والي أسطنبول وتمت الموافقة عليه وفي يوم الخميس تاريخ ١ مايو ٢٠١٤م الساعة ٦ مساء في اسطنبول في منطقة بشاك شهير ٥ مترو كنت بناية ج ٥ الطابق ١١ شقة رقم ٤٢ تعرض لهجوم آخر وتعرضت زوجته للاعتداء بالضرب من مجموعة مسلحة وقد قامت زوجته بتقديم شكوى لمركز أمن بشاك شهير ضد المجموعة المجهولة إلا أنه تم احتجازها وطفلتها الرضيعة ذات الستة أشهر والمولودة على الأراضي التركية بسبب عدم تجديد الإقامة التي لا تزال إجراءاتها تنتظر الرفع للمحكمة للنظر فيها لمنح زوجها وأسرته الإقامة

لهذا فإننا في مؤتمر الأمة لنأمل من حكومتكم الموقرة الاستعجال في النظر لحل الموضوع بتوفير حماية للشيخ محمد المفرح وأسرته وتأمين إقامتهم بشكل قانوني إلى أن تتحسن الظروف السياسية في المملكة العربية السعودية ليعود إلى بلده

هذا وتقبلوا فائق الشكر والتقدير

المنسق العام لمؤتمر الأمة

البرفسور حاكم المطيري

٣ رجب ١٤٣٥هج

٢ مايو ٢٠...

## رد الحكومة التركية على الخطاب الذي قدمه حزب الفضيلة الإسلامي بخصوص عملية اغتيال الشيخ محمد المفرح بتركيا:




الصادر: ٥٢/٥١٩/٤٥٢٧
التاريخ: ٢١ / ٥ / ٢٠١٤

**سفارة الجمهورية التركية / القاهرة**
مكتب القائم بأعمال السفير حسين عوني بوتسلي

الموضوع: ردًا **على الخطاب المقدم من حزب الفضيلة الإسلامى – مصر**

إن سفارة الجمهورية التركية بالقاهرة ترد عليكم بمأساة لما حدث **للأمين العام لحزب الأمة الإسلامي محمد بن سعد آل مفرح**، ونتقدم لكم بخالص المواساة لما تم.

ونود أن نوضح لكم بأن السفارة بالقاهرة قد قامت بإرسال نسخة من الخطاب الذى قدمتوه إلى وزارة الخارجية فى جمهورية تركيا.

ونسعى جاهدين لتوفير الحماية الكافية للأمين العام لحزب الأمة الإسلامى، وأسرته، بالتنسيق مع وزارة الخارجية والداخلية فى جمهورية تركيا.

وسنقوم لاحقًا بالتواصل معكم من خلال إرسال رابط خاص بكم على موقعنا: www.mfa.gov.tr/default.ar.mfa، للحصول على رد بشأن ما الخطاب الموجه لنا من قبلكم سابقًا.



مكتب القائم بأعمال السفير

**حسين عوني بوتسلي**

الجمهورية التركية
وزارة الخارجية



# الفهرس

